مؤسسة القديس أنطونيوس
المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية



نصوص آبائية
-١٩٣-

رؤيا إشعياء



للقديس

يوحنا ذهبي الفم

نصوص آبائية ١٩٣ رؤيـــا إشعيـــاء للقديس يوحنا ذهبي الفم



" في الأعالي يُسبحُ جُنودُ الملائكةِ، وعلى الأرضِ البشرُ في الكنائسِ في جوقاتٍ يشبهون أولئكَ الذين في الأعالي (يُسبحون بنفسِ التمجيد؛ في الأعالي السَّرافِيم يرتلون تَسبحةَ الثلاثةِ تقديساتٍ، وعلى الأرض جمعُ البشرِ يُصعدون نفسَ التسبحةِ، يُشكلون نفسَ الاحتفالِ المشتركِ بينَ السمائيين والأرضيين، إفخارستيا واحدةٌ، مَسَرَةٌ واحدةٌ وليتورجيا واحدةٌ مفرحةٌ. وهذه الألفةَ والمودةَ حققَها السيدُ بتنازلِه غيرِ الموصوفِ، والروحُ القدسُ أَلَّفَ هذا التَناغمَ، ونَظَّمَ هذا التوافقَ بينَ الأصواتِ برضى ومَسَّرةِ الآبِ. فمِنْ الأعالي يأتي توافقُ أنغامِها، بواسطةِ الثالوث، وهذه الجوقةُ تتحركُ كمثلِ ريشةِ العازفِ، فتُسَبِّبُ البهجةَ والألحانَ المُفَرِحةَ، والنَشِيدَ الملائكيَ والتوافقَ غيرَ المُنْقَطِعِ. "

يُطلب هذا الكتاب من:

- المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية ت: ٠٢٢٤١٤٠٢٣
  Website: www.patristiccairo.com
  E-mail : opcc2007@yahoo.com
- ومن المكتبات والكنائس بالقاهرة والأقاليم.

سعر النسخة
٢٠ جنيهًا

مؤسسة القديس أنطونيوس
المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية
نصوص آبائية -١٩٣-



رؤيا إشعياء

عظات عن عزيا الملك

(شرح إش ٦: ١-٦)

للقديس

يوحنا ذهبي الفم

ترجمة عن اليونانية مع مقدمة وتعليقات

د/ جورج فرج

مراجعة الترجمة على النص اليوناني

د/ جورج عوض إبراهيم

ترجم عن النص اليوناني المحقق في مجموعة : المصادر المسيحية Sources chrétiennes : SC N°277

اسم الكتاب : رؤيا إشعياءَ -عظاتٌ عن عُزِّيَّا الملك

اسم المُؤلِف : القديسُ يوحنا ذَهَبِي الفَمِ

اسم المُترجِم : د. جورج فرج إسحق فرج

اسم المُراجِع : د. جورج عوض إبراهيم

الطبعة الأولى : يونيو ٢٠١٦

اسم الناشر : مؤسسة القديس أنطونيوس - المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية بالقاهرة : ٨ (ب) ش إسماعيل الفلكي متفرع من ش أباظة - محطة المحكمة مصر الجديدة ت: ٢٢٤١٤٠٢٣

E-mail : opcc2007@yahoo.com

Website: www.patristiccairo.com

السلسلة نصوص أبائية رقم ١٩٣

اسم المطبعة : مطابع النوبار – العبور

رقم الإيداع : ١١٦٣٣ / ٢٠١٦

الترقيم الدولي : 978-977-487-033-5



القديس

يوحنا ذهبي الفم



قداسة البابا تواضروس الثاني

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية



تقديم الناشر

يسرُ المركزُ الأرثوذكسيُ للدراساتِ الآبائيةِ، أنْ يقدمَ ثاني عملٍ تفسيريٍ للقديسِ يُوحَنا ذهبيِ الفمِ للعهدِ القديمِ، هو عظاتٌ عن رؤيا إشعياءَ الواردةِ فيّ (أش ٦: ١-٦)، وهذا النصُ لم يسبقْ ترجمتُه من قبلُ للغةِ العربيةِ سواءً ترجمةً حديثةً أو قديمةً، ويَشْمُلُ ستَ عظاتٍ عن رؤيا إشعياءَ والملكِ عُزِّيَّا.

ويعتبرُ هذا العملُ هو ثاني نصٍ ينشرُه المركُز للقديسِ يوحنا ذهبيِ الفمِ في تفسيرِهِ للعهدِ القديمِ حيثُ نشرَ مِنْ قبلٍ تفسيرَه لسفرِ التكوينِ (المجموعةُ الصغيرةُ من العظاتِ).

وفي هذه العظاتِ يتعرضُ ذهبيُ الفمِ لعدةِ موضوعاتٍ أهمُها رؤيا إشعياءَ والمشهدُ الإلهيُ والحديثُ عن طبيعةِ السَرَافيمِ وخشوعِها أمامَ اللهِ، مقارنةً بسلوكِ بعضِ المؤمنين المستهترينْ وقتَ الصلاةِ، كما يَتْعَرَضُ القديسُ يوحنا ذهبيُ الفمِ لسيرةِ الملكِ عُزِّيَّا ومحاولتِهِ إغتصابَ الكهنوتِ وتصدي عَزَرْيا رئيسِ الكهنةِ له.

ومما هو جديرٌ بالمُلاحَظةِ والانتباهِ هو كيفَ أنَّ تعاليمَ ذهبيِ

الفمِ تَتَطَابَقُ تمامًا مع سلوكِهِ الشخصي، فعلى الرُغْمِ من أنَّ هذه العظاتِ قد ألقاها منذ زمنٍ بعيدٍ قبلَ إعتلائِه كرسيَ القسطنطينيةِ وقبلَ نشوبِ خلافِهُ معَ الإمبراطورةِ أفدوكسيا، وهي فترةٌ لا تقلُ عنِ ١٢ عامًا، إلا أنَّنا نلاحظُ أنَّ القديسَ يوحنا ذهبيَ الفمِ قد دَافَعَ عنْ مَبادئَهُ المُؤيدةِ مُثُولَ الكاهنِ بكلِ شجاعةٍ أمامَ السلطانِ عندما يتعلقُ الأمرُ بمقداساتِ الكنيسةِ، فَصِدامِ عزريا الكاهنِ مع عُزِّيَّا كان أشبهَ بما قد حَدَثَ مع القديسِ يوحنا ذهبيِ الفمِ نفسِهِ معَ الإمبراطورةِ أفدوكسيا. ففي هذه العظاتِ يتحدثُ عنْ منعِ زكريا رئيسِ الكهنةِ مِنْ دخولِ الملكِ عُزِّيَّا قدسَ الهيكلِ وكأنَّهُ يقصُ قصتَهُ معَ الإمبراطورةِ فنجدُه يدافعُ عن زكريا مادحًا شجاعتَهُ وعدمَ خوفِهِ مِنْ مواجهةِ عُزِّيَّا الملكِ ومنعِهِ مِنْ اغتصابِ الكهنوتِ.

ونتوسلُ إلىَ اللهِ أنْ يباركَ هذا العملَ بشفاعةِ القديسةِ العذراءِ مريمَ والدةِ الإلهِ، ومصافِ الملائكةِ والقديسينْ، وصلواتِ صاحبِ القداسةِ البابا تواضروسَ الثاني والآباءِ المطارنةِ والأساقفةِ وكلِ الكهنةِ والخدامِ، ولإلهنا المحبِ الآبِ والابنِ والروحِ القدسِ، له المجدُ الدائمُ إلىَ الأبدِ آمينْ.

المحتويات

***

المراجع والاختصارات

أولا:- النص اليوناني

١- النص اليوناني المحقق - وسوف نرمز له بـ SC

- Jean Chrysostome, Homélies sur Ozias (In illud : Vidi Dominum), Sources chrétiennes N° 277, Introduction, texte critique, traduction et notes par Jean DOMINUM, Paris, 1981.

٢- النص اليوناني التقليدي - وسوف نرمز له بـ PG

- J.-P. Migne, Patrologiae cursus completus (series Graeca) 56, Paris: Migne, col. 97-142.

ثانيا:- ترجمات النص

١- الترجمات الفرنسية القديمة - بخلاف الترجمة الفرنسية SC

-Œuvres complètes de Saint Chrysostome. Traduction pour la première fois sur la direction de M. JEANNIN, Arras, 1856. Volume VI. " Commentaire sur Ozias- Homelies sur Ozias ou Touchant les Séraphins " p. 402-435.

-Œuvres complètes de S. Jean Chrysostome, Traduction Nouvelle par M. Abbé J. BAREILLE, Tome V, Paris, 1868." Homélies sur Ozias "p. 465-

501.

٢- الترجمة اليونانية الحديثة ونرمز لها بـ ΕΠΕ

- Ιωάννου Χρυσοστόμου, τα πάντα έργα, τόμος 8, ΕΛΛΗΝΙΚΕΣ ΠΑΤΕΡΕΣ ΤΗΣ ΕΚΚΛΗΣΙΑΣ (65), Θεσσαλονίκη, 1983, "ΕΙΣ ΤΟ «Ε1ΔΟΝ ΤΟΝ ΚΥΡΙΟΝ ΚΑΘΗΜΕΝΟΝ" σ. 320-441.

٣- الترجمة الإنجليزية

- St. John Chrysostom, Old Testament Homilies, Volume Two, Homilies on Isaiah and Jeremiah, Translated by Robert C. HILL, Holy Cross Orthodox Press, 2004. "Chrysostom's Six Homilies on Isaiah 6", p. 41-113.

ثالثًا:- دراسات عن النص

- HILL, Robert C., "St. John Chrysostom's teaching on inspiration in 'Six Homilies on Isaiah'," Vigiliae Christianae, Co 22 (1968) p.19-37. North-Holland Pub. Amsterdam.

- DOMINUM Jean, «Une homélie chrysostomienne suspecte», Mélanges de Sciences religieuses, XXX^{e} année, n° 4, 1973, p. 185-191.

هذا بخلاف ما ذكرناه في الهوامش من مراجع ونصوص آبائية أخرى.

المقدمةُ

التسميةُ والمحتوى

تحملُ هذه المجموعةُ من العظاتِ عدَّةَ تسمياتٍ وهي (رَأَيْتُ السيدَ الربَ جالسًا) كما في الأصل اليوناني، وفي اللاتيني : In illud : Vidi Dominum كما تُعْرَفُ أيضا باسمِ In Oziam أي "عن عُزِّيَّا" وهكذا وردتْ في الترجمة الفرنسية فقد سُميتْ (عظاتٍ عن عُزِّيَّا- Homélies sur Ozias)، وتُسَمي أيضًا (عن السَّرَافِيمِ)، ويرجعُ السببُ في ذلك هو أنَّ هذه العظاتِ قد ألقاها القديسُ يوحنا ذهبيُ الفمِ بغرضِ شرحِ رؤيا إشعياءَ المدوَّنةِ بالاصحاحِ السادسِ من سفرِ إشعياءَ وتحديدًا على الآيةِ الأولي : " رَأَيْتُ السَّيِّدَ جَالِسًا عَلَى كُرْسِيٍّ عَال وَمُرْتَفِعٍ، وَأَذْيَالُهُ تَمْلأُ الْهَيْكَلَ."[١]، غيرُ أنَّ ذهبي الفم قد تطرقَ لعدةِ موضوعاتٍ ومنها حديثُهُ عن نهايةِ عُزِّيَّا الملكِ والسببُ في ذلك يرجعُ إلىَ أنَّ إشعياءَ النبيَ يؤرخُ هذه الحادثةَ فيّ أيامِ وفاةِ عُزِّيَّا النبيِ، مما جعلَ واعظَ الكنيسةِ الأشهرَ يتوقفُ عندَ ذكرِ الملكِ عُزِّيَّا وعلةِ

---

[١] أش ٦: ١

تأريخ حَدَثِ الرؤيا بوفاةِ هذا الملكِ، موضحًا أنه في المعتادِ تأريخُ الأحداثِ في حياةِ الملوكِ وليستْ بوفاتِهم، فيشرحُ ذهبيُ الفمِ أنَّ سببَ ذلك يرجعُ إلىَ خطيئةِ هذا الملكِ، التي أدتْ إلى توقفِ النبوةِ في حياتِهِ، إذْ أنَّ كلمةَ الربِ كانتْ عزيزةً وامتنعَ اللهُ عنْ أنَّ يوحي للأنبياءِ، فلمْ يوحِ اللهُ لإشعياءَ برؤياه إلاّ بعدَ موتِ هذا الملكِ.

يتحدثُ القديسُ يوحنا عنْ خطيةِ الملكِ التي قد ارتكبَها في نهايةِ حياتِهِ، وهي رغبتُهُ في اغتصابِ الكهنوتِ بتقديمِ البخورِ في الهيكلِ وكيفَ حاولَ زكريا الكاهنُ بشجاعةٍ أنْ يمنعَهُ، فلما رفضَ ضربَهُ اللهُ بالبرصِ في جبهتِهِ، فخرجَ للتوِ. ويوضحُ ذهبيُ الفمِ خطيئةَ الشعبِ الذي تقاعسَ عنْ تطبيقِ الشريعةِ بإخراجِ الملكِ خارجَ المدينةِ، لكونِهِ أبرصَ كما تنصُ الشريعةُ ، وأنَّ هذا التخاذلَ قد جلبَ عليهم غَضَبَ اللهِ.

يتعرّضُ ذهبيُ الفمِ إلى رؤيةِ إشعياءَ للقواتِ السمائيةِ السَّرَافِيمِ والشاروبيمِ موضحًا كيف أنْ تمجيدَ اللهِ بمخافةٍ تجعلُهم يرتعدونْ من هيبةِ الموقفِ ويغطونْ وجوهَهم بسببِ ذلك. ويقارنُ القديسُ ذلك بالسلوكِ المستهترِ وغيرِ المنضبطِ لبعضِ

المُصَلِّين فيّ الكنيسةِ.

تفسيرُ ذهبي الفمِ لسفرِ اشعياءَ

بخلافِ هذه العظاتِ، قَدَّمَ القديسُ يوحنا عظاتٍ عنْ كلِ سفرِ إشعياءَ وَصَلْنا مُعَظَمُهُ فقطْ في ترجمةٍ أرمينيةٍ قديمةٍ[٢]. أما نصُهُ الأصليُ باللغةِ اليونانيةِ فلم يصِلْنا منهُ سوىَ الإصحاحاتِ الأولى: (أش١:١- ٨: ١٠)[٣]، ويرىَ العلماءُ أنَّ النصَ اليوناني المحفوظَ مختزلٌ حيثُ قامَ أحدُ تلاميذِ القديسِ يوحنا بحذفِ المقاطعِ الوعظيةِ مِنَ النصِ الأصليِ المحفوظِ بشكلٍ كاملٍ وأصيلٍ في الترجمةِ الأرمينيةِ[٤].

كما يوجد للقديسِ يوحنا ذهبيِ الفمِ أيضا عظةٌ واحدةٌ مستقلةٌ عبارةً عن تفسيرٍ لأيةِ إشعياءَ (٤٥: ٦-٧) "أَنَا الرَّبُّ وَلَيْسَ آخَرُ.

---

[2] Mekitharistae, Versio armenica in Is. 8-64, Venetiis 1880; Dieu, L. «Le commentaire armenien de S. Jean Chrysostome sur Isaie » Revue d'histoire ecclésiastique, 16 (1921) p. 7-30; Dumortier, J. "La version armenienne du commentaire sur Isaie de Jean Chrysostome." Studia Patristica, vol. 17, p. 1158-1162. Oxford, 1982.

[3] PG 56, 11-94, Jean, Commentaire sur Isaie, SC 304, Paris, traduction, par DUMORTIER, Paris 1983.

[4] Johannes QUASTEN, Patrology III, p. 436; Παναγ. ΧΡΗΣΤΟΣ, Ἑλληνικη Πατρολογία, τόμος δ' Θεσσαλονίκη 1989, σελ. 281.

مُصَوِّرُ النُّورِ وَخَالِقُ الظُّلْمَةِ، صَانِعُ السَّلاَمِ وَخَالِقُ الشَّرِّ. "[5].

تاريخُ نصَ العظاتِ

وصلتْ لَنا هذه العظاتُ فيّ مجموعةٍ كبيرةٍ من المخطوطاتٍ، حوالي ٣٥ مخطوطةً[6]، ويرجعُ تاريخُ نسخِ تلكَ المخطوطاتِ إلىَّ العصرِ البيزنطيِ ما بين القرنِ التاسعِ و القرنِ السادسِ عشرَ، حيثُ إنَّ أقدمَ مخطوطٍ يعودُ إلىَّ القرنِ التاسعِ. كما أنَّه يوجدُ تقليدٌأرمنيٌ لتلك العظاتِ يعود إلىَّ القرنِ الخامسِ الميلادي.

أولُ مَنْ قامَ بنشرِ النصِ اليونانيِ لهذه العظاتِ كان Henry Savile الذي قامَ بنشرِ الأعمالِ الكاملةِ للقديسِ يوحنا ذهبيِ الفمِ باليونانيةِ وذلك فيِّ عامِ ١٦١٢م، وفيِّ عامِ ١٦١٤م قام

---

[5] PG 56, 141-142, St. John Chrysostom, Old Testament Homilies, Volume Two, Homilies on Isaiah and Jeremiah, Trans. Robert C. HILL, Holy Cross Orthodox Press, 2004. "HOMILY ON ISAIAH 45.6-7" p. 20-40.

[6] العظات (١و٣و٥) محفوطة في ٣٥ مخطوطة والعظة (٢) محفوظة في ٣١ مخطوطة، والعظة (٤) محفوظة في ٢٩ مخطوطة، لدراسة هذه المخطوطات بشكل تفصيلي، أنظر الدراسة التي قام بها الباحث Jean Dumortier:

SC No 277, p. 20-41

Fronton du Duc بنشرِ النصِ اليوناني للعظاتِ معَ ترجمةٍ لاتينيةٍ، ثُمَ بعدَ ذلك قام Bernard de Montfaucon بنشرِ النصِ اليونانيِ لهذه العظاتِ معَ ترجمةٍ لاتينيةٍ أخرىَ وذلكَ فيِّ عامِ ١٧٢٤م، وهذا النصُ تمَّ ضَمُهُ فيما بعدُ لمجموعةِ البترولوجيا اليونانيةِ لميني[٧]. وفي جميعِ هذه الإصداراتِ نلاحظُ أنَّ كانتْ تُنْشَرُ تحتَ عنوانٍ مستقلٍ هو: "عنْ السرافيمِ εἰς - In Seraphim τὰ Σεραφίμ"، بينما العظاتُ الخمسُ الأولىَ كانت تعنينْ بـ: (عن عُزِّيًا) أو (عَنْ عُزِّيَا وعنْ السرافيمِ).

Εἰς Ὀζίαν ἤ εἰς τὰ Σεραφίμ

De verbis Esaiae : Vidi Dominum

In Oziam seu De Seraphim

محتوى العظاتِ

تُمَثِلُ العظاتُ (٢، ٣، ٥، ٦) مجموعةً واحدةً، قد ألقاها القديسُ يوحنا ذهبيُ الفمِ في أنطاكيةَ وهي تحوي تعليقاتٍ عليَّ شرحٍ (أش ٦: ١-٦) وقد أُلقيتْ في فترةٍ تاليةٍ على شرحِه

[7] PG 56, 97-142

المطوَّلِ لسفرِ إشعياءَ، بينما ألقىَ العظةَ الأولى فيّ زمنٍ لاحقٍ، أما العظةُ الرابعةُ فينظرُ لها العلماءُ على أنها ليستْ مِنْ وضعِ القديسِ يوحنا، ولكنَّها عظةٌ تَمَ تَجْمِيعُها مِنْ مجموعةِ عظاتِ القديسِ الأخرى، لذلك نجدُ أنَّ الأفكارَ الواردةَ بها مكررةٌ ولهذا فقد قُمْنا بوضعِ هذه العظةِ في نهايةِ المجموعةِ.

العظةُ الأولى

فيِّ العظةِ الأولى يتحدَّثُ عَنْ المحافظةِ علىَ وقارِ العبادةِ في الكنيسةِ، وعَنْ السلوكياتِ الخاطئةِ لبعضِ المؤمنين فيِّ أوقاتِ العبادةِ بالكنيسةِ. ثُمَ يتحدَّثُ عن معنى التَعَبُّدِ للهِ بمخافةٍ، فيشرحُ كيفَ أنَّ السَّرافيمَ تُسّبحُ اللهَ برعدةٍ، مؤكدًا علىَ تمازجِ حالةِ الفرحِ بالرعدةِ والخوفِ!. ثُمَ يبدأُ حديثَهُ عَنْ السَّرافيمِ مُبتدأً بتفسيرِ الأيةِ "رأيتُ السيدَ الربَ جالسًا ..." ويشرحُ سببَ تغطيةِ السرافيمِ لوجوهِهم وأرجلِهم بأجنحتِهم، و يتطرَّقُ للحديثِ عنْ أنَّه لا ينبغي أنْ نَنْسِبَ سُوءَ الأَحْوَالِ للحكامِ لأنَّها غالبًا ما تكونُ بسببِنا نحنُ. ويتطرَّقُ لقصةِ خيانةِ عخانَ بنِ كرمي وكيفَ أنَّ خطيئةَ فردٍ جلبتْ غَضَبَ اللهِ على الجماعةِ ثم يعاودُ الحديثَ عَنْ وجوبِ أنْ نعبدَ اللهَ في خشوعٍ.

العظةُ الثانيةُ

فيّ هذه العظةِ يتحدَّثُ ذهبي الفمِ عنِ الرؤيةِ الإلهيةِ والبصيرةِ الروحيةِ اللازمةِ لمشاهدةِ المجدِ الإلهي والدخولِ فيِّ حضرةِ الإلهيةِ ثُمَ يتحدّثُ عَنْ زمنِ تأريخِ إشعياءَ لنبوتِهِ و أهميةِ تأريخِ الزمنِ عندَ ذكرِ النبواتِ.

العظةُ الثالثةُ

يبدأُ القديسُ حديثَهُ بمديحٍ للشهداءِ، ثُمَ ينتقلُ للحديثِ عَنْ حياةِ عُزِّيَّا، موضحًا أنَّه كان ملكًا صالحًا، ثُمَ يتحدّثُ عَنْ أنَّ سقوطَه كانَ بسببِ الكبرياءِ، نتيجةً للتغافلِ، موضحًا أنَّ حياةَ الفضيلةِ هي سببُ حربِ الشيطانِ علىَ الإنسانِ بالكبرياءِ. كما يتطرقُ ذهبيُ الفمِ إلى موضوعِ الزواجِ والزنا ويؤكدُ على تَنَوعِ الخطايا وتفاوتِ عقوبتِها.

العظةُ الخامسةُ

في هذه العظةِ يوضحُ ذهبيُ الفمَ أنَّ عُزِّيَّا لمْ يستطِعْ كبحَ أهوائِهِ فاشتهى الكهنوتَ. ثُمَ يقارنُ ذهبيُ الفمِ بينَ مجدَ الكهنوتِ وسلطانِ الملكِ، مؤكدًا علىَ أنَّ الكاهنَ أعظمُ مِنَ الملكِ، مشددًا علىَ جسارةِ الكاهنِ أمامَ الملكِ فيِّ الحقِ، وكذلك يشددُ علىَ

ضرورةِ اللطفِ عندَ التوبيخِ. كما يتطرَّقُ لقصةِ قورحَ وداثانَ وأبيرامَ كأولِ محاولةٍ لإغتصابِ الكهنوتِ، ويؤكدُ أنَّ اللهَ استعملَ الرحمةَ فيّ عقوبتِهِ لعُزِّيًا، وكيفَ أن الشَعْبَ تَساهلَ معَ الملكِ الأبرصِ ولمِ يخرجْهُ مِنَ المدينةِ حسبِ الشريعةِ، مما سَبَّبَ غضبَ اللهِ وتوقفَ النبوةِ، وأخيرًا يوضحُ القديسُ حكمةَ اللهِ فيّ طردِ الأبرص خارجَ المدينةِ.

العظةُ السَادسةِ

يبدأُ القديسُ حديثَهُ فيّ هذه العظةِ عنْ رؤيا السرافيمِ والدخولِ للحضرةِ الإلهيةِ ووجوبِ الإستعدادِ لذلك يتحدثُ عنْ **مَثَلِ** الرجلِ الذي لمْ يرتدِ ثيابَ العرسِ، ثُمَ يَسْتَطْرِدُ عنْ طبيعةِ اللهَ الفائقةِ الوصفِ، وعنْ طبيعةِ السرافيمِ والحكمةِ مِنْ وجودِ أجنحتِها التي تغطي بها جسدَها ويشرحُ أنَّ عظمةَ هذه القواتِ السمائيةِ لا تكمنُ في طبيعتِها الخاصةِ بلْ في كونِها وقوفًا بجوارِ المجدِ الإلهي ويقارنُ القديسُ ذلك بتناولِنا مِنَ الإفخارستيا مؤكدًا علىَ أنَّ الإنسانَ مدعوٌ لنفسِ الرفعةِ التي للسرافيمِ عنْ طريقِ التناولِ باستحقاقٍ، ويستطردُ فيّ الحديثِ عَنِ الإفخارستيا ووجوبِ اقترانِها بالتوبةِ والصومِ.

العظةُ الرابعةُ

نلاحظُ أنَّ العظةَ الرابعةَ هي مزيجٌ مِنْ بعضِ موضوعاتِ العظةِ ٣ و ٥ بالإضافةِ لعملٍ أخرَ للقديسِ ذهبي الفمِ عنِ الصومِ[8]، لذلك فإنَّ أصالةَ ونسبَ هذه العظةِ محلُ تساؤلٍ كما سوفَ نشرحُ. ونحبُ أنْ ننوهَ إلىَ أنَّ هذه العظةَ، وإنَّ كانَ إخرجُها النهائيُ وبعضُ تعبيراتِها ليستْ مِنْ وضعِ القديسِ يوحنا، ولكنَّها في النهايةِ تعبرُ عَنْ أفكارِ القديسِ يوحنا ذهبي الفمِ. وعلىَ الرغمِ منْ أنَّ كُلَّ طبعاتِ وترجماتِ هذه العظاتِ قد وَضَعَتْ هذه العظةَ في ترتيبِها فيّ وسطِ العظاتِ، إلاَّ أنَّنا فَضَّلْنا وضعَها فيّ نهايةِ العظاتِ حيثُ رأيْنا أنَّ بها تجميعاً لأفكارِ العظاتِ الخمسِ الأخري فاستحسَنا وضعَها في هذا الترتيبِ حتىَ لا يشعرَ القارئ بالمللِ من تكرارِ الأفكارِ.

وموضوعاتُ هذه العظةِ هي:-

- مديحٌ للمدينةِ وسكانِها.
- حديثٌ عنِ الكنيسةِ وصمودِها أمامَ الطغاةِ.

---

[8] Comparatio regis et monachi. PG 47, 387-392.

- كرامةُ الزواجِ معَ أمثلةٍ لقديسين وقديساتٍ متزوجين.
- علَةُ تأريخِ نبوةِ إشعياءَ بوفاةِ عُزِّيَا الملكِ.
- مَثَلُ العشارِ والفريسي.
- كبرياءُ عُزِّيَا وإصابتُه بالبرصِ.
- شجاعةُ الكهنةِ فيِّ مقاومةِ عُزِّيَا.
- محاولةُ قورحَ وداثانَ وأبيرامَ اغتصابَ الكهنوتِ.
- الشعبُ يتساهلُ معَ عُزِّيَا ولا يخرجُه منِ المدينةِ حسبَ الشريعةِ.
- عودةُ النبوةِ بعدَ وفاةِ عُزِّيَا.

تاريخُ إلقاءِ العظاتِ

ألقى القديسُ يوحنا ذهبيُ الفمِ هذه العظاتِ في أنطاكية قبلَ سيامتِهِ بطريركًا على القُسْطَنْطِينية، وقبلَ فترةِ الصومِ الكبيرِ وذلك في عام ٣٨٧م.، وأيضا قبلَ عظاتِهِ المطولةِ عنْ سفرِ إشعياءَ[٩] وفيَ أعقابِ عظتَيهِ عنْ غموضِ نبواتِ العهدِ القديمِ[١٠].

على الرغمِ منْ أنَّه لا يوجدُ أيُ معلوماتٍ خارجيةٍ تدلُّنا على

---

[9] PG 56, 11-94.

[10] Rebort HILL, *Chrysostom's Six Homilies On Isaiah 6*, p. 41.

تاريخِ إلقاءِ هذه العظاتِ إلاَّ أنَّ المحتوى الداخليَ للعظاتِ يوضحُ الآتي :-

قد أُلقيتْ هذه العظاتُ (٢، ٣، ٥، ٦) فيّ أنطاكيةَ، حيثُ يرى العالمُ Le Nain de Tillemont[١١] أنَّ إشارةَ القديسِ يوحنا في العظةِ الأولى عَنْ تذمرِ الناسِ علىَ الحكامِ تشيرُ إلي سُوءِ الْأَحْوَالِ الإقتصاديةِ للامبراطوريةِ وربما مرورِها بحالة حرب، وبالتالي فلا يمكنُ أنْ تكونَ فيَ عهدِ الامبراطورِ ثيؤدسيوسَ حيثُ سادَ الهدوءُ والاستقرارُ فيّ عصرِهِ، ومِنْ ثَمَ يخمنُ الباحثون أنَّ تاريخَ هذه العظةِ يعودُ إلىّ نهايةِ عامِ ٣٩٥، أو ما بينَ عاميِّ ٣٩٥ و ٣٩٨.

أما العظتان الثانية والثالثة فقد كُتِبْتا في فترةٍ زمنيةٍ مبكرةٍ عنِ العظةِ الأولى حيثُ لا يَجْمَعُهما مع الأولى موضوعٌ واحدٌ، فبدايةُ العظةِ الثانيةِ توضحُ أنَّ ذهبيَ الفمِ كانَ فيِ بدايةِ عهدِهِ

[١١] هو من علماء البترولوجي القدامي أصدر موسوعة فرنسية من ١٦ جزءًا، عن آباء الكنيسة وكتاباتهم في نهاية القرن السابع عشر ومطلع القرن الثامن عشر:

Mémoires pour servir à l'histoire ecclésiastique des six premiers siècles, Paris 1712, t. XI.

يقومُ بالوعظِ والخطابةِ، لأنَّه يصفُ تعاليمَهُ بالخمرِ الحديثةِ الصنعِ علىَ عكسِ تعاليمِ معلِّمِهِ وهو الاسقفُ فلافيانُ الذي يشيرُ إليه بتعبيرِ "المعلمِ"[١٢]، فيقولُ في خاتمةِ العظةِ الثانيةِ:

"فيجـــبُ أنْ يوجــدْ وقـــتٌ للصـــمتِ حتـــىَ يجـــدَ فيِّـــهِ المعلـــمُ وقتًـــا للحـــديثِ، لأنَّ مـــا يخُصُـــنا يشـــبهُ الخمْـــرَ التـــي تُجْلَـــبُ حـــديثًا مـــن أوعيـــةِ المعصـــرةِ بينمـــا مـــا يخـــصِ المعلـــمَ يشـــبهُ الخمـــرَ القديمـــةَ والمعتقـــةَ، التـــي تُوفرُ فائدةً أكبرَ وقوةً لمنْ يحتاجُ إليها"[١٣]

وأيضا فيّ خاتمةِ الثالثةِ يقولُ

" فلَنرحـــلْ مـــن هنـــا ونحـــن محتفظـــون بمـــا قيـــلَ،

---

[١٢] وهو الاسقفُ فلافيانُ هو معلمُ يوحنا ذهبي الفم وبطريرك أنطاكية، وكثيرًا ما يشيرُ إليه القديسُ ذهبي الفم بلقب "المعلم" في العديد من أعماله، وقد كان واعظًا مقتدرًا، وكان القديس يوحنا يتابع عظاته، وعندما صار ذهبي الفم كاهنًا كان هذا الأسقف فلافيان شيخًا مسنًا، وأصبح القديس يوحنا خليفته في الوعظ، وكان هذا الأب الاسقف متابعًا لعظاته، وأحيانا كان يطلب القديس يوحنا بركته قبل الوعظ، وأحيانا أخرى كان يكمل الأسقف فلافيان الوعظ. وقد كان القديس يوحنا يمدح هذا الأب الأسقف وخاصةً لأنه قام بتوزيع أمواله على الفقراء.

[١٣] خاتمة العظة الثانية.

وأفضـــلُ حفــظٍ لهــذا هــو أنْ نقبــلَ بشــكلٍ تــامٍ نصــائحَ المعلّـمِ الصــالحِ، لأنَّ مــا يخصُــني، علــى الـرغمِ مــن أنَّــه يحمــلُ أمثــالَ الشــبابِ (الحداثــةِ) بينمــا مــا يخــصِ المعلــمَ تَعَــاليمُ مُزَيَّنــةٌ بعنايــةِ الشــيوخِ، ومــا يخصُــني يشــبهُ الغـديرَ الـذي يـأتي مـنِ الجـذورِ، بينمـا مـا يخصُـه يشـبهُ النبــعَ الــذي يتــدفقُ مــنِ الأنهــارِ بهــدوءٍ شــديدٍ، التــى تحاكي سريانَ الزيتِ أكثرَ منِ المياهِ. "[١٤]

ومِنْ هذا يتضحُ أنَّ عظةَ القديسِ يوحنا كانتْ كلمةً قصيرةً تمهيديةً لكلمةِ "المعلّمِ" أيِ القديسِ فلافيانَ أسقفهُ، وهذا يدلُ علىّ حداثةِ عهدِ القديسِ يوحنا بالكهنوتِ والوعظِ.

يقترح Tillemont أن تكون هاتان العظتان قد أُلقِيتا في بداية عام ٣٨٦، بينما يعتقدُ Dumortier (وهو الاستاذُ الذي قامَ بتحقيقِ النصِ اليونانيِ للعظاتِ ونشرِها معَ ترجمةٍ فرنسيةٍ جديدةٍ في مجموعة SC) أنهما قد أُلْقِيا في الشهورِ الأخيرةِ من ذاك العامِ، وذلك لأن Tillemont يُقدمُ أدلَّةً علىَ أنَّ قد أُلْقِيتْ

[١٤] خاتمة العظة الثالثة.

قَبلَ الصومِ الأربعيني لهذا العامِ، ولا يمكنُ للعظتين أنْ تكونا مفصولتين عن العظتين الخامسة والسادسة، بفترةٍ زمنيةٍ طويلةٍ، وذلك لتتابعِ الأحداثِ الخاصةِ بقصةِ عُزِّيًا كما يرويها خطيبُ الكنيسةِ الأشهرُ. وينتهي Dumortier إلى أنَّ العظاتِ (٢ – ٣- ٥- ٦) قد أُلْقِيتْ فيّ نهايةِ عامِ ٣٨٦ وبدايةَ عامِ ٣٨٧، إذ أنَّها تمثلُ مجموعةً واحدةً.

بَيدَ أنَّ Montfaucon يقترحُ زمنًا متأخرًا لإلقاءِ هذه العظاتِ حوالي عامِ ٣٨٨ وذلك لأنَّ القديسَ يوحنا يوعدُ مستمعيه بإلقاءِ عظاتٍ عنْ علةِ تغييرِ أسماءِ القديسين في الكتابِ المقدسِ،[١٥] ومن المعروفِ أنَّ تلك العظاتِ قد أُلْقِيتْ عامَ ٣٨٨، غيرَ أنَّه لا يوجدُ دليلٌ على أنَّ العظاتِ عنْ عُزِّيًا – محلِ دراستِنا - كانتْ سابقةً مباشرةً للعظاتِ عن تغيِّرِ أسماءِ القديسين، فمنِ المعتادِ أنَّ يكونَ بينهما فارقٌ زمنيٌّ.

يري Montfaucon أنَّ العظةَ الرابعةَ على الرغمِ منْ أنها تتحدثُ أيضا عنْ عُزِّيًا إلاَّ أنَّه لا يمكنُ أنْ تكونَ قد أُلْقِيتْ

---

[١٥] أنظر العظة الثانية فقرة ٣

في نفسِ الزمانِ أو نفسِ المدينةِ، فكلُ الشواهدُ تحملُنا علىَ الظنِ أنَّها قد أُلْقِيتْ في مدينةِ القسطنطينيةِ وليس أنطاكيةَ وفيّ فترةٍ زمنيةٍ متأخرةٍ، فعلىَ الرغمُ منْ أنَّ عنوانَ العظةِ يذكرُ أنَّها مديحٌ لمدينةِ أنطاكيةَ، إلا أنَّ اسمَ المدينةِ لا يُذكرُ فيِ صلبِ النصِ، بلْ أنَّ مواصفاتِ هذه المدينةِ تجعلُنا نؤيدُ بقوةٍ أنَّها القسطنطينيةُ، حيثُ يصفُها بالجمالِ والغنى وبكثرةِ القناصلةِ ويقارنُها بمدينةِ روما، وينعتُها بأنَّها المدينةُ العظيمةُ وعاصمةُ المسكونةِ:

"Μεγάλη πόλις καὶ μητρόπολις τῆς οἰκουμένης"

وهي مواصفاتٌ لا تنطبقُ إلا على القسطنطينيةِ عاصمةِ الإمبراطوريةِ البيزنطيةِ.

أما Tillemont فيرى أن العظةُ الرابعةُ قد ألقيتْ فيّ أنطاكيةَ، لكنَّه يجزمُ بأنَّها مستقلةٌ عنْ باقيِ العظاتِ، لأنَّها لا تتبعُ في تسلسلِها إلا العظةَ الثالثةَ أو الخامسةَ بل أنَّه من السهلِ استنتاجِ أنَّ العظةَ الخامسةَ تبدأ مِنْ حيثُ تنتهي العظةُ الثالثةُ في الحديثِ عن خطيةِ عُزِّيًا.

والخلاصةُ أنَّ هناكَ أربعَ عظاتٍ هي (٢، ٣، ٥، ٦) تمثلُ مجموعةً واحدةً ألقاها القديسُ يوحنا في أنطاكيةَ وفِيّ بدايةِ عهدِه

بالكهنوتِ والوعظِ وغالبًا أنَّ تاريخَ إلقائها يقعُ ما بينَ عامي ٣٧٦، ٣٧٧ وهي عَنْ رؤيا إشعياءَ حيثُ تَطَرقَ فيها بإسهابٍ شديدٍ إلىَ قصةِ عُزِّيَّا وخطيئتهُ، وقد قامَ النَسَّاخُ بإضافةِ عظتين أخريينْ كانتا قد أُلقيتا فيّ فترةٍ متأخرةٍ عنْ تلك المجموعةٍ، الأولي هي عظةٌ مستقلةٌ، موضوعُها الرئيسيُ عنْ آدابِ الحضورِ والصلاةِ فيّ الكنيسةِ وقد يرجعُ تاريخُها إلىَ ما قَبْلَ عامِ ٣٩٥، أما الأخري فهي العظةُ الرابعةُ وهي تلخيصٌ لقصةِ عُزِّيَّا وهي بلا شكٍ أحدثُ جميعِ هذه العظاتِ، غيرَ أنَّه من الصعبِ التكهنِ بتاريخِ إلقائها كما أنَّ مسألةَ أصالةِ هذه الرسالةِ ونسبِها للقديس يوحنا ذهبيِ الفمِ موضعُ تساؤلِ كما سنري.

أصالةُ العظةِ الرابعةِ

هذه العظة ساقطةٌ مِنْ بعضِ قوائمِ المخطوطاتِ الخاصةِ بمجموعةِ العظاتِ. كما أنَّ الدراسةَ الداخليةَ لنصِ العظةِ لا تُدَّعمُ أصالتَها، ففيّ دراسةٍ للباحثِ Dumortier انتهى إلىَ أنَّها مستعارةٌ مِنْ بعضِ فقراتِ العظةِ الخامسةِ، وقد قامَ بصياغتِها مَجهولٌ ونسبَها للقديس يوحنا ذهبيِ الفمِ.

ويعتقدُ Tillemont أنَّ القديسَ يوحنا هوَ الذي ألقي هذه

العظةَ فيّ أنطاكيةَ،لكنَّ Dumortier يرى أنَّ حديثَ القديسِ يوحنا عنْ وجودِ قناصلَ لهذه المدينةِ ومجلسٍ للشيوخِ، ويشيرُ إلىَ مجلسٍ مِنْ نوعٍ خاصٍ لا يُوجَدُ في المدنِ الأخرى، التي يُوجَدُ بها مجالسُ بالتأكيد، فيرى أنَّ هذا المجلسَ هو مجلسٌ خاصٌ بعاصمةِ الإمبراطوريةِ التي يقارنُها بمدينةِ روما العظيمةِ، ومِنْ ثَمَّ ينتهي إلىَ أنَّ المدينةَ المقصودةَ هي مدينةُ القسطنطينيةُ عاصمةُ الامبراطوريةِ البيزنطيةِ، حيثُ إنَّ الكلمةَ التي يستخدمُها ذهبيُ الفمِ للتعبيرِ عنْ مجلسِ الشيوخِ ليستْ βουλή أو συνέδριον بل σύγκλητος التي يرى أنَّها تعبرُ عنْ مجلسٍ متميزٍ وكانت تُسْتَخَدمُ للإشارةِ إلى مجلسِ القسطنطينيةِ ولمْ تُسْتَخدمْ للإشارةِ لمجلسِ مدينةِ أنطاكيةَ.

كما أنَّ دراسةَ نصِ الرسالةِ تُظهرُ فيه أساليبَ لا يستخدمُها القديسُ يوحنا وبالأخَصِ فيّ مديحِهِ عنِ القديسِ بطرسَ الرسولِ والمرأةِ المكابيةِ. ويري Dumortier أنَّ الكاتبَ فيّ بعضِ المقاطعِ يستخدمُ أسلوبًا ركيكاً لغويًا لا يتناسبُ معَ خطيبِ الكنيسةِ الأشهرِ[١٦]، ويُؤكدُ أنَّ هذه العظةَ مجمعةٌ منِ العظاتِ

[16] Dumortier, SC 277, p. 16, 17, 231.

الأخرى بواسطةِ كاتبٍ مجهولٍ لا يملكُ بلاغةَ القديسِ يوحنا. ويقترحُ البعضُ أنَّ يكونَ هذا الكاتبُ نيكوفورَ بطريركَ القسطنطينيةَ. (٧٨٥- ٨٢٨ م.).

أما من جهتِنا نحنُ، فقد لَفَتَ انتباهَنا فيّ هذه العظةِ استخدامُ تعبيرِ "أساسُ الكنيسةِ" ليصفَ به القديسَ بطرسَ الرسولَ والتعبيرَ باليونانيةِ هو ἡ Κρηπὶς τῆς Ἐκκλησίας، وهو تعبيرٌ بكلِ تأكيدٍ لا يُنْسَبُ للقديسِ يوحنا ذهبيِ الفمِ ولا لأي أبٍ أخرَ من الآباءِ الكبارِ، فقد قمُنا بعملِ بحثٍ عنْ هذا التعبيرِ تحديدًا في نصوصِ الآباءِ اليونانِ، فلمْ نجدْه نِهائيًا عندَ أيِ أبٍ، ما خلا موضعين: أولهما في هذه العظةِ المنسوبةِ للقديسِ يوحنا، والموضعُ الثاني قد وردَ في عظةٍ أخرى عنِ الميلادِ منسوبةً بالخطأ أيضا للقديسِ يوحنا ذهبيِ الفمِ[١٧]، مما يرجحُ أنَّ محررَ العظتينْ هو نفسُ الشخصِ الذي أقْحمَ هذا التعبيرَ.

---

[17] Joannes Chrysostomus, De eleemosyna [Sp.] PG 60,709, line 10

عُزِّيَا الملكِ[18]

التسميةٌ

"عُزِّيَّا" هو اسمٌ عبريُ معناه عِزِي أي قَوتي، ويسمى أيضاً عَزَرْيا[19] الذي معناه : "الربُ قد أعانَ" . ويبدو أنَّ "عُزِّيَّا" كان اسمَه الملَكيَ[20]

وعُزِّيَّا وهو ابنُ الملكِ أمصيا بنِ الملكِ يوآشَ . واسمُ أمِهِ يكليا مِنْ أورشليمَ ، وقد خَلَفَ أباه أمصيا علىِ عرشِ يهوذا، وهو في السادسةِ عشرةِ من عمره، وملكَ اثنتين وخمسين سنةً في أُورشَليمَ (حوالي ٧٩٢ - ٧٤٠ ق . م .)، وفي ذلك الحينِ ثَارَ شعبُ يهوذا علىَ أبيه أمصيا، فهربَ إلىَ لخيشَ، فطاردُوه وقتلُوه هناك، إلا أنَّهم جميعًا أخذواعُزِّيَا وملكُّوه عِوَضًا عن أبيه[21].

---

[18] مقتبس من دائرة المعارف الكتابية تحت اسم : عُزِّيَّا الملك. (بتصرف).

[19] ٢ مل ١٤ : ٢١ ; ١٥ : ١ , ٦ - ٨ , ١٧ , ٢٣ , ٢٧

[20] ٢ مل ١٥ : ١٣ , ٣٠ , ٣٢ , ٣٤ ; ٢ أخ ٢٦ : ١ - ٢٧ : ٢٠ ، مت ١ : ٨ ،٩.

[21] ٢ مل ١٤ : ١٩ - ٢١

قوةُ وعزةُ ملكِه

على ما يبدو أن عُزِّيَّا كان اسمًا على مُسمَّى، حسبما شَهدتْ مملكتا يَهُوذا إسرائيل في عهدِهِ عزة وبأساً في القرن الثامنِ قبلَ الميلاد. وفي أيام عُزِّيَّا ملك يهوذا، ويربعام الثاني ملك إسرائيل (حوالي ٧٩٣ - ٧٥٣ ق . م .) **بلغتِ المملكتانْ أوجَ قوتِهما وازدهارِهما، وهو ما لمْ تَبْلُغاه منذُ وفاةِ الملكِ سليمانَ. وقدْ أثبتتِ الاكتشافاتُ الأثريةُ فيّ السامرةِ وغيرِها منِ المواقعِ صدقَ وأصالةَ الصورةِ المرسومةِ فيّ الكتابِ المقدسِ لِماَ بلغتْهُ الدولتان منِ قوةٍ ورخاءٍ فيّ هذه الفترةِ**، وقد ساعدَهما علىّ ذلك الوضعُ السياسيُ العالميُ، إذْ كانَ هددُ نيراريُ الثالثُ ملكُ أشورَ (حوالي ٨١١ - ٧٨٣ ق . م .) قد قضىَ علىّ قوةِ دمشقَ (أرامَ) وفرضَ جزيةً علىَ مَلِكِها بنهددَ الثالثِ. وهكذا خَلا الجوُ منِ أرامَ كقوةٍ مناهضةٍ لإسرائيلَ ويهوذا. كما أنَّ أشورَ نفسَها لم تعدْ عدوًا خطيرًا لأنَّ خلفاءَ هددَ نيراريَ الثلاثةَ(حتى ٧٤٥ ق . م .) لَمْ يكونوا من القوةِ بالدرجةِ التي تُمَكِنُهم منْ إحكامِ قبضتِهم علىّ البلادِ الواقعةِ غربي الفراتِ.

وشَرَعَ عُزِّيَّا في بدايةِ حُكْمِه - وهو في السادسةِ عشرةِ من

عمرِه - يرممُ حصونَ أورشليمَ،ثم طفقَ يعيدُ تنظيمَ الجيشِ وتسليحَه، فأقامَ في أورشليمَ "منجنيقاتٍ لتكونَ علىّ الأبراجِ والزوايا لتُرْمَي بها السهامُ والحجارةُ العظيمةُ "[٢٢].

كما استطاع أنْ يدعمَ سيطرتَه علىَ أدومَ، وأنْ يتحكَّمَ فيّ طرقِ التجارةِ، فحاربَ الفلسطنيينْ وهدمَ أسوارَجتاً وبينةَ وأشدودَ، وبني مدناً حصينةً، كما حاربَ القبائلَ في الشمالِ الغربي من شبهِ الجزيرةِ العربيةِ[٢٣]، وأعادَ فتحَ ميناءَ " عصيونَ جابرَ " (إيلاتَ)[٢٤] .و كشفتِ الحفرياتُ الأثريةُ عنْ حصونٍ قويةٍ ترجعُ إلى هذه الفترةِ في "عرادَ" وما حولَها "قادشَ برنيعَ"، مما يدلُ على أنَّه كانَ يسيطرُ علىّ النقبِ والصحراءِ الجنوبيةِ، كما كانَ يحكمُ قبضتَه على الأجزاءِ الشماليةِ والشرقيةِ من سهلِ فلسطينَ، فاستولى علىّ جتٍ وبينهَ وأشدودَ كما سبقَ القولُ[٢٥].

---

[٢٢] ٢ أخ ٢٦ : ١١ ـ ١٥

[٢٣] ٢ أخ ٢٦ : ٦ ـ ٨

[٢٤] ٢ مل ١٤ : ٢٢

[٢٥] ٢ أخ ٢٦ : ٦

خطيةُ عُزِّيَا في إغتصابِ الكهنوتِ

ما كادُ يبلغُ هذه الدرجةَ منِ القوةِ والعظمةِ حتى دخلَهُ كبرياءٌ، عندئذٍ دَخَلَ هَيْكَلَ الرَّبِّ لِيُوقِدَ عَلَى مَذْبَحِ الْبَخُورِ.وَدَخَلَ وَرَاءَهُ عَزَرْيَا الْكَاهِنُ وَمَعَهُ ثَمَانُونَ مِنْ كَهَنَةِ الرَّبِّ بَنِي الْبَأْسِ. وَقَاوَمُوا عُزِّيَّا الْمَلِكَ وَقَالُوا لَهُ: «**لَيْسَ مَنَوْطاً بك يا عُزِّيَّا أَنْ تُوقِدَ لِلرَّبِّ، بَلْ فهذايَخْصَ الكَهَنَةَ بَنِي هَارُونَ الْمُقَدَّسِينَ لِلإِيقَادِ. اخْرُجْ مِنَ الْمَقْدِسِ لأَنَّكَ خُنْتَ؛ لأنَّك لمْ تحُظ كَرَامَةَ الكهنوتِ مِنْ عِنْدِ الرَّبِ الإلهِ**» .فَحَنِقَ عُزِّيَّا علىّ الكَهَنَةِ وفِي يَدِهِ مِجْمَرَةٌ لِلإِيقَادِ. **فإذا ببَرَصٍ يغشىَ جَبْهَتَهُ أَمَامَ الْكَهَنَةِ فِي بَيْتِ الرَّبِّ بِجَانِبِ مَذْبَحِ الْبَخُورِ**.فَالْتَفَتَ نَحْوَهُ عَزَرْيَا هُو الْكَاهِنُ الرَّأْسُ وَكُلُّ الْكَهَنَةِ وَإِذَا هُوَ أَبْرَصُ فِي جَبْهَتِهِ، فَطَرَدُوهُ مِنْ هُنَاكَ حَتَّى إِنَّهُ هُوَ نَفْسُهُ بَادَرَ إِلَى الْخُرُوجِ لأَنَّ الرَّبَّ ضَرَبَهُ. وَكَانَ عُزِّيَّا الْمَلِكُ أَبْرَصَ إِلَى يَوْمِ وَفَاتِهِ، وَأَقَامَ فِي بَيْتِ الْمَرَضِ أَبْرَصَ لأَنَّهُ قُطِعَ مِنْ بَيْتِ الرَّبِّ، وَكَانَ يُوثَامُ ابْنُهُ عَلَى بَيْتِ الْمَلِكِ يَحْكُمُ عَلَى شَعْبِ الأَرْضِ." [٢٦]

---

[٢٦] ٢ أخ ٢٦ : ١٦ـ ٢١

نهايةُ عُزِّيَّا

أقامَ عُزِّيَّا "فيّ بيتِ المَرَضِ" مُنْعِزْلاً عن الناسِ كما تقضي الشريعةُ[٢٧]، ويرى بعضُ الباحثين أنَّ ذلك كانَ فيّ بيتٍ خاصٍ بُني له خارجَ أورشليمَ، بيد أنَّ القديسَ يُوحنا ذهبي الفمِ في عظاتِه يرى أن الشَعْبَ قد تسَاهلَ معَه فتركَه في داخلَ المدينةِ المخالفةً لأوامرِ الشريعةِ مما تَسَبَّبَ في غضبِ الله فتوقفتِ النبوةُ عنْ بني إسرائيلَ حتيَ وفاتهُ، لكنّه لا يوجد إجماعٌ عليّ أنَّه ظلَّ محتفظاً بعرشِه إلى يومِ وفاتِهِ. ولما ماتَ دفنُوه "فيّ مدينةِ داودَ"[٢٨] " فيّ حقلِ المقبرةِ ... لأنَّهم قالوا إنِّه أبرصُ"[٢٩] . وقد اكتُشف شاهدُ قبرٍ منقوشٌ عليه بالأراميةٍ، يرجعُ إلى القرنِ الأولِ قبلَ الميلادِ، يؤيدُ أن عُزِّيَّا لمْ يدفنْ معَ الملوكِ، بل في قبرٍ منفردٍ. وغالبًا قد ماتَ عُزِّيَّا في ٧٤٢ ق . م . قبلَ أنْ يُواجهَ الزحفَ الأشوريَ.

---

[٢٧] ٢ أخ ٢٦ : ٢١ ; ٢ مل ١٥ : ٥

[٢٨] ٢ مل ١٥ : ٧

[٢٩] ٢ أخ ٢٦ : ٢٣

التعاليمُ اللاهوتيةُ لهذه العظاتِ

رؤيا إشعياءَ دليلٌ على تنازلِ اللهِ.

يفسرُ القديسُ يوحنا ذهبيُ الفمِ رؤيا إشعياءَ ومشهدَ وقوفِهِ أمامَ العرشِ الإلهيِ ومنظرَ القواتِ السمائيةِ ومهابتَها العرشَ الإلهيَ وسماحَ اللهِ لإشعياءَ كإنسانٍ أنْ يراه بتنازلٍ من قبلِ اللهِ συγκατάβασις بِسبِبِ الضعفِ البشري.

الطبيعةُ الإلهيةُ غيرُ موصوفةٍ أو مفهومةٍ.

يشدِّدُ ذهبي الفمِ علىَ أنَّ الطبيعةَ الإلهيةِ غيرُ موصفةٍ، وهو يأخذُ قولَ إشعياءَ النبي "أنّه رأي الربَ "جالسًا" على كرسيٍ عالٍ ومرتفعٍ" حيث يرى أنَّ الجِلُوسَ هنا بشكل معنوي ولا يُأخذ بالمعنى الحرفي للكلمةِ.

كرامةُ الكهنوتِ

يقارنُ ذهبيُ الفمِ بينَ الكَهَنُوتِ والمُلك مُنزْلاً كرامةَ الكهنوتِ مَنَزلةً أرفعَ من المُلك لأنَّ الكاهنَ يباركُ الملكَ خَافِضاً رأسَه أمامَه لنوالِ البركةِ، فَيُنَوِّه إلىَ رِفعةِ الكاهنِ كامنةً في تَمُسكِه بالحْقِ، غَيْرَ مبالٍ ببطشِ الحاكمِ المتعدي علىَ الشريعةِ، وهو

نفسُ الموقفِ الذي اتبعُه القديسُ يوحنا ذهبيُ الفمِ عمليًا فيما بعدُ مع الامبراطورةِ أفدوكسيا، عندما لمْ يترددَ منْ منعِها من دخولِ الكنيسةِ، لإستيلائها علىَ حقلِ امرأةٍ ظلمًا، بعد إخفاقِ نَصائحِه في إثابتِها إلىَ الحقِ بردِ الحقلِ.

كما يوضحُ خطيبُ الكنيسةِ الأشهرُ، أن وجودَ أفرادٍ منحرفين فيّ مصافِ الإكليروسِ لا يعيبُ الكهنوتَ، فلا يحطُ من شأنِ مهنةٍ بذاتِها أنْ ارتادَها مُنْحَرِفون فوجودُ أطباءٍ جهلاءٍ لا يُهِينُ مهنةَ الطبِ في ذاتِها.

هكذا يَحْجُو القديسُ ذهبيُ الفمِ الكاهنَ شفيعًا عنِ الشعبِ بصلواتِه التي يرفعُها إلي اللهِ فيَصْرفُ غَضَبَهُ.

هيئة السَّرَافِيم وطبيعتهم الروحية

يوقنُ ذهبيُ الفمِ بأن طبيعةَ السَّرَافِيمِ روحيةٌ لا جسديةٌ كطبيعةِ البشرِ وأنَّ عظمتَهم لا تكمنُ في طبيعتِهم بل فيّ وقفِهم أمامَ الحضرةِ الإلهيةِ، ثم يَعْرِضُ إلىَ خشوعِهم فيّ عبادتِهم لله، مُرْجِعاً سببَ تغطيةِ وُجَهِهم إلى عدمِ قدرتِهم على الشخوصِ إلى المجدِ الإلهيِ، ومعتبرًا تغطيةَ أَرجلِهم ضَرباً منِ الخشوعِ والمخافةِ أمامَ الله، وعَجْزَاً عنِ احتِمَالِ قوةِ اللمعانِ المُنْبَثِقِ من

العرشِ الإلهي ، لذا يَقومون بِتَغْطِيةِ كلِّ جزءٍ منْ أجَسَادِهم السَمَائيةِ.

الإفخارستيا

يُقَارِنُ ذهبيُ الفمِ بينِ عِظَمَةِ السَرافيمِ في اقْتِرابِهم منِ العَرْشِ الإلَهي وبين النِعْمةِ الفَائقْةِ التي ينالُها الإنِسانُ بالتَنَاولِ منِ الإفخارستيا، حيثُ يرىَ أنَّ هذا الطَعَامَ يُتَميزُ به الإنِسانُ عنِ المَلائكةِ، ولكنه يؤكدُ تأكيدًا على وُجُوبِ التوبةِ والاسْتِعدادِ لنَتقَربَ من المَائدةِ المُقْدَسةِ.

العِبَادةُ بخُشُوعٍ

يُلْزِمُ خَطِيبُ الكَنيسةِ الأشهرُ بالمُحافَظَةِ علىَ وقارِ العِبادةِ، هكذا استوفىَ الحَدِيثَ عن السَّرَافِيمِ والشَاروبيمِ و تَسبِيحِهم لله بخَوفٍ ورِعْدَةٍ، وفرطِ خُشوعٍ وهم يغطونَ أجْسَادَهم الروحانيةَ بأجنحتِهم،حتىَّ طفقَ يقابلُ خُشوعَ تلكَ القُواتِ السمائيةِ، بسِلوكياتِ بعضِ المؤمنين غِيرِ المُنْضَبِطةِ أثناءَ العبادةِ، فيَلومُ علىَ الذين يرفعون أيديَهم أثنَاءَ الصلاةِ بلا هَدفٍ وبشكلٍ عبثيٍ، مَتخلين بذلك عَنْ وقارِ الجسدِ وخُشوعِه، ويُرجعُ تلك التَصْرُفاتِ إلىَّ تَعودِهم التَرْدّدَ علىَّ أمَاكنِ اللهوِ والانِحلالِ كالمَسَارحِ

الخَليعةِ أوسباقاتِ الخيلِ وغيرِها منِ الأمَاكنِ التي تَكونُ مرتعاً للخطيةِ. حيثُ المشاهدُ الدَاعِرةُ الخ.

كَرامَةُ الزواجِ

يُقُوضُ ذُهبيُ الفمِ العَقيدةَ المعتبرةَ الزَواجَ عائقًا للارتقاءِ الرُوحيِ وتقدمِ الإنسانِ في مسيرتِهِ نحوَ اللهِ، مُسْتشهداً بنمَاذجَ لرِجالٍ قِديسين كانوا متزوجين مَثْلَ إبراهيمَ أبِ الآباءِ والقديسِ بُطْرُسَ الرَسُولِ ومثبتا أنَّ السيدَ المسيحَ لهَ المجدُ قد بَارَكَ الزواجَ بحُضُورِه عُرْسَ قانا الجَليلِ، معتبرًا أنَّ مُعَجزةَ السَيدِ له المَجدُ تَحِويلَ المَاءِ إلىَّ خَمرٍ كانتْ بمَثَابةِ هديةِ العُرسِ الذي تَشَّرَفَ بحِضُورِه.

أهميةُ ذكرِ الكتابِ للتواريخِ

يُدافَعُ ذهبيُ الفمِ عنْ أَهَمِيةِ ذكرِ التَواريخِ في الكتابِ المُقَدس، ويُنَدّدَ باعتراضِ البعضِ على إسهابِ الكِتابِ المُقَدسِ في ذِكرِها، وهو يرى أنَّ ذِكْرَ التَواريخِ أمْرٌ لا يَخُصُ الكتَابَ المُقدسَ وَحْدَه بل هو بَيَانٌ عَنْ شَأنِ أي وثيقة رسمية، حيثُ تَستمدُ أهَميتَها وقِيمتَها حيثما يَتصَدرُها تاريخُ تَدوِينها.

العُقوبةُ

تطرقُ القديسُ يوحنا في أعمالِه إلي مبدأ أخَلاقيٍ مُهمٍ، يأخذُ به الله فيَّ العقابِ وهو مَبدأ الرافةِ فيّ إنزالِه، لأنه محب للبشر φιλάνθρωπος، فقد عَاقبَ الله عُزِّيًا الملكَ لأنه تَجَاسرَ وتعدىَ علىَ الكهنوتِ الذي لم يُمَنحْ له بل لزكريا الكَاهنِ، فضَرَبُه اللهُ بالبَرصِ في جَبهتِه، وهنا ينوه ذهبي الفمِ إلىَّ قدرةِ اللهِ علىَ جلبِ الخَرابِ علي المدينة بأكْملِها، قصاصا من الشعبِ لأنه لمْ يُخرجِ الملكَ الأبرصَ خارجَ المدينةِ كحُكمِ الشريعةِ، بل أنَّ اللهَ من رحمتِه اكتفيَ بهذه العُقْوبةِ الهَينةِ.

النهايةُ الحَسنةُ للإنسانِ أفضَلُ من بدايةِ سيرتِه

يَذهبُ القديسُ يوحنا إلىَ القَولِ بأنَّ نِهايةَ سِيرةِ الإنسانِ الحَسنةَ أفضْلُ مِنْ بدايتِها.

الكِبرياءُ سَببُ سِقْوطِ الشيطانِ

يَستندُ القديسُ يوحنا إلىَ سِفرِ إشعياءَ لكي يُثْبتَ أن سبَبَ سِقُوطِ الشيطانِ هو الكِبرِياءُ، لذا الشَيطانُ يَرْغَبُ فيّ إسقاطِ الإنسانِ بنفسِ الداءِ. ويُشَّبِهِ القديسُ يوحنا الإنِسانَ المتكبرَ بالإنسانِ الأعَمى الذيّ فقد نورَ عَينيِه.

الخطية جُرح

كثيرًا ما يُشَّبِهِ القِديسُ يوحنا ذهبيُ الفمِ الخَطيئةَ بالجُرحِ πληγή أو الإصَابةِ τραῦμα، ويُشَّبِهُ الخّلاصَ منها بالعِلاجِ أو الدَواءِ φάρμακον والصورةُ عن القديسِ يوحنا ذهبي الفمِ مُمْتدةٌ فهو يَتَحدثُ عنْ جِراحاتٍ ويُظْهِرُ اللهَ طَبيباً مُداوياً تلك الجِراحاتِ بِدافعِ صلاحِه ἀγαθότης ومحبتِه للبشَرِ φιλανθρωπία .

الخطايا ليستْ سِواءً

يُمَيزُ القِدْيسُ يوحنا بين الخطايا الصغيرةِ والكبيرةِ (عظةُ ٣). وهو يُقارنُ بينَ مَنْ يَسرقُ ليأكلَ ومَنْ يزني بحثًاً عن لذةٍ زَائفةٍ، بينَ مَنْ يزني وهو مُحَصَنٌ بالزواجِ، فيَعْتبرٌ الزنا أشَّرَ من السرقةِ لكنَّ كليهما بالتأكيدِ شرٌ، ثم يستطردُ إلىَ أثرِ الخطيةِ فيّ وقوعِ الإنسانِ في اضطرابٍ وشكوكٍ.

المناظرُ الخليعةُ والشريرةُ

ينوهُ ذهبيُ الفمِ في أكثرَ مِنْ مَوضعٍ بالذكرِ إلىَ خطورةِ التَطَلُّعِ بالنظرِ إلى المَناظرِ الخليعةِ سواءً بالذهابِ لأماكنِ الخطيةِ كالمَسَارحِ الفَاجرةِ، ثم الذِهابِ إلى الكنيسةِ، لكنَّه في

موضِعٍ أخرَ لايعزوُ إلى الجمالِ عَلةَ الخِطيةِ بل إلى النَظرةِ الشِرِيرةِ، التي يرىَ أنها تُصِيبُ النَفْسَ التي تَنْظرُ بشرٍ، فيَبقيَ أثرُ هذه النظرةِ فيَ تلكَ النفسِ مِثلَ أثرِ السهمِ الذي يَخْتَرِقُ جَسدَ الفَريسةِ.

التَفْسيرُ التاريخيُ والتفسيرُ الرمزي

يَعمدُ القديسُ ذهبيُ الفمِ إلى طريقةِ التَفْسيرِ التاريخيِ والحَرفيِ لمَدْرَسةَ أنطاكيةَ، لَكنَّه في حالةٍ وحيدةٍ يَعْمَدُ إلى التفسيرِ النماذجي، حيثُ يري أن يَشوعَ كان نموذجًا وصورةً لشخصِ السِيدِ المَسيحِ، فيقولُ:

" ويَشُـــوعُ ذلـــك الـــذي وقَـــعَ عليـــه الاخِتيـــارُ كـــي يكـــونَ خَليفـــةَ موســـى بتعيـــين مـــن الله، وهـــو يمثـــل صـــــورةً ونموذجـــاً لمخلَّصِـــــنا الحقيقـــي يَسُـــــوعَ المســـيحِ، لأنَّـــه كمـــا أن ذاك قـــد عَبَـــرَ بالشـــعبِ مِـــنَ البَريـــةِ عَبْـــرَ الأردنِ إلـــى أرضِ الميعـــادِ، هكـــذا أيضًـــا مِخلَّصُـــنا (عَبَـــرَ بنـــا) مِـــنْ بريـــةِ الجَهـــلِ وعِبَـــادةِ الأوثـــان، عَبْـــرَ (بواســـطةِ) المَعْمُودِيـــةِ المُقَدَســـةِ والمُخلصِـــة، قـــد نَقلَنـــا إلـــي ملكـــوتِ

السماواتِ، إلــيَ أمِ الأبكـارِ، التـي فيهـا قـد أُعِـدتْ أمَـاكنُ الراحـةِ الحقيقيـةِ، حيـث المعيشـةُ السـلامية وغيرُ المُضْنيةِ"[٣٠]

يَتوسلُ هنا القِديسُ يوحنا تَعبيرَ εἰκόνα "أيقونةِ" و τύπος "نموذجِ" لتَعْبِيرِ عَنْ يَشُوعَ كرَمْزٍ للسيدِ المسيحِ.

وفي موضعِ أخرَ يَتَحَدثُ عَنْ سَبَبِ سِقوطِ الشِيطانِ بخِطيئةِ الكبرياءِ مستشهداً بنص إشَعياءَ "أَصْعَدُ فَوْقَ مُرْتَفَعَاتِ السَّحَابِ. أَصِيرُ مِثْلَ الْعَلِيِّ."[٣١] كما يشير بشكل عابر إلى رفض البعض لتفسير الرمزي إذ يقول: " إنَّ أولئكَ الذين لا يقبلونْ بسرورٍ التفاسيرَ الرمزيةَ، يشجبون شهادتي"[٣٢]

التَعْليمُ عَنِ الكَنيسةِ

يَصفُ القديسُ يوحنا الكَنيسةَ بعِدة ألقَابٍ جَمِيلةٍ وهي "أمُّنا كُلِّنا" و "أمُّ الأبْكارِ". وفي العِظةِ الرابعةِ يَصفُ الكنيسة بأنَّها أعَظمُ مِنَ السَمَاءِ. وأنَّ السماءَ قد جُعِلَتَ لأجلِ الكَنيسةِ وليس

---

[٣٠] العظة الأولي فقرة ٥

[٣١] أش ١٤: ١٤

[٣٢] العظة الثالثة فقرة ٣

العَكسُ، لأنَّ السَمَاءَ هي لأجلِ الإنسانِ وليس الإنسانُ قد خُلقَ لأجلِ السماءِ.

التَشْبيهَاتُ والصُوْرُ

تَحْفَلُ عِظَاتُ القديسِ يوحنا بكثيرٍ جدًا مِنَ الصِوّرِ والتَشْبيهاتِ والأمَثلةِ التي لا يَمْكنُ حَصْرُها، فمثلاً في إحدِ التشبيهاتِ نَجدُ هذا السَيلَ الجَارفِ مِنَ الصُورِ وهو يَتحدَثُ عَنْ زُوجةِ أيوبَ:

" فمـاذا فَعلـتْ؟ هـل هَـزتِ البُـرجَ؟ هـل أطاحـتْ بالمَـاسِ علـىَ الأرَضِ؟ هـلْ هزمَـتِ الصَـخرةَ؟ هـل جَرحـتِ الجنـدي؟ هـل ثَقَبـتِ السَـفينةَ؟ هـل قَلعْـتِ الشـجرةَ؟ لـمْ يَحـدثْ أيُ شـيئٍ مـن هـذا، فتلـك قـد تَحَطمـتْ ولكـنَّ البُـرجَ صـارَ أكثـرَ ثباتًـا، حقًـا هَيجـتِ الأمَـواجَ ولكـنَّ السَـفينةَ لـمْ تَغـرقْ، بـل أبحَـرتْ مـع الريـاحِ الهادئـةِ، فقـد قُطَفـتِ الثَمـرةَ والشـجرةَ لـم تَتَزحـزحْ، سَـقطتْ أوراقُهـا ،لَكـنَّ جُـذورَها بقـتْ ثابتـةً، وهـذا أقولُـه حتيَ لا يَتذْرعَ أحدٌ بشرورِ زوجتِه"

من تلك الفقرة نُلاحظُ قُدراتِ القديسِ يوحنا الخطابيةَ

والبلاغيَةَ، وقد حاولَنا تَجميعَ أهمِ الأمثلةِ التشبيهيةِ التي استَخدمَها خَطيبُ الكنيسةِ الأشَهَرُ في هذه العظاتِ، حتي يُلقي القارئ نَظرةً عليها.

في العظةِ الأولى

١) تشبيهُ نسيانِ الفلاحِ لتعبِهِ عندِ الحصادِ بالواعظِ الذي يَنسي تعبَهَ فرحًا بحماسةِ الحضورِ لسَمَاعِ الكلمةِ.

٢) تشبيهُ تناغمِ التَسبيحِ بريشةِ العازفِ.

٣) تَشبيهُ نَصيحةِ الآباءِ للابناءِ المطيعين بإرشاداتِ الواعظِ لجُمهورِ المُستمعين.

٤) تَشبيهُ استعدادِ التاجرِ لرحلةٍ طويلةٍ وقُبولِ مَخاطرِ العواصفِ.

فيّ العظةِ الثانيةِ

٥) تشبيهُ الأمِ المُرضعةِ التي جفَّ لَبنُ ثديها، بِفقرِالواعظِ فيّ تقديمِ ما يُرْضي جُمهورَ المِستمعين.

٦) تَشبيهُ حُراسِ القصرِ الملكي وراغبي مشاهدةِ بهائه، بمُشاهدةِ البهاءِ الإلهي.

٧) تشبيهُ استخراجِ الذهبِ مِنْ ترابِ الأرضِ، لتمييزِ الغثِ

مِنَ الثَمينِ.

٨) تشبيه راحةِ البحارةِ والمسافرين أثناء رحلتِهم، باحتياجِ المستمعين للعظةٍ لبعضِ الوقتِ للراحةِ.

٩) تَشبيهُ الخمرِ العتيقةِ والحديثةِ، بْحَدِيثِ المعلمِ فلافيانَ الشيخِ مقابلِ حديثِ القديسِ يوحنا الواعظِ الشابِ.

في العظةِ الثالثةِ

١٠) تشبيهُ اخِتلافِ مائدةَ الأثرياءِ عنْ مائدةِ الفقراءِ باختلافِ نوعيةِ العظةِ.

١١) تشبيهُ انطفاءِ المصباحِ عندَ تغذيتِهِ بكميةٍ زائدةٍ مِنَ الزيتِ كمثلِ إطِنَابِ الواعِظِ في الكلامِ.

١٢) تَشبيهُ مسابقةِ الخيلِ وانتظارِ الفرسانِ لتقديرِ الملكِ لَهم لا جمهورِ المشاهدين، كمَثَلِ المؤمنِ الذي يَنتظرُ مكافأةَ اللهِ لا الناسِ.

١٣) تَشبيهُ غفلةِ الماشي علىَ الحَبْلِ فيّ السيركِ، بمَنْ يَغفلُ في طَريقِ حياتِه الروحيةِ نحوَ السماءِ، مؤكدًا أنه كلما ارتفعَ الحبلُ زادتِ الخُطورةُ، كذلك كلما ارتفعَ الإنسانُ في الفضيلةِ وَجَبَ عليه الإحتراسَ.

١٤) تَشبيهُ مهاجمةِ القراصنةِ للسفنِ المُحَمَلةِ وتَرْكِ السفنِ الخاويةِ، بالشيطانِ الذي يُحاربُ النفوسَ الحاويةِ لكلِ أنواعِ الفضائلِ ويَتْرُكُ النفوسَ الخاويةَ من أيِ فضيلةٍ.

١٥) تَشبيهُ النظرةِ الشريرةِ بالسَهمِ الذي يُصِيبُ الغزالَ.

١٦) تَشبيهُ الأمِ التي تَضعُ الحلوي لأطْفالِهم فيّ جيوبِ مُعَلَّقَةٍ علىَ صُدورِهم بِطريقةٍ مُحَكَمَةِ الرَبطِ، حتى لا يقعُ شيءٌ مِنها، بالواعَظِ الذي يقومُ بتَلخيصِ محتوىَ العظةِ للمستمعين حتيَ لا ينسوا شيئًا منها.

في العظةِ الخامسةِ

١٧) تَشبيهُ دخولِ المُمَثِلِ المَسرحَ بدونِ رأسٍ، ببدايةِ الواعظِ للعِظةٍ بدونِ تَمهيدٍ.

١٨) تشبيهُ النَفسِ بالجَوَادِ الجَامحِ.

١٩) تَشبيهُ التأديباتِ الإلهيةِ بالجِراحاتِ الطبيةِ الضَروريةِ.

٢٠) تشبيهُ الجراحِ وسرعةِ إجراءِ الجِراحةِ، بزكريا الكاهنِ الذي صدَّ تَطَاولَ الملك عُزِّيًا بسرعةٍ وحَسْمٍ.

٢١) يَصفُ ذهبيُ الفمِ سَقْطاتِ القديسين بأنها "بهيةٌ" لأنَّه بسببِها تَظهرُ لنا روعةُ توبتِهم، فيُشَبهُ هذه السِقْطَاتِ

بالأجسادِ الجميلةِ عِندَ مَرَضِها تَظْهرُ آثارُ حُسْنِها.

٢٢) مَثَلُ أمَواجِ البحرِ العاتيةِ وذَوبانِها في النهايةِ وتَحُولِها إلى رغوةٍ، بثورةِ الملكِ عُزِّيًا التي آلتْ إلى لا شيءٍ.

في العظةِ السادسةِ

٢٣) مَثَلُ الربانِ الماهرِ الذي يُسَافرُ معَّ قَومٍ بهدفِ زيارةِ أكبرِ عددٍ مِنَ المدنِ، بالواعِظِ الذي يُقدمُ كلمةً غنيةً بالمعني الروحيةِ.

٢٤) تَشبيهِ الكتابِ بالثوبِ المنسوجِ مِنْ ذَهبٍ.

٢٥) تَشْبيه الحُرَاسِ الذين يمنعون الناسَ مِنْ مشاهدةِ موكبٍ ملوكيٍ، فيّ مقابلِ تَمتعِ مُسْتَمعي ذهبيِ الفمِ بمواصلةِ تَأمُلِهم فيّ المَشْهدِ الإلهيِ لرؤيا إشعياءَ.

٢٦) تَشْبيهُ الأيقونةِ الملكيةِ، التي يَزُولُ إعجبُنا ببريقِها بَعدَ التعودِ على رؤيتِها، على عكسِ مشاهدةِ المجدِ الإلهيِ.

في العظةِ الرابعةِ

٢٧) تَشبيهُ الواعِظِ بالفَلاّحِ الذي يلقي البِذارَ ويجني الحَصادَ.

٢٨) تَشبيهُ مَنْ يَمدحُ المَدينةَ وكنيستَها بسببِ غناها وعظمةِ مبانِيها وليس لتقوى شعبِها بمَنْ يَقطفُ الشَجرةَ مِنْ

أوراقِها وليس مِنْ ثمارِها.

٢٩) تَشبيهُ بدءِ العِظةِ بالإبحارِ

٣٠) تَشبيهُ العظةِ بالمائدةِ الفاخرةِ والممتلئةِ بالأطعمةِ.

٣١) تَشبيهُ مشقةِ رَجُلِ الغطسِ للحصولِ علىَ الحجارةِ الكريمةِ، بتحملِ المستمعِ مَشقةِ الحرِ والعرقِ فيّ سبيلِ الإنصاتِ للعظةِ.

٣٢) تَشبيهُ العشارِ والفريسي بسفينتين غَرقتْ إحدهما عَندَ الميناءِ والأخرى مرتْ بسلامٍ.

٣٣) مَثَلُ مهاجمةِ القراصنةِ السفنَ المحملةَ فقط وليستِ الفارغةَ، بالشيطانِ الذي لايُهاجمُ الخاطئ بل البارَ.

٣٤) تَشبيهُ الأخطاءِ الفرديةِ القاتلةِ للأطباءِ أو البحارةِ بأخطاءِ بعضِ الكهنةِ.

٣٥) تشبيهُ بَرصِ عُزِّيّا في جَبْهَتِهِ بالمرسومِ الملكيِ.

٣٦) تَشبيهُ امتناعِ النبوةِ بقطيعةِ الأحباءِ بسببِ حماقةٍ ما.

ويَضيقُ المَقَامُ هنا فيّ شرحِ مغزىَ كلِ تشبيهٍ ومَثَلٍ يقدمُهما ذهبيُ الفمِ فَيُمَكِنُ للقارئ الحبيبِ أنْ يُطالعَ النَصَ للوقوفِ علىَ قصدِ القديسِ يوحنا مِنْ كلِ مَثَلٍ.

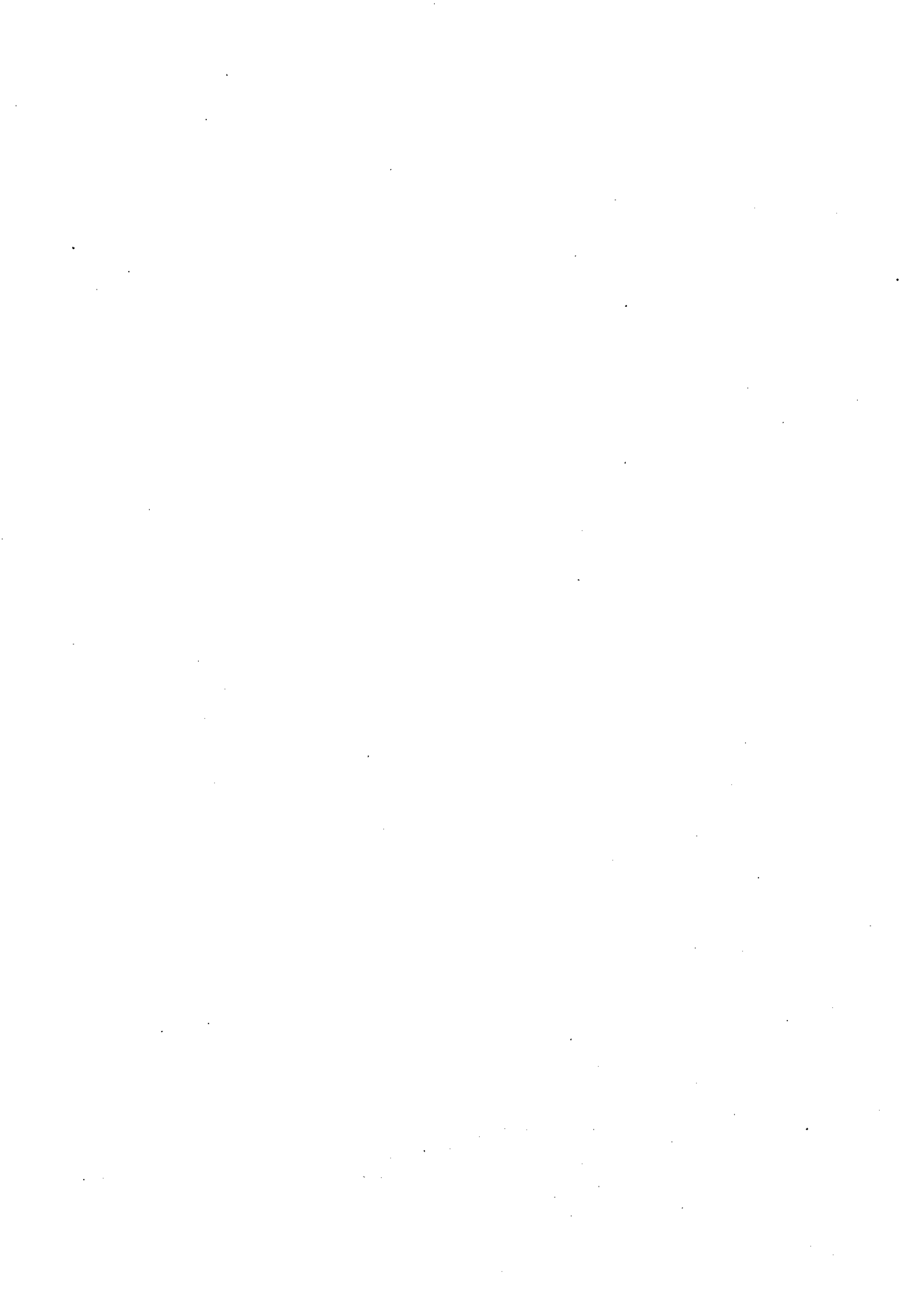
هذه الترجمة

قمْنا بالاستنادِ إلىَ النصِ اليوناني المُحْققِ فيّ مجموعةِ SC وقد استعْنا بالترجمةِ اليونانيةِ الحديثةِ للنصِ في مجموعةِ EΠE كما قمْنا بمراجعةِ بعضِ الفقراتِ الصعبةِ علىّ الترجمةِ الفرنسيةِ الحديثةِ في مجموعةِ SC وأيضًا علىَ الترجمةِ الإنجليزيةِ الصادرةِ حديثًا، كما استعْنا بالترجماتِ الفرنسيةِ القديمةِ الأخرى غَيرَ أنَّ النصَ الذي نقدمُه في النهايةِ لا يتبعُ أياً مِنْ هذه الترجماتِ بالضرورةِ سوىَ النصِ اليوناني الأصليِ. وقد بذلَ **الدكتورُ جورجُ عوضِ إبراهيمَ** مجهودًا كبيرًا في تدقيقِ الترجمةِ وتصحيحِها بالكاملِ علىَ النصِ اليوناني.

هذا وقد أضفْنا من عندنا العناوينَ الجانبيةَ للنصِ لتسهيلِ تقسيمِ الموضوعاتِ. أما العناوينُ الرئيسيةُ للعظاتِ فمِنَ الواضحَ أنها مَنْ وضعِ النُساخِ، وهي تَختلفُ فيّ بعضِ المخطوطاتِ وقد إلتزمْنا بالنصِ المحققِ في SC ووضعْنا في الهامشِ النصَ التقليديَ في PG. وقد وَضَعَنا بينَ قوسين (...) في صُلبِ النصِ ما رأينا إضافتَهُ علي النصِ الأصليِ لتوضيحِ المعني. وقد استحسْنا استخدامَ النصوصِ الكتابيةِ بحسبِ الترجمةِ العربيةِ الشائعةَ(فانديك) بدلاً مِنْ عملِ ترجمةٍ خاصةٍ لها، ما خلاَ بعضَ

نصوصَ العهدِ القديمِ التي رأينا أنَّه لا بدَ مِنْ وضعِ النصِ بحسبِ الترجمةِ السبعينيةِ، وقد أشرْنا لذلك في الهامشِ.

***



العظةُ الأولى

مـــديحٌ لِمَـــنْ يحضـــرون إلـــىَ الكنيســـةِ، وعـــن النظـــامِ أثنـــاء صـــلاةِ التماجيـــدِ، وعَـــنْ قـــولِ الكتـــابِ " رَأَيْـــتُ السَّـــيِّدَ جَالِسًـــا عَلَـــى كُرْسِـــيٍّ عَـــالٍ وَمُرْتَفِـــعٍ، وَأَذْيَالُهُ تَمْلأُ الْهَيْكَلَ."[٣٣]

مقدمةٌ عما يبديه الحُضُورُ من حماس عَندَ الإنصاتِ للعظاتٍ

١- أري أنَّكــم تُظهــرون حماسًـــا شــديدًا فـــي أنْ تجعلـــوا مـــا قلْنـــاه فـــي المَـــرةِ الســـابقةِ فـــي موضـــعِ التنفيـــذِ[٣٤]، ولـــذلك فـــإني أزرعُ بـــذارَ التعـــاليمِ غَيـــرَ عـــابئٍ بـــأي تعـــبٍ، وأنـــا مفعـــمٌ بآمـــالٍ صـــالحةٍ[٣٥]، لأنَّ الفـــلاحَ أيضـــا حـــينَ يَبـــذرُ باجتهـــادٍ البـــذارَ، ويـــرى بَعـــدَ ذلـــك

---

[٣٣] أش ٦: ١

[٣٤] هذا دليل على أن هذه العظة ليست الأولي في ترتيبها بين هذه المجموعة من العظات كما يرى الباحثون.

[٣٥] حرفيا : متغذيًا بالآمال الصالحة. χρησταῖς ἐντεῦθεν ταῖς ἐλπίσι τρεφόμενος

الأرضَ مزدهــرةً والحصــادَ وفيــرًا ،[٣٦] فإنَّــه ينســى تعبَــهُ السَــابقَ، وهــذا يدفعُــه إلــىَ المحافظــةِ علــىَ اســتمراريةِ العمــلِ لأجــلِ المكســبِ الــذي ينتظــرُه، فكَــمْ هــى غنيــةٌ هــذه الفِلاحَــةُ! لأنَّهــا تعمــلُ علــىَ تــوفيرِ الثمــارِ الماديــةِ التــي تــؤمِنُ الطعَــامَ للأجســادِ، بينَمــا الفلاحــةُ الأخــرى، حيــثُ نــزرعُ تعلــيمَ الأقــوالِ ونُنَمِــي مواهــبَ الــروحِ، فنضــمنُ غِنــى الــنفسِ بالطعــامِ الــذي لا ينضــبُ ولا يتَــدنسُ، وكــذلك لا يفنــى ولا يفســدُ مــعَ الــزمنِ، ولكنــه يُحفــظُ بعنايــةٍ لا توصــفُ، (مقــدمًا) الشــبعَ الروحــيَ[٣٧]، وهــذه هــي الفائــدةُ مِــنْ أتعــابي[٣٨]، هــذا هــو الغِنــى الــذي أحْصــلُ عليــه مِــنْ محبــتِكم، متطلعًــا فيــه أنَّ يــزدادَ فــأفرحَ علــى الــدوامِ، لأنَّنــي لا ألقــي بــذاري بــلا جــدوى، حتــىَ لا أصــبرَ علــى الأتعــابِ هبــاءً، إذ أنِّنــي أبــذرُ فــيّ أرضٍ خصــبةٍ وغنيــةٍ،

---

[٣٦] واحدة من تشبيهات القديس يوحنا الشهيرة هو تشبيه فائدة الكلمة بحصاد الفلاح.

[٣٧] حرفيًا : متعة ذهنية νοητὴν τὴν ἀπόλαυσιν

[٣٨] الفائدة : الاصطلاح اليوناني η ἐπικαρπία يعني ايراد أو ريع الأرض، وقد أستخدمه أفلاطون.

وصالحةٍ للإثمارِ.

مديحُ حضورِ تسبيحةِ الملائكةِ

فمِنْ أينَ أتوقعُ الفائدةَ؟ مِنْ أينَ أرى كلماتي تتحولُ إلى أفعالٍ؟ بالطبعِ مِنْ هنا، مِنْ هذا التجمعِ، وذلك بمِلئكم بكلِ هِمةِ الكنيسةِ، أُمِّنا كلِنا[٣٩]، وبانتصابِكم الدائمِ هنا طوالِ المساءِ، بتِقْدِيِّمكم التَمْجِيدَ غيرَ المنقطعِ إلى الخالقِ، مشابهين في هذا الجوقاتِ الملائكيةَ. إذ أنَّ عطايا المسيحِ؛ مُسْتَحِقٌّ منا كلِ إعجابٍ وتقديرٍ! ففي الأعالي يُسبحُ جُنودُ الملائكةِ، وعلى الأرضِ البشرُ في الكنائسِ في جوقاتٍ يُشْبِهُون أولئكَ الذين فيَ الأعالي (يُسَبِحون) بِنفسِ التمجيدِ؛ في الأعالي السَّرَافِيم يرتلون تَسبحةَ الثلاثةِ تقديساتٍ، وعلى الأرض جَمعُ البشرِ يُصعدون نَفسَ التسبحةِ، يُشكلون نفسَ الاحتفالِ المشتركِ بَينَ السمائيين والأرضيين، إفخارستيا واحدةٌ، مَسَّرَةٌ واحدةٌ وليتورجيا واحدةٌ مفرحةٌ.

---

[٣٩] التعبير باليونانية: ἐκ τοῦ τὴν μητέρα πάντων τὴν ἐκκλησίαν

وهــذه الألفــةَ والمــودةَ حققَهــا **السـيدُ** بتنازلِـه غيــرِ الموصــوفِ[٤٠]، **والــروحُ القــدسُ** أَلَــفَ هــذا التَنــاغمَ، ونَظَـمَ هــذا التوافــقَ بـينَ الأصــواتِ برضـىَ ومَسَّــرةِ **الآبِ**. فمِــنَ الأعــالي يــأتي توافــقُ أنغامِهــا، بواسـطةِ **الثــالوثِ**[٤١]، وهــذه الجوقــةُ تتحــركُ كمثــلِ ريشــةِ العــازفِ، فتُسَـبِبُ البهجــةَ والألحــانَ المُفَرِحَــةَ، والنَشِـيدَ الملائكــيَ والتوافــقَ غيــرَ المُنْقَطِــعِ. وهــذا يَحْــدُثَ كنتيجــةٍ لمــا تبـدون مِـنْ جِديـةٍ فـيّ الحضــورِ هـا هنـا، هـذه هـى ثمـرةُ اجتماعِنـا معًـا. لـذلك أَفـرَحُ عنـدما أنظـرُ الفَــرَحَ الروحــيَ والبهجــةَ الإلهيــةَ فــيّ نفوسِـكم. لأنَّــهُ مــا مِــنْ شــيءٍ يجعــلُ حياتَنــا مُبْهِجَــةً أكثــرَ مِــنْ فَــرَحِ الكنيســةِ، ففــي الكنيســةِ يُحْفَــظُ فَــرَحُ الفــرحين وأيضــا فــيّ الكنيســةِ تَفْــرَحُ نفــسُ أولئــك المتضــايقين، فــي الكنيســةِ تُسْــمَعُ اســتغاثةُ المنــزعجين، وفــي الكنيســةِ أيضًــا راحــةُ المتعبــين، لأنــه يَقــولُ : "*تَعــالَوْا إِلــيَّ يــا*

[٤٠] كناية عن تجسد السيد المسيح الذي حقق ألفة السمائيين مع الأرضيين.

[٤١] التعبير اليوناني: ὑπὸ τῆς Τριάδος

جَمِيعَ الْمُتْعَبِينَ وَالثَّقِيلِي الأَحْمَالِ، وَأَنَا أُرِيحُكُمْ."[٤٢]

هل يمكنُ أنْ توجدُ كلماتُ محبةٍ أعظمَ مِنْ هذه؟ فأيَّةُ مسرَّةٍ أعظمُ من هذه الدعوةِ؟ فعندما يدعوُكَ السيدُ للكنيسةِ فهو يدعوُك إلى التمتعِ الروحيِ! فإنَّه يدفعُك إلىَ الراحةِ بدلاً من الأتعابِ التي تُعاني منها. وهو يقودُكَ إلى التَحَرْرِ من أحزانِك، ويَرْفَعُ عنك حِمْلَ خطاياك، فالمتعةُ الروحيةُ تعالجُ الضيقةَ والفَرَحُ يعالجُ الحَزَنَ، فيالها مِنْ عنايةٍ فائقةٍ! ويالها مِنْ دعوةٍ سماويةٍ!.

فلنُسرعْ يا أحبائي، فيّ إظهارِ هذه الرَغبةِ العارمةِ ونُنَفذُها وفقَ ترتيبٍ ونظامٍ يتناسبُ مع الهدفِ اللائقِ بها. لأنني أَرْغَبُ اليومَ أن أبدأ الحديثُ بهذا الموضوعِ والذي يبدو بالتأكيدِ أنَّه مرهقٌ، ولكنَّه في حقيقةِ الأمرِ غيرُ متعبٍ بلْ ومُفيدٌ. وهذا ما يَفعلُه الأبناءُ المُحبِون مع أولادِهم سواءً الذين يُفرِحُون قُلُوبَهم ولو قليلاً أو الاولادِ

[٤٢] مت ١١: ٢٨

الـــذين يتســبِبُون فـــي حَـــزَنِهم، كمـــا أنَّهـــم لا يَنْصــحون فقــط الأولادَ الــذين يتجــاوبون مـــع إرَشــادِهم، بـــل أيضـــا يَنصـــحون الأولادَ الـــذين يُظْهِــرُون اســتياءَهم مِـــنْ تلـــك النَصـــائحِ، ولكـــنَّ عنـــدما يُتَممُونهـــا ينجـــون، فيتعلَّمـــون أنْ يســعوا فـــي حِفْــظِ هـــذه النصـــائحِ بعنايـــةٍ شَــديدةٍ. وهـــذه هـــى الحـــالُ بالنســبة لنـــا، فلهـــذا السَـــبَبُ نُوجـــهُ حـــديثَنا لكـــم، كـــي لا نُكابــدَ هـــذا التعــبَ بـــلا جـــدوىَ، ولكـــي لا نَضـــطرَ إلـــىَ أنَّ نصـــبرَ علـــىَ الســهرِ بـــلا طائـــلٍ[٤٣]، لكـــي لا يَتبـــددَ صَـــوْتُنا فـــيّ الهـــواءِ ويعـــودُ بالخســـارةِ لا الفائـــدةِ، ولا نكـــونْ كمثـــلِ تـــاجرٍ يَســـتعدُ لرِحلـــةٍ تُجاريـــةٍ طَويلـــةٍ، ويتلقـــى مَخـــاطِرَ العَواصـــفِ العَاتيـــةِ بســـببِ الهجُـــومِ الشَـــرِسِ للريـــاحِ، وتَهديـــدِ ارتفـــاعَ الأمَـــواجِ، فيُعـــاني مِـــنَ الصـــعوباتِ والتَعَـــبِ بـــلا طائـــلٍ، لأنـــه فـــي ســـبيلِ أن ينمـــي تجارتَـــه يعبـــرُ البِحـــارَ والأخَطْـــارَ العَاليـــةِ، ويَنْتَقْـــلُ مِـــنْ مَكـــانٍ إلـــى آخـــرَ

---

[٤٣] حرفيا: نلاكم بلا جدوى πυκτεύωμεν ἀνοήτως تقابلُ تَعبيرَ "نصارعُ طواحينَ الهواءِ"، يُلمّحُ ذَهبيُ الفمِ على الوقتِ الذي يَمْضِيه في إعدادِ عظاتِه وإرشادِه.

ويمضي الليالي بلا نومٍ. ولكنَّ إن كانَ يعلمُ أن هذا الازدِهارَ لنْ يُحْدِثَ هذا النِمو بل بدلاً مِنَ المَكسبِ يفقدُ كُلَّ أموالِه، فإنَّه لنْ يَقبلَ ولا حتىَ أنْ يشرعَ فيّ تلك الرِحلةِ ولا أنْ يعانيّ من المَخاطرِ المُتَعَدِدةِ.

السلوكُ المُشين للبعضِ أثناءَ الصلاةِ

٢- ونحنُ نُعَلِم هذا، ليتَنا نأتي إلىّ هنا بالخُشوعِ الواجبِ حتىّ لا نعودُ إلىَ البيتِ وقد زادتْ خطايانا بالفعلِ بدلاً مِنْ أنْ تُغْفَرَ. إذَنْ فما هو المطلوبُ منا؟ أقولُ أنَّه يَجِبُ أنَ نُقَدمَ تَسْبِيحَنا بمخافةٍ ونحنُ مُزَيَنون بكلِ تقوىَ. غيرَ أنَّه يُوجدُ آخرون هنا، الذينَ أَظُنُ أنَّ محبتَكم لا تَتَجاهلُهم، الذين يحتقرون اللهَ ويعتبرون كلامَ الروحِ كأنَّه بلا قِيمةٍ وأَمْرٌ مُعتادٌ للجميعِ، فيصدرون أصواتًا فَوضويةً، ويسلكون كالمَجاذيبِ فيستديرونَ بكلٍّ جَسَدِهم ويتجولونَ ويُقَدِمُونَ عاداتٍ غريبةً عما تَتَطلبُه روحانيةُ اللَحظةِ الراهِنةِ. أيها البائسُ التَعْسُ بينما يَجْبُ أنْ تُقَدمَ التَسْبِيحَ الملائكيَ الممتلئَ خوفًا

ورَعَدةً، وتَعتْرفَ للخالق بكلِ مخافةِ ورعدةِ مُتَوْسِلاً من أجَلِ مَغْفِرةِ خطاياك، ولكنَّك - للأسفِ- تَفْعَلُ هنا ما يفعلُه المُقَلدون (على المَسْرحِ) والراقصون، فتَرْفَعُ يداك بشكلٍ عشوائيٍ وتَرْكُلُ بقَدَميك وتَسْتدِيرُ بِجَسدِك ذهابًا وإيابًا، وكيفَ لا تَخافُ ولا تَرْتَعِدُ مُتَحَدِياً حديثَنا هذا؟ أفلا تفكرُ أنَّ السَيدَ الَربِ غَيرَ المَرئي حاضرٌ هنا، يُسَجِلُ حركةَ كلِ واحدٍ ويَفْحَصُ الضمائرَ؟ ألا يُفَكرون أنَّ الملائكةَ حاضرون علىَ هذه المَائدةِ المُهَابَةِ، ويعتنون بها بمَخَافِةٍ؟ ولكنَّك لا تَفكرُ فيّ هذه الأمُورِ، لأنَّ ذِهْنَكَ قد إظْلَّمَ بسَببِ ما تَسْمَعُه وتَشاهدُه في تلك المَسَارحِ[٤٤]، وبذلك تَخْلِطُ بينَ كلِ ما يَحْدُثُ هناك وبينَ ما يَحْدُثُ هنا فيّ الكنيسةِ، لذلك فالصِياحُ غيرُ المَفْهُومِ يُظْهِرُ عَدَمَ انِضْباط نَفْسِك المُتَرَنِحَةِ، فكيف ستَطلبُ غُفْرَانَ خطاياك؟ كَيفَ ستُناشدُ الرَبَ أنْ

[٤٤] لا يقصد القديس يوحنا المسارح التي تقدم فنًا راقياً بل تلك الأشبه بالملاهي الليلية الآن، حيث كانت تلك المَسارحُ تُقْدمُ الخلاعةَ والدّعارةَ.

يُشْفِقَ عليكَ وأنت تُقَدِمُ تضَرُعَكَ بهذا القدرِ من الاستِهْزَاءِ؟ فتَقولُ "ارحَمني يا إلهي" ومعَ ذلك تُظْهِرُ سُلوكًا غيرَ جَديرٍ بالنِدمِ، تَصَرخُ "خَلِصني" وأنْتَ تظْهِرُ بِمظْهَرٍ أبْعَدَ ما يَكونُ عَنْ الخَلاصِ، فما فَائدةُ الأيادي المَرْفوعَةِ لأعَلى دَائِمَةً أثْنَاءَ التَضُرعِ، وهي تَطُوفُ عَبَثًا، وكذلك بماذا تُسَاهِمُ الصَرَخَاتُ العَاليةُ، التي بواسِطَةِ اللهْثِ العَنيفِ المتلاحِقِ، تَصِيرُ تَمْتَمَةً بلا مَعْنَى؟ فهذه ليستْ إلا أفْعَالاً تَصْدُرُ مِنْ نساءٍ واقِفاتٍ علىَ زوايا الطُرقِ، أو مِنَ اللواتي يَصْرُخْنَ في المَسارحِ.

فكيفَ تَتَجاسرُ أنْ تَخْلِطَ بينَ التَمْجِيدِ المَلائكي وبينَ ألعَابِ الشياطينِ؟ وكيفَ لا تَخْجَلُ حينَ تَتَفوهُ هناك بمِثلِ تلك الأقْوالِ، قَائلاً: "اعْبُدُوا الرَّبَّ بِخَوْفٍ، وَاهْتِفُوا بِرَعْدَةٍ."[٤٥] وهذا يعني أنْ نَتَعَبَّدَ بمَخَافَةٍ، فأنتَ تَتَكاسَلُ وتَتَرنَحُ ولا تَعْرِفُ عِنْ أي شيءٍ تَتَحَدَثُ بصوتٍ فوضويٍ؟ وهذه عَلامَةُ على

[٤٥] مز ٢: ١١

التَهَاونِ وليس على المَخَافِةِ، الغِرُوْرِ وليس الاتِضاعِ، وهذه صِفةٌ مَنْ يُعبثون وليس مَنْ يُسبحونَ.

معنى أنْ نَتَعَبَّدَ للهِ بمِخافِةٍ.

إِذَنْ، فما معنى أن نتعبَّدَ للرب بمخافةٍ؟ هذا يعني أن نُتَمِمَ كلَّ وصيةٍ بمَخافِةٍ وخُشُوعٍ وأنْ نُقَّدِمَ تَضرعَاتِنا بقلبٍ مُنسَحْقٍ وذهنٍ مُتَواضِعٍ، وليسَ فقط أن نَتَعَبَّدَ بمَخَافِةٍ، بل أنْ نَبتَهِجَ بِرعِدةٍ، كما يُعِلنُ لنا الرُوْحُ القُدسُ بواسطِةِ النبيِ لأنَّ تَطْبِيقِ الوَصِيةِ يُسَبِّبُ عَادةَ الفَرَحِ لمن يُمَارِسُها، فأقُولُ، يَجِبُ أنْ نُتَمّمَ هذه الوَصيةَ بِرعِدةٍ ورَهَبَةٍ، لئلا نَمْزَجَها بِعَدِمِ الخوف فتُصْبِحَ أتَعابُنا بَاطلةً، فنُغِضْبَ اللهَ أيضًا.

تَمَازُجُ الفَرَحِ معَ الرِعدةِ في العِبادَةِ.

كيف يُمكِنُنا القُولُ بأنَّ نَخْتَبِرَ البَهْجَةَ معَ الرِعْدةِ؟ كيفَ يُمْكنُ أنْ يَحُدْثَ الأمران معًا لأنَّ بينهما اختلافًا شَاسِعًا، لأنَّ الفَرَحُ هو أنْ نُدَاوِمَ على

تَتْمِـيمِ الأمـورِ التـي نَرْغَـبُ فيهـا بِشَـغِفٍ، وأنْ نَتَمَتَّـعَ بمـا هـو مُـبِهِجُ ونَنْسـىَ كـلَ مـا هـوَ مُتِعِـبُ، بينمـا الخَـوْفُ هـو فـي وَطـأةُ البَلايـا التـي نَتَوْقَعَهـا علينـا، وكـذلك فـيّ تَأنِيـبِ الضَـمِيرِ. فَكيـفَ إِذَنْ سـوفَ نَبْـتَهِجُ بـالخَوْفِ أو بـالحري لـيس بـالخَوُفِ فحسـبْ بـل بالرِعـدةِ أيضًـا التـي هي شِدَةُ الخَوفِ، وعَلامَةٌ علىَ التَوَتُرِ الشَدِيدِ؟

السَّرَافِيم يسبحون بفرحٍ ورعدةٍ

فكَيـفَ يَحُـدثُ هـذا ــ كمـا يقُـولُ (لنـا الـنَصُ)؟ السَّـرَافِيمُ أنَفُسُـهم يُعَلِمُونَـكَ ذلـك عَمَلِيًـا عِـنْ طَرْيـقِ تَتْمِـيْمِهم خَدمـةَ (التَسْـبْيحِ) هـذه، لأنَّ أولئـكَ يَتَمَتَعُـون بالمَجِـدِ غيـرِ المَوْصـوفِ للخَـالِقِ، إذ ينظـرون الجَمَـالَ الخَـلابَ كمـا فـي مِـرْآةٍ، وهـو بالتأكيـدِ جَمَـالٌ لـيسَ بحسَـبِ طَبيعتِـه (الإلَهيـةِ)ـ، لأنَّ هـذا الجَمْـالَ غيـرُ مُـدرَكٍ ولا مرئـيٌ ولا ذو هيئـةٍ ومِـنَ العَبَـثِ أنْ نُدركَـه هكـذا ولا هـم فـي مكانـةٍ أنَ يـدركُوه ــ إلا بِقْـدرِ مـا يسـتطيعون أنْ يسـتنيروا مـن ذلـك الضـياءِ الصـادرِ مِـنْ هـذا الجَمَـالِ الإلهـيِ، وبسَـببِ أنَّهـم يَخْـدمون بـلا

انْقِطَــاعٍ حَــوْلَ العــرْشِ الملــوكي، يَحْيــون فــيّ فَــرَحٍ دائــمٍ ومَسَّــرَة أبديــةٍ، وبَهْجــةٍ بــلا انقطــاعٍ. لأنَّهــم قِيــامُ أمــامَ ذلــك المَجْــدِ، ويضــيئون مِــنَ اللمَعَــانَ الــذي يَشْــعُ منــه، وهــذا بالنِســبَةِ لهــم فَــرَحٌ، وبَهْجــةٌ، مَسَّــرةٌ، ومَجْــدٌ، وربمــا أنــتمْ قــد شَــعَرْتم بشــيءٍ مِــنَ اللــذةِ وتَشْــتَهون ذلــك المَجْدَ.

تفسيرُ أيةِ : "رَأَيْتُ السَّيِّدَ جَالِسًا عَلَى كُرْسِيٍّ عَال وَمُرْتَفِعٍ"

٣- ولكــنَّ إنْ أردْتــم أنْ تَسْــتَمِعوا إلــى نَصــائحي وأنْ تقــدمُوا هــذا التَمْجِيــدَ بكــلِ خشــوعٍ، فلــنْ تُحْرَمُــوا مــن هــذا الفَــرَحِ، لأنَّ الــربَ نفْسَــه الــذي يُمجَّــد فــي السَــماواتِ وعلــى الأرضِ، هــو يَقُــولُ "الســماءُ والأرضُ مملوءتــان مِــنْ مَجْــدِهِ"[٤٦] فكيــفَ إذَنْ لمَــنْ يَتَقَّبلــون فرحًــا مِثْــلَ هــذا أنْ يَمْزُجــوه بالمَخافــةِ؟ فــانْظُرْ مــا يقولُــه النبــيُ: "رَأَيْــتُ السَّــيِّدَ جَالِسًــا عَلَــى كُرْسِــيٍّ عَــال وَمُرْتَفِــعٍ"[٤٧] فــلأي سَــببٍ يقــول "عَــال" ويُضِــيفُ

[٤٦] أنظر أش ٦: ٣

[٤٧] أش ٦: ١

أنــه "مرتفــعٍ"، فهــل لأنَّــه لــمْ يَسْــتَطِعْ بكلمــة "عــال" أنَّ يُعَّبِــرَ عَــنْ حَقِيْقَــةِ وعَظْمَــةِ اسْــتِحقاقِهِ؟ فلمــاذا إذَنْ يُضِــيْفُ كلمِــةَ "مرتفــعٍ"؟ أقُــولُ : لكــي يُظْهِــرَ العَــرْشُ غَيــرُ المُــدرَكِ، لأنَّــه بالنِسْــبَةِ لنــا فــإنَّ كلِمَــةً "عــال" تــوحِي بمعنــى العُلُــو بالمُقَارنــةِ بالتــدني والانِخْفــاضِ، كمِثْــلِ الجِبــالِ مَرْتَفِعَــةً مقارنــة بســهولِ ووديــانِ الأرض، وأنَّ السَــماءَ هــي مُرْتَفِعــةٌ علــى كــلِ الأرْضِــياتِ، بينمــا كلمــة "مرتفــعٍ" وكلمــة "فَــائِقُ العلــوِ"[٤٨] تُشــيران فقــطْ إلــيِ الطبيعَــةِ غَيْــرِ المدرَكَــةِ، التــي مِــنْ غَيْــرِ المُمْكِــنِ أنْ نَفْهمَهــا أو نَشْــرَحَها، لــذلك يقــولُ: "رَأَيْــتُ السَّــيِّدَ جَالِسًــا عَلَــى كُرْسِــيٍّ عَــال وَمُرْتَفِعٍ".

السَّرَافِيمُ ذَوو الأجْنِحَةِ حَوْلَ العَرْشِ الإلهي

ومــاذا رأيْــتَ أيضًــا أيهــا النبــيُ؟ مــاذا رأيْــتَ حَوْلَــه؟ يَقُــولُ: "السَّــرَافِيمُ وَاقِفُــونَ حَوْلَــهُ" فــأيَ شــيءٍ

---

[٤٨] يستخدم القديس يوحنا كلمة ἐπηρμένος لتعبير عن "مرتفع أو متعال"، وكلمة: ὑπερυψωμένος "فائق العلو".

كانوا يفعلون؟ وأيَ شيءٍ كانوا يقولون؟ وأيةَ جَرَأةٍ كانوا يملكون؟ فيَقُولُ أنَّهم لمْ تكن لَهم أيةُ جرأةٍ علىَ الإطِلاقِ، بل كانوا مُمْتلئين مَخَافَةً وتَعُجبًا وبانتصابِهم هذا كانوا يُظْهِرُون مَخَافتَهم. لأنَّهم بِجْنَاحين يغطون وجُوهَهم، كمَنْ يحتمون بَساترٍ مِنَ البَهَاءِ المُنْبَعْثِ مِنَ العِرْشِ، لأنَّهم لم يَستَطِيعوا أنْ يَتَحْمَلوا المَجْدَ المُتَدَفِقَ، وفيّ نَفْسِ الوقَتِ يُظْهِرون خُشوعًا أمامَ الرَبِ.

لماذا يُغطي السَّرَافِيمُ وجوهَهم وأرجلَهم؟

وبهذا الفَرَحِ يَبْتَهِجُ أولئكَ، بهذه البَهْجَةِ يُسَّرون، وليستْ وجُوهُهم فقط التي يُغَطُونَها بل أرُجلُهم أيضًا. فلماذا يفعلون ذلك؟ إنَّهم يُغطون وجُوهَهم بالطَبعِ بِسَبَبِ الخَوفِ الذي يُسَّبِبُهُ المَشْهَدُ الإلهيُ، وأيضًا لأنَّهم لا يَسْتطيعون أنْ يُحَّدِقوا فيّ المَجْدِ الذي لا يُدنى منه، لكن لماذا يُغَطُون أرجلَهم؟ تَفْسيرَ هذا الأمَرِ قد أردْتُ أنْ أتركَه لَكم، حتىَ تَجْتَهِدوا أنْ تَجدوا له حلاً، حتىَ تَسْهَروا على

البحث في المَوضوعاتِ الرُوحيةِ، ولكنَّ لكي لا أتْرُكَكم تَشغلونَ أنْفَسَكم بهذه القضيةِ، فتُهملوا نصائحي، فرأيتُ أنَّه مِنَ الضروريِ أنْ أُفَسرَهُ لكم، فلمِاذا إذَنْ يُغطَون أَرْجُلَهم؟ إنَّهم يريدون أنْ يَظْهَرُوا نَحْوَ الخَالقِ الخُشُوعَ الذي هو بالتأكيدِ غَيْرُ كَافٍ (أمَامَ مَجدِ اللهِ) ، فيحاولون أنْ يُظْهِرُوا جهادًا شديدًا وذلك بِواسِطةِ مَنْظَرِهم وأصَواتِهم ووجُوهِهم وأيضا بِوَقْفتِهم ذَاتِها، ولكنَّ لأنَّهم لا يستطيعون هكذا أنْ يصْلوا إلى ما يرغبون مِما يَجِبُ (مِنْ درجةِ الخشوعِ)، فلذلك يُغَطُون هذا العَجْزَ عَنْ طَريقِ تَغْطِيَةِ كُلِّ جُزْءٍ (مِنْ أعْضَاءِ جَسَدِهم)[٤٩].

فياليتَكم تستوعبون هذا الذي قُلتُه، أمَ يَجِبُ علَيَّ أنْ أُكَررَه؟ ولكنَّ لكي يَصْبِحَ الأمرُ جَلِيًا سوفَ أحاولُ بأمْثِلَتي الخَاصةِ أنْ أوَضْحَه أكثرَ، فعادةً

[٤٩] في سوف يعطي تفسيرًا أخرَ لتغطيةِ أرُجلِهم، حيثُ يَقولُ إنَّهم يغطون أرْجلَهم لأنَّهم لا يستطعون احتمالَ قوةَ اللمَعانِ المُنبَعِثِ مِنَ العرْشِ الإلهي، فيحاولون تغطيةَ كلِ جُزْءٍ مِنْ أجسادِهم السمائيةِ، ونُلاحظُ أنَّه يَنْتقلُ مِنَ الحَديثِ عَنْ حركةِ السَرَافيِم فيّ تَسْبيحِهم، إلىَ حَركاتِ أجْسَادِ الناس وَقتَ الصَلاةِ التي يَنْتَقدُها.

عنـدما يوجـدُ أَحـدٌ قُـدامَ المُلُـوكِ الأرضـيين يُحَـاولُ بكـلِ طاقتِـه أنْ يَقَـدِّمَ لَهـم كـلَ إجـلالٍ وتُـوقيرٍ، حتـيَ يَسْـتَدرُ عطفَهـم علَيْـه بهـذه الطريقـةِ، وهكـذا فبانِحنـاءِ الـرأسِ وتَربِيـعِ اليـدين وضـمِ الـرِجلين وبرهبـةٍ وحيـاءِ الجسـدِ كلِـهِ يُظْهِـرُ التَـوّقِيرَ والإجِـلالَ، ونَفْـسُ الأمـرِ يَحُـدثُ أيضًـا مِـنْ قِبَـلِ القُـواتِ غِيْـرِ الجسـدانيةِ، لأِنّ عنـدَهُمْ رَغْبَـةً عَظِيمَـةً فـي الخشـوعِ أمـام الخـالق، محـاولين أنْ يظهـروا ذلـك الخشـوعَ بشـتىَ السُـبلِ، ولأنَّهـم لا يَسـتطيعون تَحقيـقَ رغَبـتِهم هـذه فـيّ الخشـوعِ اللائـقِ، فيَلجئـون إلـي إخِفـاءِ بقيـةِ رغبـتَهم بِغَطـاءِ، لـذلك يُقَـالُ إنَّهـم يُغَطـون وجُـوهَهم وأرُجلَهـم، وإنَّ كـانَ هنـاك تَفْسـيرٌ أخـر أكثـرَ سـرائريةٍ يُمكـنُ أنْ يُقَّـدَمَ عِـنْ هـذا المَوّضُـوعِ. وهـو أنَّهُـم لا يَمْلِكـون أرْجُـلاً أو وُجُوهـاً (مِثْلَنـا)، - لأنَّهـم بِـلا أجْسَـادٍ مِثْـلِ أي كـائنٍ رُوحـيٍ-، غَيـرَ أنَّـه يَتَحْـدّث عَـنْ هـذا الأمَـرِ حتـىَ يُبَـرْهِن مِـنْ كُـلِ النـواحي أنَّ السَّـرَافِيمَ خَجُوْلـون ويَخِـدِمُون الـربَ بخَوْفٍ وخُشُوعٍ.

ضَرورةُ خُشوعِ الجَسدِ فيّ العِبَادةِ

وهكـــذا يَجْـــبُ عَلَينـــا أنْ نَقْـــفَ مُنتصـــبين عِنْـــدَما نُقَـــدّمُ التَمْجِيـــدَ، خـــائفين ومُرْتَعِـــدين، وكأنَّنـــا نَنظـــرُ بعيـــونِ أذَهَنِنـــا الـــربَ ذاتَـــهُ، لأنَّـــه يُوْجـــدُ هنـــا بِكُـــلِ تأكيـــدٍ مَـــنْ لا يَحُـــدهُ مَكـــانٌ ومَـــنْ يُسَـــجِلُ أصْـــواتِ الجَمِيـــعِ. وهكـــذا يَجْـــبُ عَلَينـــا أنْ نُصْـــعِدَ التَمْجِيـــدَ بِقَلـــبٍ مُنكَسِـــرٍ ومُتَضِـــعٍ، وأنْ نُقَدِمَـــهُ ونَحـــنُ فـــيّ مَوْضِـــعِ التَرْحِيْـــبِ كمَثْـــلِ شَـــذَا البُخْـــوُرِ العَطِـــرِ نُرْسِـــلُهُ للسَـــمَاءِ. لأنَّـــه يَقُـــولُ: "قلـــبٌ مُنْكَســـرٌ ومُتَوَاضِـــعٌ لا يُرْذِلُـــه اللهُ"[٥٠] ولَكْـــنَّ النَبـــيَ يَقْـــولُ لَنـــا أنَّـــه يُشْـــجِعُنا أنْ نُقَـــدْمَ التَمِجْيـــدَ بِهِتَـــافٍ: "اِهْتِفِـــي ِللهِ يَـــا كُـــلَّ الأَرْضِ!"[٥١] ونحـــنُ لا نُرِيـــدُ أنْ نّمْنَـــعَ الهُتَـــافَ، بـــل الصُـــراخَ غَيْـــرَ المَفهـــومِ، لـــيسَ أصـــواتِ التَمْجِيْـــدِ بـــل الأصَـــوَاتِ غَيْـــرَ المُنْسَـــجِمَةِ والمَشَـــاحَناتِ المُتَبَادَلـــةَ (بَـــينَ أصَـــواتِ المصـــلين)، والأيـــادي التـــي تَرتَفْـــعُ فـــي الهـــواءِ عَبَثـــاً وبـــلا سَـــبَبٍ

---

[٥٠] مز ٥٠: ١٩

[٥١] مز ٦١: ١

والرَكْـــلَ بالأقـــدامِ[٥٢]، والسُـــلُوكَ غَيْـــرَ اللائـــقِ والشَـــائِنِ، وكـــأنَّهم فـــي إحـــدى الملاهـــي كتلـــكَ التـــي يَضَّـــيعُ فيهـــا النَـــاسُ أوقَـــاتِهم كالمَسْـــرحِ أو ســـباقاتِ الخَيْـــلِ، ومِـــنْ هنـــاك دَخَلـــتْ (إلينـــا) أصْـــواتُ غيـــرِ الاتقيـــاءِ والغَوْغَـــاءِ، ومِـــنْ هنـــاك تَسْـــرَبَّتْ إلينـــا الحركـــاتُ غيـــرُ المُنْضَـــبِطَةِ والنِزَاعَاتُ والمُشَاحَنَاتُ والسُلُوكُ غيرُ المُنْضَبِطِ.

مَخَاطْرُ التَطَّلعِ إلى المَشاهِدِ النَجْسةِ

٤ـ لأنَّـــه لا شـــيئًا يَجعلُنـــا نَـــزْدَرِي بِكـــلامِ اللهِ، مِثْـــلُ التَطلّـــعِ إلـــىَ مُشَـــاهَدَةِ (تلـــكَ) المَنَـــاظِرِ هنـــاكَ. لـــذلك فقـــد تَوَسَـــلتُ إلـــيكم فـــيَ عَدِيـــدٍ مِـــنَ المـــرَاتِ، أنَّـــه يَجِـــبُ علـــىَ أيِ شَـــخْصٍ يَـــأتي إلـــيَ هُنـــا لَيَتَمْتَـــعَ بالتَعَـــاليمِ الإلَهيـــةِ ويُشَـــارِكُ فـــيَ الذَبِيحـــةِ الإلهيـــةِ والمَهَابـــةِ، ألاّ يَـــذْهَبَ إلـــيَ تلـــكَ المَسَـــارحِ وألاّ يَمْـــزِجَ الأسْـــرَارَ الإلَهِيـــةَ

---

[٥٢] التعبير باليونانية τοὺς ἱππαζομένους πόδας، ويعني حرفيا: "الأرجل الراكبة الخيل"، في الترجمة اليونانية الحديثة، ترجم إلى: "الأرجل الموضوعة واحدة فوق الأخرى" (أي بشكل غير لائق)، وفي الترجمة الفرنسية: "ركوب الخيل"، وفي الإنجليزية: "الركل بالأقدام".

بالمُمَارَسَاتِ الشَيْطَانيةِ. فكَثيرٌ مِنَ النَاسِ قد تَملكتْهُم الحَمَاقَةُ حتى بالرغمِ مِنْ أنَّهم يَتَظَاهرون بمَظْهرِ التَقْوى[٥٣] وقد تَقَدَمَ بهم العُمْرُ، ويذهبون لتلك الأمَاكنِ، ولا يعيرون كَلامي أيَ اهتِمَامٍ، ولا يَستَحون مِنْ مَقَامِهم، ولكنَّهُ عندما نُنَبِهِهم لذلك وَنَحُثُّهُمْ أنْ يَحترمُوا شِيْخوخَتَهم ووقَارَهم، فهَلْ تعرفون ما هو رَدُهم الفَاترُ ومُبَررُهم السَخَيفُ؟ يقولون أنَّ ما يُقَّدَمُ لهو مِثَالٌ للانِتِصارِ القَادمِ والتَتويجِ، وإنَّنا نَجْني فَائدةً جَمْةً مِنْه. مَاذا تَقُولُ يا رجلاً؟ وهذا الرَدُ (نَسَمَعُه بِشِكلٍ) مُكَرَرٍ وهو مُمُتلئٌ خِدَاعًا، فمِنْ أينَ تُجْنَيَ الفَائِدةُ؟ هلْ مِنْ تلكَ الشِجَاراتِ العَديدةِ، والْقَسَمِ والتَفُوْهِ بأقَوالٍ شِريرَةٍ التي تَصِيرُ هكذا بشْكلٍ عَشْوائيٍ وبلا هَدَفٍ؟ أمْ مِنَ السِبَابِ والتَجْدِيفِ والكَلامِ البَذِئِ الذي يُلَطِخُ به الواحِدُ الآخرَ من أولئك الذين يُشَاهِدون تِلكَ المَنَاظرَ؟ ولكنَّ إنْ كَانتْ (الفَائِدةُ) لا تَأتي مِنْ هذه

[٥٣] حرفيا: يلبسون ثيابَ التقوى.

الأمُـــوْرِ، فهـــلْ سَـــتْأتيكَ مِـــنَ الصْـــرَخَاتِ غَيْـــرِ المُنْضَـــبِطِةِ، والصِـــيَاحِ غِيـــرِ المَفْهُـــومِ، والغُبَـــارِ المُتْصَـــاعِدِ أو مِـــنْ أولئـــكَ الـــذينَ يِحَتَشِـــدون ويَسْـــتَمِتْعون بِمَظَـــاهَرَ غَيْـــرِ لائقِـــةٍ ثـــم يَتظـــاهرون بالحَيَـــاءِ أمَـــامَ النِســـاءِ؟ ولكـــنَّ الأمَـــرَ هنـــا (فـــي اجْتماعِنـــا) لـــيسَ كـــذلك، لـــيسَ كـــذلك[٥٤] حَيـــثْ تَجِـــدُ كَـــلَ الأنْبِيـــاءِ والمُعلمـــين يُظهـــرون لـــك رَبَ المَلائِكـــةِ نفسَـــه وهـــو جَـــالِسٌ عَلـــىَ عَـــرْشٍ عَـــالٍ ومُرْتَفِـــعٍ، الَـــربُ الـــذي يَهِـــبُ المُكَافـــآتِ للمُسْـــتَحِقين، ويُـــوَّرِثُ الجَحِـــيْمَ والنـــارَ لِغَيْـــرِ المُسْـــتَحِقِين، والـــرَبُ ذَاتُـــه يُؤكِـــدُ علـــىَ ذلـــك. ثـــم تِـــزْدَري بِكُـــلِ تلـــك الأمَـــوُرِ، التـــي مِـــنْ بَيْنِهـــا رَهْبَـــةُ الضَـــمِيرِ والنَـــدَمُ عَلـــى أفْعَـــالِ المَاضـــي، وإعْطَـــاءُ حِسَـــابٍ بِشَـــأنِ مسْـــئولياتِك وحَتْمِيـــةُ العُقُوبَـــةِ. ولكـــيّ تَجْـــدَ مبـــررًا لنزواتِـــكَ غيـــرِ المَعْقُولـــةِ، فإنَّـــك تَـــدَّعِي أنَّـــك تَسْـــتَفِيدُ بتلـــكَ الأمُـــوْرِ التـــي لا يُمْكِـــنُ أنْ تَكْـــونَ نَافِعَـــةً. ولكـــنَّ أرْجُـــوُكُم وأتَوَسَـــلُ

---

[٥٤] "ولكنَّ الأمْرَ ليسَ كذلك، ليس كذلك" بِحسبِ النَصِ المحققِ SC ولا وجودَ لها في النصِ التقليدي PG

إلـــيكم دَعْونـــا لا نَـــتَحَجَجُ بأعْـــذَارٍ وَاهيـــةٍ لِنُبَـــرْرَ مـــا نَرْتَكِبَـــه مِـــنْ خطايـــا، لأن تلـــك الأعـــذارَ والخِـــدعَ هـــي التي تسَبِّبُ لنا الأذى.

الأحَادِيثُ الجَانْبِيةُ وَقْتَ الصلاةِ فيَ الكَنَيسةِ

ولكـــنَّ لأنَّنـــا قـــدْ وَصَـــلْنا لهـــذا الحَـــدِ، فقـــد حَـــانَ الوقْـــتُ لأنْ نَعْـــودَ إلـــي النَصْـــيحَةِ السَـــابِقَةِ[٥٥]، وبَعْـــدَ أنْ أتَحَـــدَثُ قَلِـــيلاً فِيهـــا، ســـوفَ ألقـــي كَلمَـــةَ الخِتَـــامِ الوَاجِبـــةَ للعِظَـــةِ. لأنَّ (المَسْـــألةَ) هنـــا غَيـــرُ مُتَعَلِقَـــةِ فقـــط بانِعْـــدَامِ النِظْـــامِ بـــل بمَـــرضٍ أخـــرَ مُخِيـــفٍ مُضَـــلِّلٍ، فمـــا هـــو يـــا تُـــرى؟ فبينمـــا يَعْقُـــدون النيـــةَ علـــىَ الصَـــلاةِ للهِ ويُرســـلونَ إليـــه التَمَاجِيـــدَ، إلا أنَّهـــم بَعْـــدَ قليـــلٍ يتركـــون ذلـــكَ ويبـــدأُ كُـــلُّ واحـــدٍ مـــعَ قريبِـــهِ فـــي تَســـويةِ مَشَـــاكِلِهما الخاصـــةِ التـــيّ فـــيّ بيتِهمـــا أو فـــيّ الســـوقِ، أو فـــي البَلديـــةِ، أو فـــي المَسْـــرحِ أو فـــي الجِـــيشِ، إذ يَتَحْـــدَثان عَـــنْ كيفيـــةِ تَرتِيـــبِ تلـــك الأمُـــورِ، وكَيـــفَ أمْضَـــيا وَقْتَهمـــا هنـــاكَ ومـــا هـــو زائـــدٌ أو نَـــاقِصٌ فـــي أعَمِالِهمـــا، وبِشْـــكلٍ عَـــامٍ يَتَحْـــدثان

---

[٥٥] يَقصدُ العَودة للحَديثِ عَنْ العِبادةِ بِخُشوعٍ ووقارٍ.

هنا عَنْ كُلِّ الموضوعاتِ المُشْتَركةِ والخَاصةِ بِهما. فأيُ أسَفٍ واعْتِذارٍ يُمْكِنُ أنْ يُبررَ ذلك السُلُوكَ؟ فمثلا مع المُلُوكِ الأرْضيين عِندَما يُحَدِثُهم أحدٌ فأنَّه يَتَحْدثُ فقط في الأمُورِ التي يُسْمَحُ لَهُ بِها هذا الملكُ الأرَضيُ، ولكنَّ إذ تَجرَأ أنْ يَسْألَ فيّ أمرٍ أخرَ دُونَ أنْ يَأخُذَ مُوافَقةَ ذاك المَلِكِ، فسَوفَ يُكَابْدُ أشَّدَ العِقَابِ، بينما أنتَ تُحَدِّثُ مَلِكَ المِلُوكِ، الذي تَعْبُدُهُ المَلائكَةُ برِعْدةٍ، فتَتَركُ الحَدِيثَ معه حتىَ تَتَحَدثُ عَنِ الطِينِ والتُرَابِ و(أمُورٍ واهِيةٍ كَخُيُوطِ) العُنْكبُوتِ، لأنَّ هذه هي حَقَيقةُ الأمُورِ الحَاضِرةِ، وكَيفَ تَحْتَمِلُ عِقَابَ ازدرائِك هذا ومَنْ سوف يُنَّجِيكَ مِن هذه العُقُوبَةِ؟

سُوءُ الْأَحْوَالِ لا يَعْودُ إلىَ بَلادَةِ الحُكَامِ بل في خطايانا

ولكنْ كما يَقولون فإنَّ شِئونَ وأمُورَ مَعْيشَتِنا تَسِيرُ بِشْكِلٍ سيءٍ[56]، وتَشْغَلُنا كَثِيرًا هذه

[56] يُلَمِحُ القِدِيسُ يوحنا ذهبيُ الفمِ هنا إلى سوءِ الأحَوالِ الاقْتِصَادِيةِ التي كانتْ تَمُرُ بها البِلادُ آنذاك. راجع المُقدِمة.

الأمُــــورُ، ونُكَابِــــدُ كَثِيــــرًا لأجلِهــــا، فمــــا هــــو السَــــبَبُ؟ ســـتَقُولُ السَـــبَبَ فـــيّ بَـــلادةِ[٥٧] الحُكَـــامَ، ولكنَّـــهُ فـــيّ الحَقِيَقـــةِ فـــإن السَـــببَ لـــيسَ فـــي بَلادتِهـــم بـــل فـــي خطيئتِنـــا نحـــنُ، وارْتَكابِنـــا تلـــكَ الـــذُنُوبَ التـــي قَلَبَـــتِ الأوْضَـــاعَ رأسًـــا علـــىَ عَقِـــبٍ، تلـــك التـــي سَـــبَّبَتْ كُـــلَ الشِـــرُورِ، وجَلْبَـــتِ الحُـــرُوبَ، وأدَتْ إلـــيّ الهَـــزَائمِ. فكَثْـــرَةُ الشِـــرُورِ التـــي أصـــابتْنا لـــمْ تَغْمُرْنـــا مِـــنْ مَكَـــانٍ أخـــرَ ســـوىَ مِـــنْ هـــذا السَـــبَبِ، فحتـــىِ لـــو كـــانَ شَـــخْصٌ مِثْـــلَ إبـــراهيمَ هـــوَ الـــذي يَحُكْـــــمُ، أو مُوســـــىَ، أو دَاودَ، أو سُـــــليمانَ الأكْثَـــــرِ حِكمَـــةً، أو حتـــىَ أكَثَـــرِ النَـــاسِ عـــدلاً، طالمـــا نَسْـــلُكُ نحـــنُ بوَقَاحـــةٍ، ويكـــون هـــذا الحـــاكمُ لا عَلاقـــةَ لـــه بِعِلـــةِ الشُـــرُورِ. كَيـــفَ وبـــأيّ طَرِيقـــةٍ يَحْـــدُثُ ذلـــكَ؟ فبـــافْتِراضِ أنَّ الحَـــاكِمَ يُعَـــدُ مِـــنَ العُصـــاةِ، فـــإنَّ سَـــلْبِيتَنا وفَوْضَـــويِتَنا هـــي التـــي صَـــنَعَتْه هكـــذا، إنَّ خِطِاياـــا سَـــبَبُ هـــذا الجُـــرْحِ. لأنَّـــه إنَّ كـــانَ لـــدينا رُؤسَـــاءٌ علـــىَ هَوَانـــا فَهْـــذا لا يَعْنِـــي شـــيئًا أخـــرَ ســـوى أنَّنـــا قـــد حَصُـــلْنا علـــىَ هـــذا

---

[٥٧] ἀβουλία أي بلادة وحماقة أو التهاون وفقدان الإرادة.

الـــرَئيسِ كَنَتِيْجـــةٍ لخطايانـــا السَـــابِقْةِ، ســـواءَ كـــانَ هـــذا الـــرَئيسُ مِـــنَ الكَهْنَـــةِ أو مِـــنْ حُكَـــامِ السُـــلَطاتِ المدنيـــةِ. ولكـــنْ حتـــىَ لـــو كـــانَ بـــارًا لدَرَجـــةِ فَضِـــيلةِ مُوســـى لا يُمْكِـــنُ لهـــذا البِـــرِ أنَّ يُغَطـــي مُخَالفَـــاتِ مُواطِنِيـــهِ التـــي لا حَصْرَ لها.

مُوسيَ النَبيُ لمْ يَفْلَحْ مَعَ شَعْبٍ خَاطئٍ

وهـــذا مـــا يُمْكِـــنُ التَأكِيّـــدُ عَلَيـــه مِـــنْ (قصـــة مُوسَـــى نفسِـــهِ، الـــذي كـــانَ قـــد احْتَمَـــلَ كَثِيِّـــرًا مِـــنَ الأتْعَـــابِ لأجـــلِ الشَـــعْبِ الإسِـــرْائيلي، وقَـــدّمَ كَثِيِّـــرًا مـــنِ التَضْـــرُعَاتِ إلـــىَ اللهِ لأجَـــلِ هـــذا الشَـــعْبِ، حتـــىَ يـــتَمْكنَ مِـــنْ أنْ يَـــرِثَ الأرْضَ التـــيّ قـــد وَعَـــدَهمُ اللهُ بِهـــا، ولكـــنْ عنـــدَما صَـــارَ اسْـــتِيلاءُ هـــذا الشَـــعْبُ علـــىَ هـــذِهِ الأرضِ بَعِيْـــدَ المَنَـــالِ بِسِـــبَبِ مَخَالَفَتِـــهِ للشَـــرِيعَةِ، لـــم تَسْـــتَطِعْ طِلبَاتُـــهُ أنَّ تُغَيْـــرَ حُكْـــمَ اللهِ العَادِلِ،فسَـــقَطَ كُـــلُ الشَـــعْبِ فـــيَ البَرِيَـــةِ، علـــىَ الـــرُغْمِ مِـــنْ أنَّـــه لـــمْ يكَـــنْ هنـــاك مَـــنْ هـــو أَكْثَـــرُ بِـــرًا مِـــنْ مُوْسَـــى أو مَـــنْ لـــه دَالَـــةٌ عَنْـــدَ اللهِ أَكَثَـــرَ

مِنْــــهُ، إذ يُقَـــالُ أنَّ طِلبَـــاتِ الصِـــدِّيقِ قَـــادِرَةٌ[٥٨]. لكـــنْ عنـــدَما تَكُـــونُ فَعّالـــةً، أيُ عنـــدَما تَكـــونُ مَصْـــحُوبَةً بِتَوْبَـــةِ ورُجُـــوْعِ أولئك الـــذين صَـــارتِ الطِلِبَـــةُ لأجْلِهـــم. أمـــا أولئـــك الـــذين لا يَتُوْبُـــونَ ولا يَرجِعُـــون فَكيـــفَ ستُسَـــاعِدُهم إِذَنْ تلـــكَ الطِلبـــاتُ طالمـــا أَنَّهُـــم أَنْفُسُـــهم يُعِيْقُونَها بأعْمَالِهم (الشرِيرةِ)؟

٥- ولكنَّـــهُ لمِـــاذا نَقُـــولُ أنَّ هـــذا يَحْـــدُثُ مـــعَ كُـــلِ الشَـــعَبِ عنـــدَما يُخَـــالفُ الشَـــرِيْعَةَ، علـــى الـــرُغْمِ مِـــنْ أنَّ الخَطِيئَـــةَ كانـــتْ بسَـــبَبِ نَفْـــرٍ قَلِيْـــلٍ مَـــنْهم، أو فـــي كَثِيْـــرٍ مـــن المَـــرَاتِ فـــإنَّ وَاحـــدًا فقـــط هـــو الـــذي يَتَطـــاولُ مُتَجَـــاوِزًا الحـــدَ علـــى مَـــنْ يَحْكُمُـــونَ بِالعَـــدْلِ؟ وهـــذا مـــا يُمْكِـــنُ أنْ يَفْهَمَـــهُ المَـــرْءُ مِـــنَ الشَـــعْبِ الإسَـــرائيلي نَفْسِـــه، الـــذي كـــانَ يَقُـــوُدُهُ مُوْسَـــى عنـــدَما اجِتَـــاحَ أرضًـــا لشِـــعُوبٍ غَرِيبَـــةٍ، واشْـــتَبَكَ فـــيّ المَعْرَكَـــةِ، لأنَّ بَعْضَـــهم قـــد جُـــنَّ بالنِساءِ وصَاروا سَببًا فيّ قَتْلِ ودَمَارِ كُلِ الشَعْبِ.

---

[٥٨] راجع يع ٥: ١٦ "طِلْبَةُ الْبَارِّ تَقْتَدِرُ كَثِيرًا فِي فِعْلِهَا"

وهَــذا أيضًــا قــد حَــدَثَ عِنْــدما أخطــأ واحــدٌ مِــنهم، مِثْــلُ مــا حَــدَثَ فــي حَالــةِ عَخَــانَ بْــن كَرْمِــي[٥٩] بَعــدَ أنْ سَــلبَ الحُلــيَ المُلْونَــةَ المُحَرَمَــةَ عَلــيهم ممــا تَسَــبَّبَ فِــي جَلْــبِ غَضَــبِ اللهِ عَلَــى الشَــعْبِ. رُبَمــا بَعْــضُ الحُضُــورِ هنــا يَجْهَلُــون هَــذه القِصْــةَ، لــذلك يَنْبَغِــي أنْ أتَحَــدَثَ قلــيلاً عــن هــذا المَوْضُــوعِ، حتــى يَتَــذَكرَ الــذين يَعْرِفُــونَ هــذه القِصْــةِ ولِكــيّ أُعَرِّفَهــا لمَــنْ يَجْهَلُونها.

لقــد كــاَنَ عَخَــانُ هــذا وَاحِــدًا مِــنَ الــذين عَبِــروا الأرْدْنَ مــعَ يَشُــوعَ، ويَشُــوعُ ذاك هــو الَــذي قــد وَقَــعَ عَليــه الاخْتِيَــارُ كــيَ يَكْــونَ خَلِيفَــةَ موســى وذلــك بَعْــد أنْ عُــيِّنَ مِــنَ اللهِ، وهــو يُمَثْــلُ صُــوَرَةً ونَمُوْذجًــا لمُخلِّصِــنا الحَقِيقــيِ يَسُــوعَ المَسِــيحِ[٦٠]، لأنَّــه كمــا أنَّ ذاك قّــد عَبَــرَ بالشَــعْبِ مِــنَ البَرْيــةِ مِــنَ خِــلالِ نَهْــرِ الأُرْدُنِ إلــىَّ أرْضِ

---

[٥٩] أنظر يش ٧: ١

[٦٠] هنا يستخدم القديس يوحنا تعبير εἰκόνα "أيقونة" ، τύπος "نموذج" لتعبير عن يشوع كرمز للسيد المسيح.

المِيعَـــادِ، هكـــذا أيضًـــا مُخَلِّصُـــنا، قـــد نَقَلَنـــا مِـــنْ بَرْيَـــةِ الجَهْـــلِ وعِبَـــادِةِ الأَوْثَـــانِ مِـــنْ خِـــلالِ المَعْمُوديـــةِ المُقَدَّسَـــةِ والمُخَلِّصَـــةِ، إلـــى أورُشَـــليمَ العليـــا[٦١]، أم الأَبْكَـــارِ[٦٢]، التـــي فيهـــا قَـــد أُعِـــدَّتْ أمَـــاكنُ الرَاحَـــةِ الحَقِيقِيـــةِ، حَيـــثُ تُوْجَـــدُ حَيَـــاةُ الهُـــدُوءِ والسَـــلامِ[٦٣]، أمـــا يَشُـــوعُ بَعْـــدَ أنْ عَبَـــرَ مـــع الشَـــعْبِ ـ بِقُـــوةِ اللهِ الـــذي قَـــد أعْطَـــاه الوَصِـــيةَ-

---

[٦١] يُشِيرُ القِدِيسُ يوحنا إليَ الكَنِيسةِ المُقَدَسةِ بِهذا التَعْبِيرِ τὴν ἄνω Ἰερουσαλὴμ أي "أورُشَاليمَ العليا" إليَ ما ذَكَرَه القِدِيسُ بولسُ الرسولُ في رِسَالتِه إلى أهلِ غَلاطِيةَ، عِنْدما قَارَنَ بَيْنَ هَاجِرَ وسَارَةَ كَوْنَ الأولى تُشِيرُ إلى أورُشَليمَ الحَاضِرةِ، أي العَهْدِ القَدِيمِ حَيْثُ أرْضُ العُبُودِيةِ وبَيْنَ الأخِيْرَةِ سارَةَ التي تُشِيْرُ إلي أوْرُشاليمَ العُلياَ أي العَهْدِ الجَدِيْدِ فيَقُولُ: " قُولُوا وَلكِنِّي كُنْتُ أُرِيدُ أَنْ أَكُونَ حَاضِرًا عِنْدَكُمُ الآنَ وَأُغَيِّرَ صَوْتِي، لأَنِّي مُتَحَيِّرٌ فِيكُمْ! لِي، أَنْتُمُ الَّذِينَ تُرِيدُونَ أَنْ تَكُونُوا تَحْتَ النَّامُوسِ: أَلَسْتُمْ تَسْمَعُونَ النَّامُوسَ؟ فَإِنَّهُ مَكْتُوبٌ أَنَّهُ كَانَ لإِبْرَاهِيمَ ابْنَانِ، وَاحِدٌ مِنَ الْجَارِيَةِ وَالآخَرُ مِنَ الْحُرَّةِ. لكِنَّ الَّذِي مِنَ الْجَارِيَةِ وُلِدَ حَسَبَ الْجَسَدِ، وَأَمَّا الَّذِي مِنَ الْحُرَّةِ فَبِالْمَوْعِدِ. وَكُلُّ ذلِكَ رَمْزٌ، لأَنَّ هَاتَيْنِ هُمَا الْعَهْدَانِ، أَحَدُهُمَا مِنْ جَبَلِ سِينَاءَ، الْوَالِدُ لِلْعُبُودِيَّةِ، الَّذِي هُوَ هَاجَرُ. لأَنَّ هَاجَرَ جَبَلُ سِينَاءَ فِي الْعَرَبِيَّةِ. وَلكِنَّهُ يُقَابِلُ أُورُشَلِيمَ الْحَاضِرَةَ، فَإِنَّهَا مُسْتَعْبَدَةٌ مَعَ بَنِيهَا. وَأَمَّا **أُورُشَلِيمُ الْعُلْيَا**، الَّتِي هِيَ أُمُّنَا جَمِيعًا، فَهِيَ حُرَّةٌ. (غلا ٤: ٢١-٢٦).

[٦٢] التعبير باليونانية هو : τὴν μητέρα τῶν πρωτοτόκων أم الأبكار

[٦٣] نُلاحِظُ هنا أنَّ القِدِيسَ يُوحنا ذَهَبِيَ الفَمِ يَسْتَخْدِمُ التَفْسِيرَ النَمَاذَجِيَ، الخَاصةَ بِمَدَرسةِ الإسْكَندِرْيةِ، وليس بمَدْرَسَةِ أنطَاكِيةِ. انْظُرِ المُقَدِمَةَ ص ٥٠- ٥١.

هَـــاجَمَ أرِيحَـــا وشَـــرَعَ فـــيّ حَصَـــارِها بِطَرِيْقَـــةٍ عَجِيْبَـــةٍ[٦٤]، وبَيْنَمـــا كانـــتِ الأَسْـــوَارُ بِالفِعْـــلِ فـــي طَرِيْقِهـــا للانْهِيـــارِ، مَـــاذا قَـــالَ للشَـــعِبِ: "فَتَكُـــونُ الْمَدِينَـــةُ وَكُـــلُّ مَـــا فِيهَـــا مُحَرَّمًـــا لِلـــرَّبِّ. رَاحَـــابُ الزَّانِيَـــةُ فَقَـــطْ تَحْيَـــا هِـــيَ وَكُـــلُّ مَـــنْ مَعَهَـــا فِـــي الْبَيْـــتِ، لأَنَّهَـــا قَـــدْ خَبَّـــأَتِ الْمُرْسَـــلَيْنِ اللَّـــذَيْنِ أَرْسَـــلْنَاهُمَا."[٦٥] يَقُـــولُ "يُحَـــرَّمُ" كُـــلُ مـــا فـــي المَدِينَـــةِ، لأنَّ هـــذا يُعْنـــي "مُحَـــرَّمٌ"[٦٦]، فـــلا يَأخُـــذُ أحَـــدٌ مَـــنِ الأشْـــيَاءِ المُحَّرَمَـــةِ مِـــنْ قِبَـــلِ الـــربِ الإلـــهِ، كـــيّ لا يَمْحُوَنـــا مِـــنْ عَلـــى وَجْـــهِ الأَرْضِ. إذَنْ الوَصِـــيةُ التـــي أمَـــرَ بِهـــا اللهُ والتـــيِ شَـــرَعَها يَشُـــوْعُ كانـــتْ خَطِيـــرَةً، وصَـــرامَةُ اللهِ كانـــتْ شَـــدِيدةً. كَيْـــفَ كـــانَ مِـــنَ المُمْكِـــنِ فـــي وَسَـــطِ هـــذا الجَمْـــعِ الضَـــخْمِ ألا يَخَـــالفَ أحَـــدٌ هـــذه الشَـــرِيْعَةَ، فِـــي الوقْـــتِ الـــذي كـــانَ هنـــاك كَثِيْـــرٌ مِـــنَ الأمُـــوْرِ قـــد تَـــدَفَعُهم لـــذلك؟ لأنَّـــهُ أمـــا بِسَـــبَبِ انْعِـــدَامِ الاسْـــتِقْرارِ وجَشَـــعِ الشَـــعْبِ أو لأنَّهـــم لـــمْ يَسْـــمَعُوا جَمِيعًـــا الوَصِـــيةَ التـــي قـــد

[٦٤] كناية عن دوران الشعب سبع مرات حول أسوارها حتى انهارت.

[٦٥] يش ٦: ١٧

[٦٦] التعبير باليونانية ἀνάθημα أناثيما

أُعطِيَـت لَهـم، أو بِسَـبَبِ تَعَـدُدِ الغَنَـائِمِ، التـي صـارَتْ كطُعْـمٍ أمَـامَهم، فَـأَغْوَتَ الطَـامِعين، الأمَـرُ الـذي دَفعَهـم إلـى اِرْتِكـابِ التَعـدي. ومـع ذلـك فـإنَّ هـذه الشَـرِيْعَةَ قـد فُرِضَتْ عَليهم، وعُلِقَ خَطَرُ التَعْدي فَوْقَ رؤوسِهم.

فمَـاذَا حَـدَثَ إذَنْ بَعْـدَ ذَلـك؟ انْهَـارَتِ الأسَـوَارُ وكُـلُ مُمْتَلَكَـاتِ المَدِينَـةِ سَـقَطَتْ فـي يَـدِ مُحَاصِـرِيها. بيْنَمـا كُـلُ الشَـعْبِ قـد حَفَـظَ هـذه الوَصِـيةَ، فـإنَّ تَعـدي فَـرْدٍ واحَـدٍ قـد سَـبَبَ غَضَـبَ اللهِ علـى الشَـعْبِ كُلِـهِ. لأنَّـه قَـالَ: " وَخَـانَ بَنُـو إِسْـرَائِيلَ خِيَانَـةً فِـي الْحَـرَامِ، فَأَخَـذَ عَخَـانُ بْـنُ كَرْمِـي بْـنِ زَبْـدِي بْـنِ زَارَحَ مِـنْ سِـبْطِ يَهُـوذَا مِـنَ الْحَـرَامِ، فَحَمِـيَ غَضَـبُ الـرَّبِّ عَلَـى بَنِـي إِسْـرَائِيلَ."[٦٧] أَلَـيْسَ واحَـدٌ فقـط هـو الـذي خَـانَ، فَكَيْـفَ إذَنْ يَقُـولُ[٦٨]: " وَخَـانَ بَنُـو إِسْـرَائِيل" و "فَحَمِـيَ غَضَـبُ الـرَّبِّ عَلَـى بَنِـي إِسْـرَائِيلَ". فَـانْظُرْ كَيْـفَ أنَّ

[٦٧] يش ٧: ١

[٦٨] النص المحقق في SC مختلف عن PG الذي يسقط منه سطر

خَطِيئَــةَ فَــرْدٍ وَاحْــدٍ قــد أَدَتْ إلــيّ عُقُوْبَــةِ[٦٩] الشَــعْبِ كُلِــهِ؟ وكَيْــفَ أنَّ الخَطِيئَـــةَ دَفَعَـــتِ اللهَ إلـــىّ مُحَارَبَـــةِ الجَمْـــعِ؟ فِعِنْـــدَما حَـــدَثَتِ الخَطِيئَـــةُ التـــي لا يَعَلَمُهـــا أحـــدٌ ســـوىَ اللهِ وحَـــدَهُ، العَـــارَفِ بالخَفَايَـــا، فَتَـــأتِي بِـــلا شَـــكٍ العُقُوْبَـــةُ فـــي القَرِيـــبِ العَاجِـــلِ، أمـــا ذاك الـــذي ارتكـــبَ تلـــكَ الفِعْلَـــةَ وظَـــنِّ أَنَّـــهُ ســـوفَ يَفْلِـــتُ، - مـــعَ أنَّ ضَـــمِيْرَه كـــانَ يَحْتَـــرِقُ فـــي دَاخِلِـــهِ، كـــأنَّ فـــي صَـــدْرِهِ نَـــارًا- فَقَـــدْ حَانَـــتْ سَـــاعَةُ العَقَـــابِ وفَضْـــحِ الخَطِيئَـــةِ. لأَنَّـــه يَقُـــولُ: "وَأَرْسَـــل يَشُـــوعُ رِجَـــالاً مِـــنْ أَرِيحَـــا إِلَـــى عَـــايَ الَّتِـــي عِنْـــدَ بَيْـــتِ آوِنَ شَـــرْقِيَّ بَيْـــتِ إِيـــلَ، وَكَلَّمَهُـــمْ قَـــائِلاً: «اصْـــعَدُوا تَجَسَّسُـــوا الأَرْضَ» . فَصَـــعِدَ الرِّجَـــالُ وَتَجَسَّسُـــوا عَـــايَ. ثُـــمَّ رَجَعُـــوا إِلَـــى يَشُـــوعَ وَقَـــالُوا لَـــهُ: «لاَ يَصْـــعَدْ كُـــلُّ الشَّـــعْبِ، بَـــلْ يَصْـــعَدْ نَحْـــوُ أَلْفَـــيْ رَجُـــل أَوْ ثَلاَثَـــةُ آلاَفِ رَجُـــل وَيَضْـــرِبُوا عَـــايَ. لاَ تُكَلِّـــفْ كُـــلَّ الشَّـــعْبِ إِلَـــى هُنَـــاكَ لأَنَّهُـــمْ قَلِيلُـــونَ» . فَصَـــعِدَ مِـــنَ الشَّـــعْبِ إِلَـــى هُنَـــاكَ نَحْـــوُ ثَلاَثَـــةِ آلاَفِ رَجُـــل، وَهَرَبُـــوا أَمَـــامَ أَهْـــلِ عَـــايَ. فَضَـــرَبَ

---

[٦٩] عقوبة باليونانية : τιμωρία

مِنْهُمْ أَهْلُ عَايَ نَحْوَ سِتَّةٍ وَثَلاَثِينَ رَجُلاً، وَلَحِقُوهُمْ مِنْ أَمَامِ الْبَابِ إِلَى شَبَارِيمَ وَضَرَبُوهُمْ فِي الْمُنْحَدَرِ. فَذَابَ قَلْبُ الشَّعْبِ وَصَارَ مِثْلَ الْمَاءِ."[70]

٦- فانْتَبِهْ لما سَبَبَتْهُ خَطيئةٌ واحَدةٌ، انْتَبِهْ لجُرْحٍ لا يَنْدَملُ، ففَرْدٌ واحَدٌ قد أخطأ ومعَ ذَلكْ فالمَوْتُ والرِعدةُ قد سَقطَ فِيهما كُلُّ الشَعْبِ. فلماذا هذا يَا ربُ يا مُحِبَ الصَلاَحِ[71]؟ فأنتَ وحدَكَ العادلُ وأحْكَامُكَ مستَقِيمةٌ، أنتَ تُجَازِي بِالعَدْلِ كُلَّ واحَدٍ وفقًا لأعْمَالِهِ، فأنتَ يا مُحِبَ البَشِرِ قد قُلْتَ أنَّ كُلَّ فَرْدٍ يَمُوْتُ علي خَطِيئتِهِ هو ولا يُعاقَبُ شخصٌ بَدَلاً عَنْ شَخْصٍ أخرَ. فما هي إذَنْ دَيْنُوْنَتُكَ العَادِلَةُ؟ فَكُلُ شيءٍ عِنِدَكَ صَالِحٌ، وصَالِحٌ جدًا ومُرَتْبٌ وفقًا لفائدَتِنا. فَالخَطِيئةُ - كَمَا يُقَالُ- هي دَمَارٌ، فَلْيُصَبْ بالعُقُوْبَةِ إذَنْ الجَمَيعُ، كيّ لا تُدَمِرَهم الخَطِيئةُ جَمْيعًا، حتيَ تُدرِكوا كمْ مِنَ العَوَاقِبِ الوَخِيمَةِ

[70] يش ٧: ٢-٥

[71] "يا محب الصلاح" باليونانية : φιλάγαθε

يُسَــبِّبُها تَعَــدٍ واحَــدٌ، وحتــى تَتَجَنَّبُــوا العِقَــابَ الــذي لا نِهَايَــةَ لــه بِسَـبَبِ خطايــاهم الكَثِيْــرَةِ. لمــا رأي يَشُــوعُ – كمــا يَقُــولُ الكِتَــابُ- الهُــرُوْبَ غَيْــرَ المُبَــرَّرِ (لجَيْشِــهِ) مَــزَقَ ثِيَابَــهُ، وسَــقَطَ عَلَــى الأرْضِ يَرْثِــي ذاك الرَثَــاءِ الذي يَذْكُرُه الكِتَابُ المُقْدَسُ.

فبَمــاذا يُجِيْبَــهُ الــرَّبُ؟ : " قَــدْ أَخْطَــأَ إِسْــرَائِيلُ، بَــلْ تَعَــدَّوْا عَهْـدِي الَّـذِي أَمَــرْتُهُمْ بِــهِ، بَــلْ أَخَــذُوا فَقَــال الــرَّبُّ لِيَشُــوعَ: «قُــمْ! لِمَــاذَا أَنْــتَ سَــاقِطٌ عَلَــى وَجْهِــكَ؟ مِــنَ الْحَــرَامِ، بَــلْ سَــرَقُوا، بَــلْ أَنْكَــرُوا، بَــلْ وَضَــعُوا فِــي أَمْتِعَــتِهِمْ. فَلَــمْ يَــتَمَكَّنْ بَنُــو إِسْــرَائِيلَ مِــنَ الثُّبُــوتِ أَمَــامَ أَعْــدَائِهِمْ. يُــدِيرُونَ قَفَــاهُمْ أَمَــامَ أَعْــدَائِهِمْ لأَنَّهُــمْ مَحْرُومُــونَ، وَلاَ أَعُــودُ أَكُــونُ مَعَكُــمْ إِنْ لَــمْ تُبِيــدُوا الْحَــرَامَ مِــنْ وَسَــطِكُمْ."[٧٢] أمــا الــذي فَعَــلَ ذلــك التعــدي فقــد كَشَــفَهُ الــرَّبُ وأظْهَــرَهُ أمَــامَ كُــلِ الشَــعْبِ، واعَتَــرَفَ ذلــك بِفِعْلَتِــهِ، لأنَّ عَخَــانَ أجَــابَ يَشُــوْعُ قــائلاً : «حَقًّــا إِنِّــي قَــدْ أَخْطَــأْتُ إِلَــى الــرَّبِّ إِلــهِ إِسْــرَائِيلَ وَصَــنَعْتُ كَــذَا

---

[٧٢] يش ٧: ١٠-١٢

وَكَـذَا. رَأَيْـتُ فِـي الْغَنِيمَـةِ رِدَاءً شِـنْعَارِيًّا نَفِيسًـا، وَمِئَتَـيْ شَـاقِلِ فِضَّـةٍ، وَلِسَـانَ ذَهَـبٍ وَزْنُـهُ خَمْسُـونَ شَـاقِلاً، فَاشْـتَهَيْتُهَا وَأَخَـذْتُهَا. وَهَـا هِـيَ مَطْمُـورَةٌ فِـي الأَرْضِ فِـي وَسَـطِ خَيْمَتِـي، وَالْفِضَّـةُ تَحْتَهَـا»[٧٣] فقـد أَظْهَـرَ إِذَنْ كُـلَ شـيءٍ وذلـكَ لأَنَّـه رأي أنَّ (اللهَ) هـوَ الـذي كَشْـفَ عَنـه فَلَـمْ يستطِع الإنْكـارَ، لأنَّـه كـانَ تَحْـتَ رِقَابـةِ عَنيفَـةٍ، فِانْتَبِـهْ كَيْـفَ كانَـتْ عُقُوبَـةُ المَـوْتِ مُهِيْنَـةً وبَشِـعَةً. فَيَقْـولُ: " فَأَخَـذ يَشُـوعُ عَخَـانَ بْـنَ زَارَحَ وَالْفِضَّـةَ وَالـرِّدَاءَ وَلِسَـانَ الـذَّهَبِ وَبَنِيـهِ وَبَنَاتِـهِ وَبَقَـرَهُ وَحَمِيـرَهُ وَغَنَمَـهُ وَخَيْمَتَـهُ وَكُـلَّ مَـا لَـهُ، وَجَمِيـعُ إِسْـرَائِيلَ مَعَـهُ، وَصَـعِدُوا بِهِـمْ إِلَـى وَادِي عَخُـورَ. فَقَـالَ يَشُـوعُ: «كَيْـفَ كَـدَّرْتَنَا؟ يُكَـدِّرُكَ الـرَّبُّ فِـي هـذَا الْيَـوْمِ!» فَرَجَمَـهُ جَمِيـعُ إِسْـرَائِيلَ بِالْحِجَـارَةِ وَأَحْرَقُـوهُمْ بِالنَّـارِ وَرَمَـوْهُمْ بِالْحِجَـارَةِ"[٧٤]. هـذا هـو جَـزَاءُ مُخَالَفَـةِ الشَرِيْعَةِ، هذا هُوَ حُكْمُ اللهِ النَزِيهِ.

---

[٧٣] يش ٧: ٢٠و٢١

[٧٤] يش ٧: ٢٤و٢٥

فِلنَعْـرِفْ هـذا كُلَـه، ولِنُفَكِـرْ أنَّ هـذهِ النَمَـاذِجَ السَـيْئِةَ هـي بِمَثَابَـةِ جَـزاءِ خَطَايَانَـا نَحْـنُ، لـذلك فَلَـنَفْحَصْ كُـلَّ يَـوُمٍ أخطاءَنـا، ولا نَنْسِـبها للآخَـرين، ولكـنّ لنَنْسِـبها لـذَوَاتِنا نَحـنُ لأنّنـا نحـن أنْفُسَـنا سَـبَبُ فـيّ ارِتْكَابِهـا، لأنَّ الشُـرُورَ لَيَسـتْ دائمًـا بَسَـبَبِ بَـلادةِ الحُكَـامِ، بـلَ فـيّ كثيـرٍ مْـنِ المَـراتِ بِسَـبَبِ أخطائنـا. هكـذا أيضًـا عِنَـدَما يـأتي شَـخْصٌ مَـا إلـىّ هنـا مُتَـأمِلاً فـي خَطَايـاه الخَاصَـةِ، ولـيسَ فـي خَطايـا شَـخْصٍ أخـرَ يُدينُـهُ، فإنَّـه سـوفَ يَصْـعَدُ هـذا التَمْجِيْـدُ بِنَقَـاوَةٍ كمـا يَنْبَغِـي لَـه. وهـذه هـي النَقَاوَةُ المَطْلُوْبَةُ مِنا هي كالآتي:

تَدْرِيْبٌ علىّ حُسْنُ العِبَادَةِ بِخُشُوْعِ الجَسْدِ وانِخِفَاضِ الصَوْتِ ومَنْعِ الأحَادِيثِ الجَانِبِيَةِ.

أولاً قَبْـلَ أيِ شَـيءٍ يَجْـبُ أنْ نَتَقَـدمَ إلـىَ اللهِ بِقَلِـبٍ مُنْسِـحِقٍ، ثُـمَ بَعْـدَ ذلـك، يَجْـبُ أنْ نُبَـرْهِنَ عَلـىَ نِيْـةِ قُلُوْبِنـا بِمَظْهَرِنـا (الخَـارَجِي) بِوقُوُفِنـا، وحُسْـنِ تَرْتِيْـبِ أيْـدِينا، بِهـدُوءٍ وانِخْفَـاضِ صَـوْتِنا. وهـذا أَمْـرٌ سَـهْلٌ ومَمْكِـنٌ لِكُـلِ فَـرْدٍ يُرِيْـدُ ذَلِـكَ. فَكَيْـفَ يُمْكِـنُ أنْ

يَتَحَقَّقَ ذلكَ للجَمِيْعِ؟ فِلنَضَعْ لأنفُسِنا قانونًا، ولِنَقُلْ لَنْفِرضْ وَصِيةً مُفِيْدَةً للجَمِيْعِ، ويِجْبُ عَلَيّنا جَمِيْعًا أنْ نَأخْذَ نَصْيْبًا مِنْ هذه الفَائِدَةِ، لَذلك فَلنَتَوّقفْ عِنِ الأصَوَاتِ غَيْرِ المُنْضَبِطَةِ، وعِادةِ (رَفْعِ) الأيادِي، وذلك بالتَحَكُمِ فِيها، ونَرْفَعْها للهِ وهيَ مَضْمُوْمَةٌ، ولا نَرْفَعُها بِحَرَكَاتٍ غَيرِ لائِقَةٍ. لأنَّ الله يّكْرَهُ ذَلك ويُمْقُتُهُ، كما أنَّه يُحْبُ ويَقْتَرِبُ مِنَ الخَاشِعِين لَذلك يَقُولُ: " وَإلَى هذَا أَنْظُرُ: إلَى الْمِسْكِينِ وَالْمُنْسَحِقِ الرُّوحِ وَالْمُرْتَعِدِ مِنْ كَلاَمِي"[٧٥]. فلِنَقُلْ فيّمَا بَيْنَنا، أنَّه لا يُرِيْدُ ونَحْنُ نَتَحَدَثُ إليه أنْ نَتَحْدَثَ فيما بِيْنَنا، ولا نَتْرُكَ الحَدِيْثَ مَعْه كيّ نُثِيْرَ اسْتِيَاءَ الحُضُوْرِ، فنَخلِطَ اللآلئَ مِعَ الوَحْلِ، لأنَّ هذا يُعْتَبَرُ إِهَانَةً وذمًا وليسَ تمجيدًا، وإنَّ كانَ أحدٌ يُرِيْدُ أنْ يُخَالِفَ هذِهِ الوَصْيَةَ فلِنُغْلِقْ فَمَهَ ونَطْرُدْهُ كَعَدوٍ لِخَلاَصِنا، ولِنُخْرِجْهُ مِنْ سَاحَاتِ الكَنِيسَةِ المُقَدَسةِ.

ونَحْنُ نَتَصرَفُ هكذا سوفَ تَمْحَي خَطايَانا

[٧٥] أش ٦٦: ٢

بسُــــهُوْلةٍ، والـــرَّبُ نَفسُـــهُ سَــوْفَ يَكُــونُ بَيْنَنـــا، وســـوفَ نُرَتِــلُ مَـــعَ المَلائِكَـــةِ القِدِيْسِـــينَ، وســـوفَ يُجَــازِى كَــلَّ وَاحَــدٍ بِأكْالِيــلِ النَقَــاوَةِ، لأنَّــه مُحِــبُ البَشَــرِ وسَــخِيٌّ فِــي عَطَايَــاه، ويَفْــرَحُ بَخَلاَصِــنا، لَــذلك فإنَّــه يَشْــعُرُ بَالسُــرُوْرِ بأعَمْاَلِنــــا الحَسَـــــنَةِ، ويُوعْـــــدُنا بِمَلَكَـــوْتِ السَـــمَاواتِ وبالاشْــتِرَاكِ فِــيّ الحَيــاةِ الأبْديَـــةِ، وقـــد أَعَّــدَ لَنـــا كُـــلَّ الخَيْــرَاتِ، مُرِيْــدًا أنْ نُقِــيْمَ فِيْهـــا، تِلْــكَ الصَــالَحِاتُ التـــي أتَمَنَـــي أنْ نَنَالَهـــا كُلُنـــا جَمِيعًـــا، بِنِعْمِـــةِ ومَحَبَـــةِ البَشْـــرِ التــي لرْبِّنــا يِسَــوعَ المَسِـيْح، الــذي يَلِيْــقُ بِــه المَجْـدُ والقُـوْةُ والكَرَامَـــةُ والسُــجُوْدُ مَــعَ أَبِيــهِ والـــرُوْحِ القُـــدِسِ، الآنْ وكُلَ آوانِ وإلي دَهِرِ الدُهُورِ. أمين.

***

العِظَةُ الثانِيةُ

عَـنْ قَـوْلِ النَبِـيِّ[٧٦]: "فِـي سَـنَةِ وَفَـاةِ عُزِّيَّـا الْمَلِـكِ، رَأَيْـتُ السَّـيِّدَ جَالِسًـا عَلَـى كُرْسِـيٍّ عَـالٍ وَمُرْتَفِـعٍ[٧٧]" وفِـي أنَّـه يَجِـبُ ألا نَتَجَاهَـلَ أيَّ زَمْـنٍ أو أيَّ أيةٍ مِنَ الكُتبِ الإلَهِيّةِ.

مُقَدِّمَةٌ عَنْ عَدَمِ قُدْرَتِهِ عَلَىَ الوَعْظِ!

١- أنَّنـي فِـيّ غَايَـةِ السَـعَادَةِ أنّ أَرَاكُـم وأَنَـتُم تَحْرِصُـونَ عَلَـى سَـمَاعِ الكَلَمَـةِ الإلَهِيَـةِ، وأعْتَبِـرُ أنَّ هـذا بُرْهَـانٌ كَبِيْـرٌ عَلَـىَ تَقَـدُمِكُم (الرُوْحِـي) بِحْسَـبِ مَشِـيئِةِ اللهِ. فَكَمـا أنَّ الجُـوْعَ هـوَ بُرْهَـانٌ عَلَـي صِـحْةِ الجَسَـدِ، كـذلكَ الرَغْبَـةُ فِـيَ سَـمَاعِ الأَقْـوَالِ الرُوْحِيْـةِ دَلِيْـلٌ عَلَـى صِـحَةِ الـنَفْسِ. وأنـا أفْـرَحُ لـذَلكَ غَيـرَ أنّنـي أَخْشَـىَ ألا أَقْـدِرَ أنَّ أُقَـدِمَ لَكـم شَـيْئًا يَسْـتَحِقُ مـا تَرْغَبُـوْنَ فِيَـهُ. كَمِثْـلِ الأُمِ الحَنُـوْنِ التـي تُعَـانِي عِنْـدَما يَكُـوْنُ

---

[٧٦] هكذا في النص المحقق SC أما في PG : "في قول إشعياء النبي".

[٧٧] أش ٦: ١

عِنْـــدَها طِفْـــلٌ رَضِـــيْعٌ ولا تَسْـــتَطِيْعُ أنَّ تُعْطِيْـــهُ مَصْـــدَرًا وَافِـرًا مَـــنْ اللَـبَنِ، فِعِنْـدَما تُقَـدِمُ لـــه ثَـدْيَها ولا يُوْجَـدُ بِـــهِ لَـــبْنٌ، فَيَأخُـــذُهُ ويَسْـــحَبُهُ بِفَمِـــهِ ويَشّـــدُهُ كـــيّ يُـــدَفْئُ الحَلَمَـــةَ المُتَجَّمِـــدَةَ، سَـــاعيًا أنَّ يَخْـــرُجَ مَزِيَـــدًا مِـــنَ الطَعْـــامِ المَوْجَـــوْدِ، والأمُ بـــلا شَـــكٍ تَتَـــألَمُ حَيَـــثُ يَشَـــدُ الطِفْـــلُ ثَـــدْيّيْها، ولَكنَّهـــا لا تَصْـــدُهُ، لأنّهـــا أُمُـــهُ وهـــي تُفَضِـــلُ أنْ تَتَـــألَمَ عَـــنْ أنْ تُسَـــبِبَ حُزْنًـــا لطِفْلِهـــا، فـــإنْ كَانَـــتِ الأمْهَـــاتُ لـــدَيْهُن هـــذا القَـــدْر مِـــنَ الحَنَـــانِ عَلـــىَ أطَفَـــالَهُن، فَكَـــمْ بِـــالأوْلَى يَجِـــبُ عَلِيْنـــا نَحْـــنُ أنْ نَفْعَـــلَ تِجَـــاهَ مَحَبَـــتِكُم، لأنَّ آلامَ الـــوِلادَةِ الرُوْحِيَـــةِ تَكَـــوْنُ أكْثَـــرَ حَـــرَارَةً مِـــنْ تِلْـــكَ الطَبِيْعِيَـــةِ[٧٨]. لأنَّـــه حّتـــىَ إنْ كانَـــتْ مَائـــدْتي فَقِيْـــرَةً[٧٩] للغَايَـــةِ فَلـــنْ أُخْفِيْهـــا عَـــنْكُم، ولَكِّنْـــي سَـــوْفَ أَقَـــدِمُ كُـــلَّ شَـــيءٍ أَمَـــامَكُم، وإنْ كانَـــتْ هِـــذه الأشْـــيَاءُ صَـــغِيْرَةً وغَيْـــرَ مُهِمْـــةٍ

---

[٧٨] يُحَاكِي هنا القَدِيسُ يُوحَنا ذَهَبِيُ الفَمِ القِدِيسِ بُوْلَسَ الرسُوْلِ في قَوْلِهُ: " يَا أَوْلاَدِي الَّذِينَ أَتَمَخَّضُ بِكُمْ أَيْضًا إِلَى أَنْ يَتَصَوَّرَ الْمَسِيحُ فِيكُمْ." (غلا ٤: ، ١٩) وأيضا "بَلْ كُنَّا مُتَرَفِّقِينَ فِي وَسَطِكُمْ كَمَا تُرَبِّي الْمُرْضِعَةُ أَوْلاَدَهَا" (اتس ٢: ٧-٩).

[٧٩] المَقْصُودُ هنا بِالمَائِدةِ هو مَا يُقَدمُ القِدِيْسُ يُوْحَنا مِنْ تَعْلِيَمٍ فِي عِظَتِهُ فَكَثِيْرًا ما يَسْتَخْدِمُ القِدِيْسُ يُوَحْنا هذا التَشْبيّه مُتحَدثًا عَنْ مَائِدَةِ التَعْلِيَمِ.

إلا أنَّنِــي سَــوْفَ أُقَــدِمُها لَكُــم. لأنَّ ذاكَ الــذيّ قَــدْ أَخَــذَ وَزْنَــةً وَاحَــدِةً لــم يُــدَنْ، لأنَّــه لــمْ يُقَّــدِمْ خَمْسًــا بَــل لأنَّ الوَاحِــدَةَ التــي قــد أَخْــذَها قــدْ دَفَنَهــا، لــذلكَ أُدِيْــنَ[٨٠]. لأنَّ مــا يَطْلُبُــهُ مِنــا اللهُ أو (حتــى) البَشِــرُ لــيسَ تَقْــدِيْمَ القَلَيــلِ أو الكَثِيْــرِ، بــل ألا نُسَــاهِمَ – بــأيِ حَــالٍ - بأقَــلَ مِمْــا هــوَ بِوسْعِنا.

الحُضَوُر بِالجَسِدِ والحُضُوَرُ بِالذِهِنِ

سَــمْعْتُم فــي السَــابِقِ، عِنْــدَمَا اِسْــتَحَقَقْتُ أنْ أتْحَــدَثُ إلــىَ مِحَبَــتِكُم، عَــنْ ذَاكَ المَزْمُــوْرِ الــذي قــدْ قَرَأتُــه عَلَــى مَسْــامَعِكُم، الــذي يَتَحَــدَثُ عَــنْ إخْــرَاَجِ الخَــاطِئِ مِــنَ الأمَــاَكِنِ المُقَدَسَــةِ، وكِــانَ يَــأَمُرُ المَلائِكَــةَ والقُــوَاتِ السَــمَائِيَةِ أنْ يَهْتِفُــوُا لإلَــهِ الكُــلِ[٨١]، فَهَــلْ تُرِيــدُونَ أنْ تَسْــتَمِعُوا أيضًــا اليَــوُمَ إلــىَ هَــذا اللَحْــنِ المَلائِكِــيِّ، طَالَمَــا نَقِــفُ نَحْــنُ هُنَــاكَ فِــي مَكَــانٍ قَرِيــبٍ

---

[٨٠] راجع مت ٢٥: ١٤-٣٠

[٨١] مزمور ١٤٨ يتحَدَثُ عَنْ هِتَافِ المَلائِكَةِ للهِ، ولكنَّه لا يَذْكُرُ شَيئًا عَنْ طَرْدِ الخُطَاةِ مِنَ الدِيَارِ المُقَدَسَةِ.

مِــنَ الجُوْقَــةِ المَلائِكِيَــةِ؟ فِــيِّ اعْتِقَــادِي هــذا الأمَــرُ مَعْقُــوْلٌ، لأنَّــه إنْ كَــانَ الرِعَــاعُ مِــنَ النَــاسِ يُقِيّمُــونَ جَوْقَــةً فِــي السَــاحَاتِ فِــيّ وِسْــطِ وعُمْــقِ الظَــلاَمِ وفِــيِّ سَــاعَةٍ غَيــرِ مُنَاسِـبَةٍ مِــنَ اللَّيْــلِ، يُغَنُّــوْنَ أغَــانِي دَاعِــرَةً (خَلِيْعَــةً) وَهُــمْ سُــكَارَى ويُزْعِجُــوْنَ مَــدِيِّنَتَنا، ثُــمَّ يَعُــوْدُونَ مَــرَةً أُخْــرَى إلــى ذَوَاتِهِــم ويَتَصَــرَفُونَ بِطَرِيْقَــةٍ طَبِيْعِيَــةٍ[٨٢]، أمــا نَحْــنُ أَلَسْــنَا نَتَبِــعُ الحَشْــدَ السَــمَاوِي، الجُوْقَــةَ السَــمَائِيَةَ التــيِّ تُسَــبِحُ مَلِــكَ هَــذا الكَــوْنِ، ألا نَسْــمَع ذاك الصَــوْتَ الإلَهِــي والطُوْبَــاوِيِّ؟ فَــأيُ عُــذْرٍ سَــيَكُوْنُ لنــا؟ وكَيْــفَ يُمْكِنُنَــا أنْ نَسَــمْعَ ذاكَ الصَــوْتَ؟ فإنــه يقــول لنــا- فَلنَصْــعَدْ للسَــمَاءِ لَــيْسَ بِأجَسَــادِنا بِــالطَبْعِ بَــلِ بِأفْكَارِنــا، بَــلا شَــكٍ لَــيْسَ بِحُضُــوْرِنا (بِالجَسَــدِ) بَــلْ بِــذِهْنِنَا. لأنَّ الجَسَــدَ هــو كَيَــانٌ أرْضِــيٌ وثَقِيْــلٌ، وهــو بِالطَبِيعَــةِ يَمْكُــثُ أسَــفَلَ، بِيْنَمــا الــنَفْسُ مُتَحَــرِرَةِ مِــنْ ذَلــكَ الالْتِــزَامِ الأرْضَــيِ، ويَمْكِــنُ أنْ تُحَلِــقَ بِسُــهُوْلَةٍ فِــيّ

[٨٢] يَتَحَدَثُ القِدِيسُ يُوْحَنَا ذَهَبِيُ الفَمِ عَنْ إزْدُوَاجِيةِ سُلُوْكَ أولئكَ الأشْخَاصِ بَيِنَ الليلِ والنَهَارِ، فَفِي اللَيْلِ يَسْلُكُونَ بِالعَرْبَدَةِ وبِالنَهَارِ يَتَصَرَفُوْنَ بِشَكْلٍ طَبِيْعِي.

الارْتِفَاعَاتِ الكَبِيّرَةِ وفِي الفَضَاءِ الرَحِبِ، هَكَذَا لَوْ أَرَادَتْ هَذِهِ النَفْسُ أنْ تَصِلَ إلىّ أقَاصِيِّ المَسْكُوْنَةِ، أوْ أنْ تَصْعَدَ إلىَ السَمَاءِ فَلا شَيءَ يَسْتَطِيْعُ أنْ يَمْنَعَها، فَأَجْنِحَةُ الفِكْرِ التي قدْ وِهَبَها لَها اللهُ فِيِّ مُنْتَهَيَ الخِفَةِ، بل أنَّهُ لمْ يِهِبْهَا فَقَطْ تِلْكَ الأَجْنِحَةِ، بَل أَنْعَمَ عَلَيَّهَا أَيْضًا بِعُيُوْنٍ (ذِهْنِيّةٍ) ترىَ أَبَعَدَ وأَعَمَقَ مَنْ عُيُوْنِ الجَسَدِ.

الرُوْيَةُ الجَسَدِيْةُ والبَصِيَرَةُ الرُوحَيَةُ

فَالرُؤْيَةُ الجَسَدِيَةُ عِنْدَمَا تَمُرُ مِنْ خِلالِ فَرَاغِ الهَوَاءِ، تَصْلُ لمَسَافَةٍ كَبِيْرَةٍ، ولكنَّ إنْ وَقَعَ جَسْمٌ صَغِيْرٌ علَىَ مَرْمَىَ البَصَرَ فإنَّها كَمِثْلِ وَمِيّضٍ مُتَدَفِقٍ تَصْطَدِمُ بِهِ[٨٣]، وتَرْتَدُ للخَلْفِ وتُعَاوِّدُ ثانيةً. أمَا عُيُوْنُ النَفْسِ وإنْ كَانَتْ تَصْطَدِمُ بَحَوَائِطَ أو أسْوَارٍ أو جِبِالٍ ضَخْمَةٍ، أو حَتيَ بِتِلكَ الأجْرَامِ

[٨٣] قديمًا كَانتْ هناك نَظَرِيَةٌ بأنَّ ظَاهِرَةَ الرُؤيَةِ تَكْمُنْ فِي أنَّ العَيْنَ تُرْسِلُ شُعَاعًا رَقِيْقًا مُسْتَمِرًا، وهذه الفِكْرَةُ مَوجُوْدَةٌ عِنْدَ أفلاطُونَ والعَالمَ اليُوْنَانِي Θεόφραστος ثِيْنوفْرِاسْتُسَ (القرن ٣و٤ ق.م.)، كما يَذْكُرُ المُتَرْجِمُ الفَرَنْسِي Dumortier.

السَـــمَائِيَةِ، فإنَّهَـــا تَمُـــرُ بِسُـــهُولَةٍ مِـــنْ كُـــلِّ هـــذه الأشْـــيَاءِ. ولكـــنَّ حتـــىَ مَـــعَ هـــذه السُـــرِعَةِ والفِطْنَـــةِ التـــي تُمَيّـــزُ الـــنَفْسِ، لكنَّهَـــا لا تَمْلِـــكُ فِـــي ذَاتِهَـــا وَحْـــدَهَا الاكْتِفَـــاءَ الـــذَاتِي لِفِهْـــمِ الأمُـــوْرِ السَـــمَاوِيَةِ، ولَكِـــنْ يَجِـــبُ أنْ يَقُوْدَهـــا شَخْصٌ ما.

الدُخُولُ للحَضْرَةِ الإلَهِيةِ

إذن فلنِعْمَـــلْ مَـــا يَفْعَلُـــه أوْلَئِـــكَ الـــذينَ يُرِيُـــدونَ أنْ يُشَـــاهِدُوا القَصُـــوْرَ المُلُوْكِيَـــةَ. فَمَـــاذَا يَفْعَـــلُ أوْلَئِـــكَ يَـــا تُـــرى؟ فَبَعْـــدَ أنْ يَسْـــأَلُوا عَـــنْ ذاك الـــذي قَـــدِ إئْـــتُمِنَ عَلَـــى مَفَـــاتِيْحِ (القَصْـــرِ المَلَكِـــي)، يَـــذْهَبُوْنَ إليّـــه ويَطْلُبُـــونَ مِنْـــهُ ويَتَّرَجْـــوْنَ وفِـــيِ كَثِيـــرٍ مِـــنَ المَـــرَّاتِ يُعْطُوْنَـــهُ أمْـــوَالاً كـــي يُقْـــدَمَ لَهُـــم هَـــذْهِ الخِدْمَـــةَ (أيْ مُشَـــاهَدَةَ بَهَـــاءِ هَـــذا القَصْـــرِ). إذَنْ لَيْتَنـــا، نَـــذْهَبُ نَحْـــنُ أيضـــا لِوَاحـــدٍ مِـــنْ أَوَلئـــك الـــذين اؤتُمِنـــوا عَلـــىَ القَصُـــوْرِ السَـــمَاوُيةِ، ولنَتَحْـــدَثَ إليـــهُ ونَتَرَجـــاهُ وبَـــدَلاً مِـــنْ تَقْـــدِيم المَـــالِ فَلنُظْهِـــرِ اسْـــتِعَدادًا ورَغْبَـــةً أمِينَـــةً، وعِنْـــدَما يَأخُـــذُ ذاكَ هـــذا الأجْـــرَ (أي رَغْبَتَنـــا الأمِيْنَـــةَ)، فَســـوفَ يَأخُـــذُنا مِـــنْ يَـــدِنا ويَتَجْـــوَّلُ بنـــا

فِـي كُـلِ مَكَـانٍ وسَـوفَ يُرِيْنـا لَـيسَ فقـط القَصْـرَ بـل أيضـا المَلْـكَ ذاتَـهُ وهُـوَ جَـالسٌ، حَيْـثُ القُـوَاتُ حَاضْـرَةٌ ورؤسـاءُ القـواتِ موجـودون والملائكـةُ ربـواتُ ورُؤسَـاءُ المَلائِكَـةُ ألوفًـا، سـوفَ يُرِيْنَـا كُـلَّ شَـيءٍ بالتَفَاصِـيلِ، عَلـى قَـدْرِ اسـتِطاعَتِنا أنْ نَـرَىَ! فمَـنْ هـو إذَنْ يـا تُـرى؟ مَـنْ هـوَ هـذا الـذي قـد أؤتمِـنَ عَلـىَ القِيَـامِ بهـذا الـدَوْرِ، الـذي نُرِيـدُهُ أنْ يُـدخِلنا الآنَ (إلـى الحَضْـرَةِ الإلَهِيَـةِ)؟ إنَّـهُ إشـعياءُ النّبْـيَ، ذوُ الصَـوْتِ الجَهْـوَرِي بَـيْنَ الأنْبِيـاءِ،[٨٤] فَمْـنِ الضَـرُوْرِيِّ إذَنْ أنْ نَتَحَـدَثَ مَعَـهُ، ولكِـنْ لِنَتَبَعُـوهُ بَـوَتِيرَةٍ مُعْتَدِلـةٍ ولِتَسِـيرُوا معـه بِهـدُوْءٍ تَـامٍ، فـلا يَقُـلْ أحـدٌ أنَّ عِنْـدَهُ اهتِمَامَـاتٍ دُنْيَوِيـةً، أو أنَّ عَنْـدَهُ شِـكْوكًا، أو خَوْفًـا ولَكِـنَّ لِنَـدْخُلْ كُلُنـا أي إلـىَ الـدَاخَلِ، بَعْـدَ أنْ نَكُـونَ قَـد طَرَحَنـا كُـلَّ شـيءٍ خَارِجًـا عِنْـدَ الأبْـوَابِ الخَارجِيـةِ الأولـى، [لأنَّنـا

---

٨٤ "ὁ τῶν προφητῶν μεγαλοφωνότατος." أي ذو الصوتِ الأعْظَمِ للأنبياءِ، كِنَايَةً عنْ وُضُوْحِ نِبُواتِهُ عَنِ السَيدِ المَسِيْحِ وتَقْدَمِها بَينَ أنَبِيَاءِ العَهْدِ القَدِيَمِ.

نَـدْخُلُ قَصْـرَ السَـمَاوَاتِ، ونَطَـأ الأمَـاكَنَ المُتَلألِئِـةَ][85]، أمَـا الـدَاخِلُ فهـو مُغَلَـفٌ بَالصَـمْتِ وبِأسْـرَارٍ لا تُوصَفُ!

مَشْهَدُ الرَؤيا وجَلاَلُ الحَضْرَةِ الإلِهَيةِ

٢- ولكـنْ إعطُـوا انْتِبَاهًـا خَاصًـا، لأنَّ القِـرَاءاتِ مِـنَ الكِتَـابِ المُقُـدَسِ هـيَّ نَافَـذَةٌ علـى السَـمَاوْاتِ. إذْ يَقُـوْلُ: «فِـي سَـنَةِ وَفَـاةِ عُزِّيَّـا الْمَلِـكِ، رَأَيْـتُ السَّـيِّدَ جَالِسًـا عَلَـى كُرْسِـيٍّ عَـالٍ وَمُرْتَفِـعٍ، وَأَذْيَالُـهُ تَمْـلأُ الْهَيْكَـلَ»[86]. هَـلْ تَـرَى لُطْـفَ هَـذا العَبْـدِ الحَكِـيمِ؟ فقـدْ قَادَنـا مُبَاشَـرَةً إلـىَ العَـرْشِ المَلَـوْكِي، دُونَ أنْ يَجْعَلَنـا نَتَجَـوَّلُ قَبلَهـا فـي المَمَـراتِ الطَوِيلِـةِ بَـلْ فَـي نِفْـسِ الوَقْـتِ فَـتَحَ لَنـا الأبَـوَّابَ وأحْضَـرَنا أمَـامَ المَلَـكِ حَيْـثُ يَجْلِـسُ: «السَّـرَافِيمُ وَاقِفُـونَ فَوْقَـهُ، لِكُـلِّ وَاحِـدٍ سِـتَّةُ أَجْنِحَـةٍ، بِـاثْنَيْنِ يُغَطِّـي وَجْهَـهُ، وَبِـاثْنَيْنِ يُغَطِّـي رِجْلَيْـهِ، وَبَـاثْنَيْنِ يَطِيـرُ. وَهـذَا نَـادَى ذَاكَ وَقَـالَ:

---

[85] الأقَوَاسُ في النَصِ الأصُليّ بِحَسَبِ SC.

[86] أش ٦: ١

«قُدُّوسٌ، قُدُّوسٌ، قُدُّوسٌ رَبُّ الْجُنُودِ. مَجْدُهُ مِلْءُ كُلِّ الأَرْضِ»[٨٧] بِالحَقِيْقَةِ هُو قُدُوسٌ لأَنَّهُ جَعَلَ طَبِيَعتَنا مُسْتَحِقَةً هَذه الأَسْرَارَ الكَثِيْرَةَ والعَظِيْمَةَ، وصيرنا شُرَكَاءَ هَذهِ الأمُوُرِ التيّ لا تُوْصَفُ[٨٨]، لَقَدْ اسْتَوْلىَ عَلَيَّ الفَزْعُ والرِعْدَةُ (المُقَدَسَةُ) فِي أَثْنَاءِ إِنْشَادِ هذهِ التَسْبْحِةِ، ومَا يَدْعُو للعَجَبِ أنَّ هَذا يَحْدُثُ لي أنَا الطِيْنُ المَصْنُوُعُ مِنْ تُرَابٍ، فَي اللَحْظَةِ التي فِيّها حَتيَ القُواتُ السَمَائِيَةُ تَأَخُذُها الدَهَشَةُ العَظِيْمَةُ والدَائِمَةُ؟ لذلك يُدِيُرونَ وُجُوْهَهم ويُغَطُّوْنَها بِأَجْنِحَتِهم كمِثْلِ سَاتِرٍ، لأنَهم لا يَسِتطِيْعوُنَ تَحمُلَ اللمَعَانَ المُنْبَعِثَ مِنْ هُنَاكَ. وبَالرَغْمِ مِنْ أنَّ المَشْهَدَ (الرُؤيا) - كَمَا يُقَالُ- كَانَ يُمَثْلُ تَنَازُلاً (للطَبِيْعَةِ الإِلَهْيَةِ)[٨٩]. فِلمَاذا إِذَنْ لا يِحْتَمِلوَن؟ فَهْلْ تَسْأُلني أنَا

---

[٨٧] أش ٦: ٢و٣

[٨٨] التعبير باليونانية: .ἀπορρήτων κοινωνούς

[٨٩] التَعْبِيرُ بِاليُوْنَانِيةُ "συγκατάβασις" يَعْني التَنَازُلَ والتَسَامُحَ، فالمَقْصُودُ أنَّ رُؤيَةَ إشَعْيَاءَ للهِ هى مِنْ قَبِيلِ تَنَازُلِ الطَبِيعَةِ الإِلَهِيَةِ التيّ لا تُرَى، وتَسَامُحِها مَعَ طَبِيْعَةِ الإنسَانِ البَشَرِيَةِ، كي يَسْتَطِيْعَ الإنسَانُ أنْ يُعَايْنَ اللهِ.

ذلـك!؟ سَـلْ أُولئـك الـذِينَ يُرِيْـدُونَ أنْ يَفْحَصُـوْا الطَبِيْعَـةَ غَيْـرَ المَوْصُـوفَةِ وغَيْـرَ المُقتَـرِبِ مِنها، أُولَئِـكَ الـذينَ يَتَجَـرَأونَ علـى مـا لا يُمْكِـنُ التَجَـرؤء عَلَيـه. فالسَّـرَافِيمُ لـمْ يَسـتطِيعُوا ولا حتـىَّ أنْ يَنْظُـرُوا فِعْـلَ تَنَازُلِـهُ هَـذَا، بَيْنَمـا الإنْسَـانُ تَجَاسَـرَ أنْ يَـتَكَلمَ أو بِـالحَرِي أنْ يُفَكِّـرَ بِعَقْلِـهِ، فـي أنـه يقـدرُ أنْ يَتطَلَـعَ بَدِقَـةٍ وِوُضُـوْحٍ إلـىَ تِلْـكَ الطَبِيْعَـةِ (الإلهِيْـةِ) البسِـيْطَةِ[90]، [91] فاقْشِـعْرِي أيَتُهـا السَـمَاواتُ وتَحَيَـرْي أيَتُهـا الأرْضُ[92]، فهـذه الجَـرَأةُ أكْبَـرُ مِـن تِلْـكَ (التـيِ للـوثنِيينَ)، فمـا كـانَ يَرْتَكِبُونَـه أوْلَئـكَ (الوثنيـون) مِـنْ عَـدْمِ ورَعٍ آنـذَاك، يَفْعَلُـهُ بَالمِثْـلِ

---

[90] التَعْبِيْرُ باليَونانية τὴν φύσιν τὴν ἀκραιφνῆ يَعْنِي الطَبِيْعَةَ النَقِيْة أوالبَسِيطَة، فالمَقْصُوْدُ أنَّ الجَوْهَرَ الإلَهي بَسِيْطٌ وغَيْرُ مُرَكَب، وهذا عَلىَ عَكْسِ الكَائِناتِ المَخْلُوْقَةِ التي تَتصِفُ بأنَّها مَنْ طَبَائِعَ مُرَكبَةٍ وبالتَالي فهي عُرْضَةٌ للانِحِلالِ والتَفَكُكِ.

هنا يُحَارِبُ القِدْيسُ ذَهَبِيُ الفَمِ تَعَالِيْمِ إفْنُومِيوْسَ الذيّ عَلَّمَ بِأنَّ اللهَ يُمْكِنُ إدْرَاكُهُ فِي جَوْهَرِهُ، وقد ألْقَىَ عِدَّةَ عِظَاتٍ عَنْ هذا المَوْضُوْعِ.انْظُرْ كِتَاب: القِدِيسُ يُوحَنا ذَهبِيُ الفَمِ، "الله لا يَمُكنُ إدْرَاكُه" ضِدَّ الأنُومِيينِ، الجزءُ الأولُ، تَرْجَمَةُ القُمُصِ مَرْقُوْرِيوسَ الأنَبا بِيشِويَ، النَاشرُ مُؤسّسَةِ القِدْيسِ بِاسِيْلِيُوسَ، ٢٠٠٨.

[91] النص التقليدي PG يضيف بعد ذلك "غير المنظورة حتى من السَّرافيم".

[92] أنظر أر ٢: ١٢

هَـؤُلاءُ النَـاسُ (مِـنَ الهَرَاطقَـةِ) أيضًـا اليَـومَ، لأنّهـم بِالمِثْـلِ يَعْبُـدُونَ أيْضًـا المخْلُـوقَ، ولكـنَّ مَـا يَتَخَيْلُونَـه اليَـوْمَ لا أحَـدَ قـد جَـرُؤ آنـذاك أنْ يَتحَـدَثَ بِـه أو حتـى أنْ يَسْـمَعَهُ[٩٣]. فَمَـاذَا تَقُـوْلُ؟ أَكَـانَ المَشْـهَدُ (الرؤيـا) نَوعًـا مِـنَ التَنَـازُلِ؟ بِالفِعْـلِ كـانَ نَوْعًـا مِـنَ التَنَـازُلِ ولكنَّـه تَنَـازُلُ مِـنْ قِبَـلِ اللهِ. لأنَّـه إنْ كَـانَ دَانْيِـالُ الـذيِّ يَمْلُـكُ دَالَـةً كَبِيْـرَةً عَنْـدَ اللهَ، لَـمْ يَحْتَمِـلْ أنْ يَـرى مَلاكًـا يَتَنـازَلُ (بِظُهُـوْرِهِ) لَـهُ، ولكنَّـهُ سَـقَطَ، وانْطَـرَحَ مُنْبَطِحًـا، وانْحَلْـتْ أوَاصـرُ جَسَـدِهِ مَـنْ ذَلَـكَ اللمَعَـانِ،[٩٤] فمـا العَجَـبُ أنْ كـانَ السَّـرَافِيمُ قـدْ شَـعَرُوا بِهَـوْلِ المُفَاجَـأةِ لأنَّهَـم لَـمْ يَحْتَمِلُـوا أنْ يَنْظُـرُوا ذاكَ البَرِيْـقَ؟

---

[٩٣] يَعْقِدُ القِدِيْسُ يُوْحَنا ذَهَبِيُ الفَمَ مُقَارَنَةً بَيْنَ فَرِيقين مِنَ النَاسِ، مُسْتَخْدِمًا كعَادَتِهُ أسْمَاءَ الإشَارَةَ للبَعْيدِ والقَرْيبِ (أولئك ἐκεῖνοι وهؤلاء οὗτοι) دُوْنَ أنْ يُصَرِحَ بأسْمائهم، وأغْلَبُ الظَنِ أنَّه يَقْصُدُ مُقَارَنَةَ الوَثَنِيينَ مِنْ جِهَةٍ، بالهَرَاطِقَةِ مِنْ أتْبَاعِ إفْنُوْمِيْوسَ المُعَاصِرِيْنَ له مَنْ جَهَةٍ أخْرى. ورُبَمَا كَانَ يَقْصُدُ مُقَارَنَةَ فَرِيقَين كِلاهما مَنِ الهَرَاطِقَةِ القُدَامَى والمُحْدِثِينَ، وهما الأرَيُوْسِيون مَنْ جَهَةٍ، والفَرِيْقُ الأخرُ أتْبَاعُ إفْنُوْمِيُوسَ.

[٩٤] أنظر دا ١٠: ٨-٩ " وَرَأَيْتُ هذِهِ الرُّؤْيَا الْعَظِيمَةَ. وَلَمْ تَبْقَ فِيَّ قُوَّةٌ، وَنَضَارَتِي تَحَوَّلَتْ فِيَّ إِلَى فَسَادٍ، وَلَمْ أَضْبِطْ قُوَّةً. وَسَمِعْتُ صَوْتَ كَلاَمِهِ. وَلَمَّا سَمِعْتُ صَوْتَ كَلاَمِهِ كُنْتُ مُسَبَّخًا عَلَى وَجْهِي، وَوَجْهِي إِلَى الأَرْضِ."

لأنَّـــه لا يُوْجَــدُ اخْـــتِلاَفٌ كَبِيْـــرٌ بَـــيْنَ دَانْيَـــالَ والمَـــلاَكِ مُقَارَنَـــةً بَـــيْنَ اللهِ وقُوَاتِـــه تِلْـــكَ. ولكـــيَّ لا نُبْهِـــرَ أنَفُسَـــكُم باسْـــتِمْرَارِ الحَـــدِيْثِ عَـــنْ تَلْـــكَ العَجَائِـــبِ، فَـــدُعْونا نُعَـــاوِدُ الحَـــدَيْثَ مَـــنْ البِدَايَـــةِ، وأنْ نَقُـــوْدَ أنَفُسَـــكُم بِـــالأقَوَالِ والآحَادِيْثِ العَادِيَةِ.

أهِمْيةُ تَأرِيْخِ الزَمْنِ فِيّ الكِتَابِ المُقْدَسِ

" فِـــي سَـــنَةِ وَفَـــاةِ عُزِّيَـــا الْمَلِـــكِ ..."[٩٥] يَجْـــدُرُ بِنَـــا أولاً أنْ نَفْحَـــصَ لأيِ سَـــبِبٍ يّـــذْكُرُ النَبِـــيُ الـــزَمَنَ، لأنَّـــه لا يَـــذْكُرُ ذَلِـــكَ اعْتِبَاطًـــا أو عَبِثًـــا، لأنَّ أفْـــوَاهَ الأنْبِيَـــاءِ تُمَثْـــلُ فَـــمَ الله، وهـــذا الفَـــمُ لا يَنْطِـــقُ شـــيئًا عبثًـــا، لـــذلك فعلينـــا ألا نسـمع هـــذا القـــول كونـــه أمـــرًا هامشـــيًا، لأنَّ الـــذينَ يَسْـــتَخْرِجُونَ المَعَـــادِنَ (النَفِيْسَـــةَ)، لا يَتَجَـــاهَلُوْنَ ولا حَتـــيَ الشَـــذَرَاتِ الصَـــغِيْرَةِ، ولكـــنَّ عَنْـــدَما يَجِـــدُونَ بَعَـــضَ الـــذَهَبِ بَـــينَ الشَـــوَائِبِ، يَبْحَثُـــونَ بِكَـــلِ هِمْـــةٍ بَـــيْنَ أَلَيَافِـــهُ، فَكَـــمْ بَـــالحَرِي يَجِـــبُ عَلَيْنـــا أنْ نَفْعَـــلَ ذَلَـــكَ فِيمَـــا يَخُـــصُ الكُتِـــبَ الإلَهِيْـــةَ؟ فـــإنْ كَـــانَ فِـــيّ حَالِـــةِ

---

[٩٥] أش ٦: ١

(اسْـــتِخرَاجِ) المَعَـــادنِ عَلَـــىَ الَـــرُغمِ مِـــنْ أنَّ العُثُـــورَ عَلَيّهـــا صَـــعْبٌ للغَايـــةِ جِـــدًا لِمَـــنْ يَبْحَـــثُ عَنْهـــا، لأنَّ المَعَـــادنَ هَـــي تُـــرَابُ الأَرْضِ بـــلْ وَالـــذَهَبُ أيْضَـــا لَـــيسْ شَـــيئًا أخــرَ ســوى أنَّـــه تُـــرَابُ الأَرْضِ أيْضَـــا، والتَشَـــابُهُ الطبيعـــيُ بيْنَهُمـــا يَخْـــدَعُ نَظَـــرَ البَـــاحِثِيْنَ عَنِـــهِ. ولكنَّـــه بِـــالرُغْمِ مَـــنْ ذَلِـــكَ لاَ يَكُفُـــونَ عَـــنْ البَحْـــثِ عَنْـــهُ بـــلْ يَبْـــذُلُونَ كُـــلَ مَـــا بِوسْـــعِهُم مِـــنْ انْتِبَـــاهٍ ويَمْعِنُـــوْنَ النَظَـــرَ حَتَـــىَ يَعْرِفُـــون مَـــا هـــوَ ذَهَـــبٌ مِمَـــا هـــوَ تُـــرَابٌ. ولكـــنَّ فِـــيّ الكِتَـــابِ المُقَـــدَسِ لـــيسَ الأَمَـــرُ كـــذلك، لأنَّـــه لّـــيسّ ذهبًـــا مَخْلُوطًـــا بـــالتُرابِ بـــل هـــو ذَهَـــبٌ نَـــقٍ "كَفِضَّـــةٍ مُصَـــفَّاةٍ فِـــي بُوطَـــةٍ فِـــي الأَرْضِ، "[٩٦] لأنَّ الكُتِـــبَ (المُقَدَســـةَ) لَيْسَـــتْ مَعَـــادِنَ تَحْتَـــاجُ للمُعَالَجَـــةِ، ولكنَّهـــا كِنْـــزٌ جَـــاهِزٌ يَمْـــنَحُ البَـــاحِثَيْنَ عَنْـــهُ الغِنَـــى، لأنَّـــه يَكْفِـــي أنْ نَجْلِـــسَ وعَنْـــدَما نَشْـــبَعُ مَـــنِ الفَائِـــدَةِ نَرْحَـــلَ، فَيَكَفِـــي فَقّـــطْ أنْ نَفْتَحَهـــا وأنْ نَـــرَىَ عَلـــىَ الفَـــوَرِ إشِـــعَاعَاتِ الأحْجَـــارِ

---

[٩٦] مز ١٢: ٦ هكذا في النسخة المحققة SC في النص التقليدي PG يرد قبلها بداية الاية: "كَلاَمُ الرَّبِّ كَلاَمٌ نَقِيٌّ ..".

الكَرِيمَةِ.

مَـــا أَقُوْلُـــهُ هـــذا لـــمْ أَقُلْـــهُ اعِتِبَاطًـــا، ولا أُطْنِـــبُ الحَـــدِيثَ عَبَثًـــا، ولكـــنَّ لأنَّـــهُ يُوجَـــدُ قَـــوْمٌ مِـــنَ النَـــاسِ جُهَـــلاءً يَأخُـــذُوْنَ الكُتُـــبَ المُقَدَسَـــةَ بَـــيْنَ أَيْـــدِيهم، ويَجْـــدُونَ أَرْقَـــامَ تَـــوَارِيْخَ أو سِـــجِلاَتٍ لأسَـــمَاءٍ، يَتَجاوَزُونَهَـــا ويقُوْلُـــونَ لِمَـــنْ يَلُومُـــوُهم عَلَـــى ذَلَـــكَ: هـــيَ فَقِـــط مُجَـــرَدُ أسْـــمَاءٍ ولـــيسَ فِيْهـــا أيُ فَائِـــدَةٍ. مَـــاذْا تَقُـــوْلُ؟ اللهُ يَتَحَـــدَثُ وأنْـــتَ تَتَجَاسَـــرُ أنْ تَـــدَعي أنَّـــه مَـــا مِـــنْ فَائِـــدَةٍ مِـــنْ تِلْـــكِ الأقَـــوَالِ؟ فإنَّـــكَ إنْ رَأيْـــتَ مُجَـــرَدَ عَنْـــوانٍ بَسِـــيْطٍ ألا تَتَوَقَـــفُ باِهْتِمَـــامٍ حَتَـــى تُفَسـِـرُ الغِنَـــى الـــذي يُوْجَـــدُ فِـــي مُحْتَـــوَاهُ؟ أَجِبْنِـــي ! ولكـــنَّ مَـــا هُـــوَ سَـــبَبُ الحَـــدِيثِ عَـــنْ الأزْمِنَـــةِ والأسَـــمَاءِ والكِتَابَـــاتِ؟ فَلِتَـــتَعَلَمْ إذَنْ أَهَمِيَـــةَ عَـــدَدٍ واحَـــدٍ (مِـــنَ الكِتَـــابِ) أو إضَـــافَةِ حَـــرْفٍ وَاحِـــدٍ، ولِتَتَوقَـــفْ عِـــنْ أنْ تَـــزْدَرِي كُـــلَّ الأسْـــمَاءِ، فَأَبُوْنَـــا البَطْرِيَـــرْكُ إبْـــرَاهِيْمُ، - لأنَّـــه يَلِيْـــقُ بِنَـــا نَحْـــنُ أَكْثَـــرَ مِـــنَ اليَهُـــوُدِ (أنْ نَـــدْعُوُهُ أبَانَـــا)[97]- فِـــي البِدَايَـــةِ كـــانَ يُـــدْعَى أبْـــرَامَ، الـــذي

---

[97] كانتِ المُجَادَلاتُ بَيْنَ المَسِيْحِيْنَ واليَهُوْدِ مُنْتَشِرَةً فِي أنطَاكِيَةَ آنَذاكَ، وقدْ قَدَّمَ ذَهَبِيُ

تَفْسِيْرُ اسْمِهِ يَعْنِي العَابِرَ[٩٨] وفيما بَعْدُ دُعِيَ بِإبرَاهِيْمَ وصَارَ أبًا لِكُلِ الأمُمِ، وإضَافَةُ حِرْفٍ وَاحِدٍ (للاسْمِ) أعطى البَارَ سُلَطَةً عَظِيْمَةً[٩٩]، لأنَّه مَثْلَما يُعْطِي المُلُوكُ لأتْبَاعِهِم مِنَ الوُلاَةِ مَنْشُوْرَاتٍ عَلَى أَلْوَاحٍ مِنْ ذَهَبٍ[١٠٠] كَرِمْزٍ لِلسُلْطَةِ، هَكَذَا اللهُ أَعْطَى حِيْنَئِذٍ حرفًا مكتوبًا لذلك البارِ كَرَمْزٍ لَتَكْرِيْمِهُ.

٣- أمَا فِيمَا يَخُصُ مَوْضُوْعَ الأسْمَاءِ (فِي الكِتَابِ المُقَدَسِ) فَسَوْفَ أَتَكلَمُ عَنْهُ فِي وَقْتٍ لاحَقٍ[١٠١]، ولكِنَّ مِنَ الضَرُوْرِي أنْ أُحَدْثَكُم عَنْ كَمْ هو مُفِيْدٌ مَعْرَفَةِ التَوَارِيخِ الزَمَنِيةِ وكَمْ هُوَ الضَرَرُ

الفمِ الكَثِيْرَ مَنِ المُجَادَلاتِ ضِدَّهم انْظُرْ مَثَلاً تَفْسِيرُهُ عَلَى (رو ١٦-١٧).

[٩٨] باليونانية περάτης.

[٩٩] تك ١٧: ٥ فقد تغير الاسم من Ἀβράμ إلى Ἀβραάμ بإضافة حرف α واحد

[١٠٠] Δέλτοι كانت عبارة عن ألواح مزدوجة أو على ثلاثية الأعمدة، وكان الأباطرة يكتبون فيها منشوراتهم ، وعرفت باسم δίπτυχα أو τρίπτυχα .

[١٠١] ألقي القديس يوحنا ذهبي الفم ٤ عظات عن هذا الموضوع في PG 51,113-156، وقد أنشغل العالم اليهود فيلو بهذا الأمر من قبل القديس يوحنا :

Le De mutatione nominum, éd. Arnaldez, in «Les oeuvres de Philon» 18, Paris, 1964.

عِنْـدَمَا نَجْهَلُهَـا، وقَبْـلَ أيِ شَـيءٍ سَـوْفَ أُوَضِـحُ لَكُـم عَـنْ طَرِيْـقِ الأُمُــوُرِ الحَيَاتِيَــةِ، مِثْــلَ الوَصَــايَا وَوَثَــائِقِ الــزَوَاجِ والمَــدْيُوْنِيَاتِ والعُقُــوْدِ الأخــرىَ، إنْ لــمْ يَكُــنْ مُــدَوَّنًا عَلَــيْهُم مَــنْ البِدَايَــةِ التَــارِيْخِ فَــلا قِيْمَــةَ لَهــا. فَهَــذِهِ التَــوَارِيْخُ هــي التــي تُعْطِــي الوَثِيْقَــةَ قِيْمَــةً فَاْعِلَــةً وتَقْضِــي عَلَــى المُنِازِعِــاتِ، وتُجَنِــبُ (النَــاسَ) المَحَــاكِمَ، فَتَجْعَــلُ الأعَــدْاَءَ أصْــدِقَاءً. لــذلك مَــنْ يَكْتُبُــونَ هَــذِهِ التَــوَارِيْخَ- وكأنَّهــا سِــرَاجٌ عَلَــى شَــمْعِدانٍ- يُــدَوْنُونَ التَــارِيْخَ أعْلَــى الوَثِيْقَــةِ، لِكَــيّ يُنِيْــروا كُــلَّ مَــا هُــوَ مُــدَوَّنٌ أَسْــفَلَهُ. ومِــنْ ثَــمَّ فــإنْ كُنْــتَ تُــدِيْنُ هــذا الأمَــرَ فَكَأنَــكَ تُــدِيْنُ النَــوْرَ وتَمْــلأ كُــلَّ شــيءٍ بِــالظَلامِ والاضِــطْرَابِ العَظِــيمِ، لــذلكَ فَكُــلُّ صَــفْقَةٍ (عَمْلِيْــةِ شِــرَاءٍ أو بَيْــعٍ)، سَــواءُ كَانــتْ بَــيْنَ الأصْــدِقَاءِ، أو مَــعَ الأعَــدَاءِ، أو مَــعَ الخُــدَّامِ، أو مَــعَ المُفَوَضِــيْن (الــوُكَلاءِ) والإدَارِيّــين، تَحْتَــاجُ لِمِثْــلِ هَــذا الضَــمَانِ، ودَائِمَــا نُــدَونُ فِــي ذَيْــلِ الوَثِيْقَــةِ الشُــهُوْرَ والأعَــوَامَ والأيَــامَ. فــإنْ كَــانَ هــذا الأمْــرُ (التَــأرِيْخُ الزَمَنــي) فَــيّ الشِــئُونِ الحَيَاتَيَــةِ بَهَــذِه الأهَمِيْــةِ القُصْــوَى، فَكَــمْ هُــوَ أَكَثَــرُ أَهَمِيْــةً وفَائِــدَةً بِالنِسِــبَةِ للأُمُــوْرِ الرُوْحِيَــةِ.

لأنَّ هّـذّا يُظْهِـرُ أنَّ النبِـوءاتِ هـي نِبُـوءاتٌ. فَـالنُبُوءةُ ليَسْـتَ شـيئًا أخـرَ سِـوى إعْـلانٍ مُسْـبِقٍ للأمُـوْرِ التـيّ مَـنِ المُنْتَظَـرِ حُـدُوْثُها، وبالتَـالَي مَـنْ يَتَجاهَـلِ أَزْمِنَـةَ الأحْـدَاثِ التـي قـدْ قِيْلَـتْ أو التـي حَـدِثَتْ، فَكَيْـفَ يَقْـدِرُ أنْ يُبَـرْهِنَ عَلـىّ مَـدَى قَيْمَـةِ تَلْـكَ النَبُـوءاتِ لِمَـنْ يَشَّـكِكُ فِيْهـا؟ ومِـنْ أيْـنَ تَـأتي صِـرَاعَتُنا وانْتَصَـارَتُنا عَلـى الأمُـمِ، عِنْـدَما نَـزْعُمُ أنَّ مَـا عَنْـدِنا أَقْـدَمُ مِمَـا لَـدْيْهُم، ومَـا هـيَ أَدْلَتُنـا عَلَـى الحَـقِ أمَـامَ اليَهَـوُدِ، اليَهُـوْدِ البَائِسِـينَ والأرْدِيـاءِ، أوَلئِـكَ الـذينَ بِسَـبَبِ جَهْلِهِـم للأزْمِنَـةِ وَقَعُـوا فِـيّ خَطَـأٍ جَسِـيْمٍ. لأنَّهـم لـوْ سَـمِعُوا قَـوْلَ رَئَـيْسَ الأَبَـاءِ (البَطْرِيَـركِ) (يَعْقُـوْبَ): " لاَ يَـزُولُ قَضِـيبٌ مِـنْ يَهُـوذَا وَمُشْـتَرِعُ مِـنْ بَـيْنِ رِجْلَيْـهِ حَتَّـى يَـأْتِيَ شِـيلُونُ وَلَـهُ يَكُـونُ خُضُـوعُ شُـعُوبٍ."[١٠٢] ولـو تَحَقَقـوا بدقـةٍ أَزْمِنَـة مجيئِـهِ مـا كَـانَوا إنفَصَـلوا عَـن المَسِـيحِ، ومـا كَـانَوا سَـقَطُوا فـي (فِـخٍ) ضَـدَّ المَسِـيحِ، كمـا قـد قـال لهـم المَسِـيحِ نَفَسُـه ملمحًـا علـي ذلـك قـائلاً : "أنَـا قَـدْ أَتَيْـتُ بِاسْـمِ أَبِـي وَلَسْـتُمْ

---

[١٠٢] تك ٤٩: ١٠

تَقْبَلُـونَنِي. إنْ أَتَـى آخَـرُ بِاسْـمِ نَفْسِـهِ فَـذلِكَ تَقْبَلُونَـهُ."[١٠٣]
أَرَأيْـتَ كَـم هـو جُـرْمٌ عَظِـيْمٌ يُمْكِـنُ أنْ يَحْـدُثَ بِسَـبَبِ الجَهْلِ بِالأَزْمِنَةِ؟

فَـلا تُهْمِـلْ إِذَنْ فَائِـدَةً عَظِيْمَـةً كَهَـذَه، لأَنَّـهُ كَمـا أنَّ الحُـدُوْدَ وسِـيَاجَ الحُقُـوْلِ لا تَجْعَـلِ الحُقُـوْلِ تَخْـتَلِطُ فِيْمَـا بَيْنَهـا، هَكَـذا الأَزْمِنَـةُ والأوْقَـاتُ لا تَتْـرُكُ الأحْـدَاثَ أنْ تَخْـتَلِطَ فِيْمَـا بَيْنَهـا ولكنَّهـا تَفْصِـلُ بَيْنَهـا، وتَضْـعُ كُـلَ حَـدَثٍ فِـي سِـيَاقِهِ الـذيّ يَـتَلاءمُ مَعْـهُ، الأَمْـرُ الذي يُعفِيْنا مِنْ كَثْرَةِ اللَغْطِ.

وَعْدٌ بِالحَدِيْثِ عَنْ عُزِّيَا، واسْتِرَاحَةٌ قَصِيْرَةٌ لِيَبْدَأ المُعَلِمُ فِلافِيَانُ عِظَتَهُ.

جَـدْيرٌ بَالـذِكْرِ أنْ أُحَـدِثَكُم عَمَـنْ هُـوَ عُزِّيَـا هـذا؟ ومَتَـى قَـدْ مَلَـكَ؟ وكَـمْ مِـنَ الوَقْـتِ قَـدْ أَمْضَـى فِـيّ الحُكْـمِ؟ وكَيْـفَ انْتَهَـتْ حَيَاتُـهُ؟ وسَـوْفَ يَكُـوْنُ مَـنْ الأفْضَـلِ أنْ نَلْـزَمَ الصَـمْتَ. لأنَّـه مَـنْ الضَـرُوْرِي أنْ نَبْـدَأَ الحَـدِيْث

[١٠٣] يو ٥: ٤٣

فِـــيّ مُحِـيْطٍ غَيْــرِ مُنْتَــهٍ مِــنَ التَــارِيْخِ، فَأُولَئِـكَ الـــذَيْنَ يَرْغَبُــوْنَ فِــيّ أنْ يَبْحَــرَوا فِــيّ مِثْــلِ هَــذَا المُحِـيْطِ، فَعَلـيْهِم أنْ يَبْـدَأوُا الطَرِيْـقَ لـيس مَـعَ بَحَـارةٍ مُنْهَكِـيْن بـلْ مَـعَ مَــنْ هُـمْ فِـيّ كَامِـلِ عَـافِيَتِهم. لِـذَلك فَــي كُـلّ مَكَــانٍ فَــيّ البَحْــرِ تَتَنَــاثَرُ المَــوانِئُ والجُــزُرُ، حَتَــي يَأخُــذَ الرُبَــانُ والبَحَــارَةُ قِسْــطًا مِــنَ الرَاحَــةِ، وَاحِـدٌ يَضَــعُ المِجْـدَافَ جَانِبًــا وأخــرُ يَتْــرُكُ دَفَـــةَ القِيَـــادَةِ. لَهـــذا السَـــبَبُ ابْتُكِــرَتِ الفَنَـــادِقُ الصَــغِيْرُ وأمَــاكِنُ الأقَامَــةِ فِــيّ كُـلِ مَكَــانٍ عَلــىَ الطَــرِقِ، حتــــىَ يَرْتَــــاحَ كُـــــلُ الــــدَوابِ المُحَمَلَـــةِ بِالبَضَـــائِعِ والمُسَــافِرُون مِــنْ أتْعَــابِهم، وبَالمِثْــلِ فِــيّ كَلِمَــةِ التَعْلِــيْمِ يُعَــيَّن وَقْــتٌ للصَــمْتِ، لكَــيّ لا نَتْعَــبَ نَحْــنُ مَــنِ الحَــدِيْثِ ولكـــيّ لا نُـــرْهِقَكُم أيضِــا بِكَلامِنــا، وهـــذا الوَقْــتُ قَــدْ تَحَــدَثَ عَنْـــهُ سُــلَيْمَانُ الـــذي قَـــالَ: " لِلسُّـــكُوتِ وَقْـــتٌ وَلِلتَّكَلُّمِ وَقْتٌ."[١٠٤]

فَيَجِــبُ أنْ يُوْجَــدَ وَقْــتُ للصَــمْتِ حَتــىَ يَجْــدُ فِيْــهُ

[١٠٤] جا ٣: ٧

المُعَلِّمُ[105] وَقْتًا للحَدِيثِ، لأنَّ مَا يَخُصُنا يُشْبِهِ الخَمْرَ التي تُجْلَبُ حَدِيْثًا مِنْ أَوْعِيَةِ المَعْصَرَةِ بَيْنَما مَا يَخُصُ المُعْلِمَ يُشْبِهِ الخَمْرَ القَدِيْمَةَ والمُعَّتَقَةَ، التيّ تُوَّفِرُ فَائِدَةً أَكْبَرَ وقُوَةً لِمَنْ يَحْتَاجُ إِلَيْها، واليَوْمَ سَوْفَ نُطَبِقُ مَا قَالَهُ الإنْجِيْلُ[106]، بَعْدَ أنْ يُقَدَمَ الخَمْرُ الأَقَلُ جَوْدَةً يُقَدْمُ الأَفْضَلُ، وكَلِمَةُ الوَعْظِ مَثْلُ الخَمْرِ لا يُوْلَدُ مِنَ الكَرْمَةِ ولكنَّ يَتِمُ عَمَلُها مِنْ قُوَةِ المَسِيْحِ، هَكَذَا أيْضًا هَذِه العظةُ لا يَصُبُّها عَقْلٌ بَشَرِيٍ، ولكنَّ نَعْمَةَ المَسَيْحِ، هكذا أيضا نُحِبُ الخَمْرَ وَفِيرًا ورُوحِيَا فَلنَقْبَلَه بِحَمَاسَةٍ ولِنَمْسِكْ بِه بِجِرْصٍ حَتيِ نَكُوْنُ مَرْوِيِيْنَ بِه إلىَ الأَبَدِ، لتُؤتِي ثِمَارَها النَاضِجَةَ لله الذيّ أنْعَمَ بِها عَلِيْنَا، الذي لَهُ كُلُ مَجْدٍ وكَرَامَةٍ، مَعَ الابِنِ الوَحْيِدِ والرُوْحِ الكُلِيِّ القَدَاسَةِ، الآنْ وكُلِ آوانٍ وإليَ دَهْرِ الدَهُوْرِ. آمِين.

***

[105] المقصود بالمعلم هنا هو الأسقف "فلافيان" أنظر المقدمة ص ٣٢.

[106] راجع يو ٢: ٩-١٠

العظةُ الثالثةُ

عَنْ نَـصِ سَـفْرِ أَخْبَـارِ الأيَـامِ الـذيّ يَقُـولُ: "وارتفــع قَلْــبُ عُزِّيَــا"[107] وعَــنِ الاتْضَــاعِ، وعَــنْ أنَّــه يَجِـبُ عَلــى الإنْسَــانِ الصَــالَحِ (رَجُــلِ الفَضْــيْلةِ)[108] ألا يَعْتَمِــدَ عَلــى شَجَاعتِهِ. وعَنْ الأنَانِيةِ وكَمْ هَيّ أمْرٌ سَيئٌ.[109]

مَدِيْحٌ للشُهَدَاءِ

١- مُبَــارَكٌ اللهُ، فَفــي جِيْلِنَــا قــدِ تَنَــامَى عَــدَدُ الشُــهَدَاءِ[110]، وقَــدْ إسْــتِحْقَقْنَا نَحْــنُ أنْ نَــرِى أُنَاسًــا قَــدَّمُوا أنْفُسَــهُم ذَبِيْحَــةً لأجْــلِ المَسِـيْحِ، وأُنَاسًــا سُــفِكَتْ دِمَــاؤهُم الزَكِيــةُ لتَــرْوِي كُــلَ الكَنِيْسَــةِ، فَالَــدَمُ المَسْــفُوكُ للشَــيَاطِينَ فَــزْعٌ ، وللمَلائِكَــةِ اشْــتِيَاقٌ[111]، أمَــا بِالنِسْــبَةِ لَنــا فَهُــوَ

---

[107] أنظر : ٢ أخ ٢٦: ١٦

[108] باليونانية : τον ἐνάρετον

[109] بحسب نص SC ولكن في نص PG : "من الكتاب الأول لسفر أخبار الأيام الذي يقول : .." وإنْ كانَ النَصُ المَذْكُورُ مِنَ السِفْرِ الثَاني وليسَ الأوَّلَ لأخْبَارِ الأيَامِ!

[110] المَقْصُوْدُ اضْطِهَادُ دَقْلَدِيَانُوْس الذي اسْتَمَرَ حتيَ عَامِ ٣١٣م.

[111] المَلائِكَةُ أرْوَاحٌ لا دَمَ لَها، والمَقْصُوْدُ أنَّ المَلائِكَةَ تَشْتَهِيَ أنْ يَكُوْنَ لَها دَمٌ حتى تَسِفِكَه لأجَلِ المَسِيْحَ.

خَـــلاَصٌ، فَقْـــدْ صِـــرْنَا مُسْـــتَحِقِين أنْ نَـــرَىَ أُنَاسًـــا يُجَاهِـــدُوْن لأجِـــل التَقْـــوَىَ حَتَـــى يُكَلَلَـــوْنَ[١١٢]، وقَـــد اسْـــتَحْقَقْنا لـــيسَ أنْ نَـــرَاهُم فَحَسْـــبٍ، بـــلْ أنْ نَسْـــتَلِمَ أجسَـــادَ هـــؤلاءِ المُجَاهِـــدِينَ، فـــالآنَ فـــيَّ حَوْزَتِنَـــا (رُفَـــاتِ) أولئـــكَ المُكَلِلِـــيْنَ. ولكـــنْ لِنَتْـــرُكِ الحَـــدِيْث عَـــنِ الشُـــهَدَاءِ وعَـــنْ غِيْرَتِهِم عَلىَّ حُبِ مُعَلِمِنَا كُلِنا[١١٣].

تَمْهِيْدٌ حَوْلَ الحَدِيْثِ عَنْ عُزِّيَا

أمـــا مِـــنْ جِهَتِنـــا نَحـــنُ فَسَـــوْفَ نُحَـــدِثُكُم عَمَـــا يَخُـــصُ عُزِّيَـــا، فإنَّنَـــا نُـــوْفِي لَكـــم دُيُوْنَنَـــا القَدِيْمَـــةَ[١١٤]، ونُلَبِـــي أشْـــوَاقَكُم القَدِيمَـــةَ للاسْـــتِمَاعِ، لأنَّنـــا نَعْـــرِفُ أنَّ كَثِيْـــرِينَ مِـــنْكُم يَتُوْقُـــوْنَ لِسَـــمَاعِ تِلْـــكَ القِصَـــةِ، وهـــذا الوَلَـــعُ نَرْغَـــبُ فِـــيّ أنْ يَمْتَـــدَ، ولسَـــنا نُرِيْـــدُ أنْ نُزِيْـــدَ مُعَانَـــاتَكُم بـــل نَهْـــدِفُ أنْ نُزِيْـــدَ اشْـــتِيَاقَكُم، حتـــىَ نَجْعَلُكُـــم مَسْـــرُوْرِين بِطَعَامِنْـــا، لأنَّ الأثْرِيَـــاءَ مِـــنْ أَصْـــحَابِ المَطَـــاعِمِ الـــذينَ يَسْـــتَقبِلُوْن ضِـــيُوْفًا شَـــبْعَى، يُمْكِـــنَهم بِمَـــا قَـــدْ

---

[١١٢] في PG : يُحَارِبُوْنَ لأجِلِ التَقْوَى حتىَ يَنْتَصِرُوْن ويُكَلَلُوْن ...

[١١٣] المقصود هو الأب "فلافيان" الأسقف معلم القديس يوحنا ذهبي الفم.

[١١٤] في العظة السابقة وعد القديس يوحنا المستمعين بالحديث عن عُزِّيَّا الملك.

أَعَـدُوْهُ بِتَـرَفِهِم أنْ يُثِيْـرُوا شَـهِيَتَهُم، أَمَـا مَائِـدَةُ الفُقْـرَاءِ فَـلا يَعْمَـلُ فِيْهَـا أيُ شَـيءٍ حَتـيَ تَظْهَـرَ فَـاخِرَةً بِقَـدْرِ أنْ يُقْبِـلَ الجَوْعَىَ الذينَ يَشْتَهُونَ الجُلُوْسَ عَلَيهَا.

سِيْرةُ عُزِّيَا

فمَـنْ هـو إذن عُزِّيَّـا؟ ومِـن أيِ نَسْـلٍ، ومَـنْ هـم الـذين مَلَـكَ عَلِـيْهُم؟ وكَـمْ مِـنَ السِـنِيْنَ قـد مَلـكَ؟ ومـاذا كَانَـتْ أَعْمَالُـه؟ وفِـيّ أيِ شَـيءٍ قـدْ أخْطَـأ؟ وكَيْـفَ اَنْتَهَـتْ حَيَاتُـه؟ كُـلُ هَـذا سَـوْفَ أَخْبِـرُكُم بِـه الآنَ، ولكـيّ لا أُرْهِـقَ ذَاكِـرَتَكُم بالإسِـهَابِ بِطُوُفَـانٍ مِـن الكَـلامِ، فَـنَفْسُ الشَـيءِ يَحْـدُثُ مَـعَ لِهَـبِ المِصْـبَاحِ لأنَّـه إنْ تَـمَّ تَنْقِـيْطُ الـوَهَجِ بِالزَيْـتِ بِجُرْعَـاتٍ صَـغِيْرَةٍ، فِأنَّـه يُعْطِـي ضُـوْءًا ولكـنَّ لـوْ تَـمَّ سَـكْبُ كِمْيَـةٍ كَبِيْـرَةً مَـنِ الزَيْـتِ دُفَعَةً وَاَحِدَةً فَسَوْفَ يَنْطَفِئُ الوَهَجُ.

فعُزِّيَّـا هـذا كَـانَ مِـنْ نَسْـلِ دَاوُدَ، وكَـانَ مَلِكًـا علـىَ اليَهُـوْدِ، وقَـدْ مَلَـكَ اثنـين وخمسـين عامًـا، وقَـدْ كَـانَ لَـهُ فِـيّ أعْوَامِـهِ الأولـىَ لِلْحُكْـمِ صِـيْتٌ حَسَـنٌ غَيْرَ أنَّـه فِيْمِـا بَعْـدُ قَـدْ سَـقَطَ فِـي الخَطِيْئـةِ، لاعْتِقَـادِهِ أنَّـه

يُمْكِنُــهُ أنْ يَمْلُــكَ سُــلْطَةً أعْظَــمَ مِمَــا كانَــتْ لَــه فاتَخَــذَ لِنفْسِهِ سُلْطَةً كَهَنُوْتِيْةً.

خَطِيئةُ الكِبْرِيَاءِ

فَالكِبْرِيَــاءُ هــي شَــرٌ عَظِــيْمٌ لأنَّهــا تَمْنَــعُ المَــرْءَ مَــنْ أنْ يُنْكِــرَ ذَاتَــهُ، وتَجْعَلَــهُ يُبَعْثِــرُ كُــلَّ الكِنْــزِ الــذيّ اِقْتَنَــاهُ بِعْــدَ تَعَــبٍ شَــدِيْدٍ. فَالنَقَــائِصُ الأخْــرَى مِــنَ الطَبِيْعِــي أنْ تَتَسَــلَطَ عَلَيْنَــا عِنْــدَمَا نَكُــوْنُ مُتَكَاسِــلِيْنَ، ولكــنَّ تِلْــكَ الكِبْرِيَــاءَ تَنْمُــوْ عِنْــدَمَا نَزْدَهِــرُ (فِــيّ الحَيَــاةِ الرُوْحِيَــةِ). لأنَّــهُ عَــادةً لا يُوّلِــدُ الأنَانِيــةَ ســوى الضَــمِيْرِ الصَــالِحِ حِيْنَمَــا لا نَتَــيَقْظُ[١١٥]، لَــذلَكَ فَالمَسِــيْحُ وهُــوَ عَــارِفٌ أنَّــه بّعْــدَ تَتَمِــيْمِ الفَضَــائِلِ يَــأتِي هَــذاَ الأَلَــمُ[١١٦] فإنَّــهُ يَقُــوْلُ لَتلاَمِيْــذِهِ: "مَتَــى فَعَلْــتُمْ كُــلَّ مَــا أُمِــرْتُمْ بِــهِ فَقُولُــوا:

---

[١١٥] المَقْصُوْدُ أنَّ الإنْسَانَ الصَالِحَ هوَ الذي يَكُوْنُ عُرْضَةً لِسُقُوْطٍ فِي الكِبْرِيَاءِ والأنانية عَنِ الإنْسَانِ الخَاطِئ.

[١١٦] المَقْصُوْدُ ألَمُ الشَهْوَةِ والكَلِمَةُ اليُوْنَانِيَةُ هي πάθος وهيَ ذَاتُ مَعَانٍ كَثِيْرَةٍ وتَعْنَي الألَمَ وتُسْتَخدَمُ عِنْدَ الآبَاءِ وبَالأخَصِ النُسَاكِ مَنْهُم بِمَعْنَيَ الشَهْوَةِ والهَوَى، وتَتَرْجَمُ فِيَ الكِتَابَاتِ النُسْكِيَةِ العَرَبِيْةِ القَدِيْمَةِ بِتَعْبِيْرِ (الأوْجَاعِ). وعَكْسِها كَلِمَةُ ἀπαθία أي حَالَةِ اللاهوى.

إِنَّنَا عَبِيدٌ بَطَّالُونَ "[117]، فعندما يُحَاوِلُ الوَحْشُ[118] أنْ أنْ يَتَسَلَّلَ إليكَ، حِيْنَئِذٍ مِنْ خِلاَلِ تِلْكَ الكَلِمَاتِ (التي قَالَها السَّيْدُ المَسَيْحُ)، أغْلِقْ أمَامَهُ الأَبْوَابَ، لأنَّه لمْ يَقُلْ مَتَى فَعَلْتُم كُلَ شَيءٍ فَأَنْتُم عَبِيْدٌ بَطَّالُونْ، بَلْ قَالَ: "فَقُولُوا: إِنَّنَا عَبِيدٌ بَطَّالُونَ"[119]، كأَنَّ اللهُ يَقُوْلُ لَكَ قُلْ هَذِهِ الكَلِمَاتُ : أنَا لا أَحْكُمُ عَلِيْكَ مِنْ تَقْيِيْمِكَ الخَاصِ، لأَنَّكَ إنْ كُنْتَ تَقُوْلُ مَنْ تِلْقَاءِ ذَاتِكَ إِنَّنِي عَبْدٌ بَطَّالٌ، فأنَّني سَوْفَ أُكَلِّلُكَ كَعِبدٍ صَالِحٍ، هَكَذَا فِي مَوْضِعٍ أخَرَ يَقُوْلُ: "حَدِّثْ أَنْتَ أولاً بإِثْمِكَ حَتىّ تَتَبَرَرُ"[120] فَبِحَسَبِ مُحَاكَمَاتِ (هذا العَالَمِ) الخَارِجِيَةِ[121]، بَعْدَ الاتْهَامِ واِعْتِرَافِ المُذْنِبِينْ يَأتِي عِقَابُ المَوْتِ، ولَكِنَّ بِالنِسْبَةِ للمُحَاكَمَةِ الإِلَهِيَةِ بَعْدَ

---

[117] لو ١٧: ١٠

[118] المَقْصُودُ بَالوَحِشِ الكِبرِياءُ ومَحَاوَلتُهُ التَسَلُلِ إلىّ فِكْرِ الإنْسَانِ.

[119] لو ١٧: ١٠

[120] إش ٤٣: ٢٦ حَسَبُ التَرْجَمَةِ السَبْعِيْنِةِ. بِحسَبِ تَرْجَمَةِ فَانْدِيكَ: "حَدِّثْ لِكَيْ تَتَبَرَّرَ".

[121] أي خَارِجَ الكَنْيسَةِ والمَقْصُوْدُ المُحَاكَمَاتُ الدُنْيَوِيَةُ.

الاتِّهـــامِ والاعْتِـــرَافِ يَـــأتِي الإكْلِيـــلُ، لِـــذَلِكَ يَقُـــوْلُ سُلَيْمَانُ: "لا تُبَرِرْ نَفْسَكَ أمَامَ الرَبِ"[122].

خَطِيئَةُ عُزِّيَا في اغْتِصَابِ الكَهَنُوْتِ

ولكَــنَّ عُزِّيَّـا لَـمْ يِسْـتَمِعْ لأيِ شَـيءٍ مَـنْ كُـلِّ هَـذَا، بَـلْ دَخَـلَ إلـىَ الهَيْكَـلِ وكَـانَ يَرْغَـبُ فَـي أَنْ يُبَخِـرَ، دُوْنَ رَغْبَـةِ الكَـاهِنِ الـذيّ نَهَـاهُ عَـنْ ذَلِـكَ. فَمَـاذَا فَعْـلَ اللهُ؟ ضَـرَبَهُ بَـالبَرَصِ فِـي جَبْهَتِـهِ، إذْ عَاقَبَـهُ بَـالخِزيّ فِـيّ وَجْهِـهِ، مُعَلِّمَـا إيَـاهُ أنَّ القَضَـاءَ إلِهِـيٌ وأَنَّ الحَـرْبَ لا تُوَّجَـهُ ضِـدَ إنَسَـانٍ، والأمُـوْرُ المُتَعَلِقَـةُ بِعُزِّيَـا هِـيَ كالآتي.

لِنَتَقَـدَمْ إذَنْ لَـنَفْحَصَ قِصَـتَهُ مِـنَ البداية، ولِـذَلِكَ فقـد لَحَقْـتُ وحَكَيـتُ لَكُـم بِاخْتِصَـارٍ كُـلَّ الأحْـدَاثِ، حَتـىَ حَـيْنَ تَسْـمَعُونَ الكِتَـابَ المُقَـدَسَ عَنْـدَمَا يُقـرأ تَتَـابَعُونَ بِتَـدْقِيقٍ، فِلتَنْتَبِهـوا إذْ يَقُـوْلُ : "وَعمِـلَ (عُزِّيَـا) الْمُسْـتَقِيمَ

---

[122] أنظر يشوع بن سيرخ ٧: ٥

فِــي عَيْنَــيِ الــرَّبِّ"[١٢٣] وبَهَــذَا يُؤَكِّـدُ عَلــيَ فَضِــيْلَتِهِ، فَلَــمْ يَعْمَـلْ فَقَـطِ الصَــلاَحَ بَـل فَعَلَــهُ قُـدَامَ الــرَبِّ، ولــيسَ لَكــيِ يَتَظَــاهَرَ أَمَــامَ النَــاسِ، مَثْــلَ أَوْلئــكَ الــذينْ قَبْــلَ أنْ يُقَــدِمُوا الصَــدَقَةَ كَــانُوا يُبَوِّقُــونَ أمَــامَ اليَهُــوْدِ، أُولَئِــكَ الــذِينَ يُغَّيْــرُونَ وُجُــوُهَهُم فِــي الأصْــوَّامِ، الــذِينَ يُــؤَدُونَ صَــلَوَاتِهِم عَلــىَ نَوَاصِــي الطُــرِقِ[١٢٤]، أُوَلِئــكَ الــذينَ لا يُمُكِــنُ أنْ يُوْجَــدَ مَــنْ هُــمْ أَكْثَــرُ بُؤسًــا مِــنْهم، عِنْــدَما يُثَــابِرُونَ عَلَــىَ تِلْــكَ الأَتْعَــابِ ويُحَرَمُــونَ مَــنْ أيِ مُكَافَأةٍ.

٢- فمَــاذا تَفْعَــلُ يــا رجــلاً؟ هَــلْ أَنْــتَ مُصَــمِمُ عَلــىَ أنْ تُقَــدِمَ تَقْرِيْــرًا عَمَــا فَعَلْتَــهُ مَــنِ إحْسَــانٍ لإنْسَــانٍ وأنْ تِسْــتَدْعِى أَخَــرَ لَيَشْــهَدَ عَلَــى ذَلَــكَ؟ فَيَكُــوْنُ الأَوَّلُ لَــكَ كَقَــاضٍ والأخَــرُ تُجَلِسُــهُ كَشَــاهَدٍ؟ ألا تُشَــاهِدُ فُرْسِــانَ الخَيــلِ أَمَــاَمَ المَدِيْنَــةِ كُلِّهــا الجَالِسَــةِ أمَــاَمَ مُسَــابَقَاتِ الفُرُوْسِــيةِ، تَمُــرُ أمَــامَ مَنْطِقَــةِ الإسِــتَادِ، ويَسْــعُونَ أنْ

---

[١٢٣] أخ ٢٦: ٤.

[١٢٤] أنظر مت ٦: ٥-١٨.

يُـــدَمِرُوا مَرْكَبَـــاتِ خُصُـــوْمِهم، حَيْـــثُ يَـــرُونَ المَلَـــكَ جَالسًـــا مُعْتَبِــرِين أنَّ نَظْــرَةَ تَقْــدِيرٍ وَاحِــدَةً مِنْـــهُ أَفْضَـــلُ مَـــنْ تَطَلُّعَـــاتِ الكثَيــرِين إِلَـــيهم! بينَمَـــا أَنْـــتَ تَنْظُـــرُ مَلِـــكَ المَلاَئِكَـــةِ وهـــوَ يُـــدِيرُ طَرِيْـــقَ جِهَـــادِكَ فَتَتْرُكَـــهُ هَارِبًـــا لأجْـلِ أَعْـيُنِ العَبِيْـدِ شُـرَكَائِكَ؟ لأجْـلِ هَـذَا، أَبَعْـدَ الـدُخُوْلِ فِـــي كَثِيْـــرٍ مَـــنِ المُنَافَسَـــاتِ تَرْحَـــلُ بَـــلاَ تَتْـــوِيْجٍ؟! أَتَرْحَـــلُ بَعْــدَ كَثِيْــرٍ مَــنْ العَــرَقِ مِــنْ أَمَــاَمِ حَكَــمِ المُسَــابَقَةِ بِــلاَ جَــائِزَةٍ؟ ولكــنَّ عُزِّيَّــا لــمْ يَكُــنْ عَلَــىَ شَــاكِلَةِ هَــؤْلاَءِ بَــلْ قَــدْ فَعَلَ مَا هوَ مُستَقِيْمٌ قُدَامَ الرَبِ.

خُطُوْرَةُ التَغَافُلِ فِيّ الحَيَاةِ الرُوْحِيةِ

كَيْـــفَ إِذَنْ بَعْـــدَ أنْ عَـــاشَ بِكُـــلِ هَـــذا التَـــدْقِيْقِ أَنزَلَـــقَ وسَـــقَطَ؟ وإنَّنِـــي لأَتَعَجَـــبُ وأتَحَيْـــرُ لِـــذَلِكَ، ولَكِـــنْ بِـــالحَرِي هـــذا لا يَـــدْعُوْ لِّلحِيـــرَةِ لأنَّـــه كّـــانّ بَشّـــرًا، فَقَـــدْ اِنَزَلَـــقَ فَـــي الخَطِيئَـــةِ ونَـــزَعَ بَقُـــوَةٍ إلـــىَ الشّـــرِ، والمُعْضِـــلَةِ ليســـتْ فِـــيّ هّـــذا فَقَـــطْ بَـــلْ أيْضَـــا لأنَّـــهُ قَـــدْ وُضِـــعَ عَلَيْنَـــا أنْ نَسِـــيْرَ فَـــي الطَرِيْـــقِ الضَـــيِقِ والـــوَعِرِ، والمُحَـــاطِ مَـــنْ الجَـــانِبَين بِالمُنْحَـــدَرَاتِ، ولَكِـــنَّ عِنْـــدَمَا يَجْتَمْـــعُ مَعًـــا

الاستِسلامُ للرَغَباتِ[125] مَعَ صُعُوْبَةِ الطَرِيْقِ، حِيْنَئِذٍ لا تَتَعَجَبْ مَنْ الوُقُوْعِ فِيِ الزَلاَتِ[126]، لأنَّه كَمَا فِي السِيرْكَ[127] فإنَّ أُوْلَئِكَ الذينَ يَتَمَشُوْنَ عَلَى الحَبْلِ المَشْدُوْدِ مِنْ أسَفَلِ إلىّ أعْلّى، ولكن إنْ تَغافَلُوْا قَلَيلاً فَسَوُفَ يَنْقَلِبُوْن ويِسْقُطُون فَي الأُوْرْكِسْتِرَا وسَوُفَ يَقْضُوْن نَحْبَهُم، كَذِلِكَ أيْضَا مَنْ يَسِيْرُون فِي ذّلِكَ الطَرِيْقِ، إنْ أظْهَرُوا قَلَيْلاً مَنْ الكَسَلِ فَسَوْفَ يَنْقَلِبُونَ، لأنَ هذا الطَرِيْقَ أَقَلَ ضِيقًا وانِحْدارًا ووَعْرًا وأَكْثَرُ عُلُوًا مَنْ ذَلِكَ الحَبْلِ، لأنَّه يَنْتَهِي عَالِيًا إلىَ السَمَاءِ، وخُطُواتُنَا عَليه تَكُوْنُ أَقَلُ أمْنًا، فَقَطْ عِنْدَمَا نَكُوْنُ أَعْلَى وعَلَىَ نَفْسِ القِمةِ، لأنَّه بِالنِسْبَةِ لأوْلَئِكَ الذينَ يَقِفُوْنَ عَالَيًا فَإنَّ الارْتِعَاشَ يَكُوُنُ شَدِيْدًا، والأمْنُ الوَحِيدُ المُتَبَقِي لَهُمْ هُوَ ألا يَنْحَنُوا

---

[125] التَعْبيرُ بِاليُونانَيةِ: προαιρέσεως εὐκολία يَعْني حَرْفِيا سُهُوْلَةِ الاخْتِيَارِ والمَقْصُوْدُ اسْتِسهَالُ الاخْتِيَارِ والاسْتِسْلامِ للرَغْبَاتِ.

[126] في اليُوْنَانِيةِ παραπτωμάτων وهي تَعْنِي الزَلاَتِ والسَقْطَاتِ أو المَعْصِياتِ والتَعديَاتِ.

[127] حَرْفِيًا : θεάτροις المَسَارِحُ حَيْثُ كانَتْ تُسْتَخْدَمُ لِتَقْدِيمِ العُرُوْضِ البَهْلَوانِيَةِ.

لأسْفَلِ أوْ أنْ يَحْدِقُوا فَي الأَرْضِ، لأنَّ هذا يُؤدِي إلىَ فُقْدَانٍ مُفْزِعٍ للتوازُنِ.

أَهَمِيَةُ الحِرْصِ فِيّ الحَيَاةِ الرُوْحِيَةِ حتىَ النَهَايَةِ

لذلك فإنَّ النَبِيّ يَصْرُخُ فِينَا قَائِلاً: " إلىَ النِهَايَةِ، لا تُهْلِكْ "[128] لَتَحْفِيزِ نُفُوسِنَا عِنْدَما تضْعَفُ، وإعْطَائِهَا القُوَّةَ والدَعْمَ عَنْدَما تُوّشِكُ أنْ تَسْقُطَ. لأنَّهُ فيّ بِدَايَةِ (حَيَاتِنَا الرُوْحِيَةِ) لاَ نَحْتَاجُ لِكَثِيرِ مِنَ الدَعْمِ، ولَكن لَمَاذَا؟ لأنَّ كُلَ إنسَانٍ وإنْ كَانَ الأَقَلَ ضَعْفًا مَنْ الكُلِ، فإنْ كَانَ يَبْدَأ عَمَلاً مَا فأنَّهُ يُظْهِرُ اهتِمَامًا كَبِيْرًا، لأنَّ حَمَاسَتَهُ تَكُونُ شَدِيدَةً وقُوَتَهُ فَيّ عُنْفُوَانِهَا، ويَتَقَدَمُ بِيُسْرٍ نَحْوَ هَدَفِهِ، فَعِنْدَمَا نَجْتَازُ الجُزْءَ الأَكْبَرَ مِنَ الطَرِيقِ، وتَفْتُرُ عَزِيْمَتُنَا، وتُسْتَنْزَفُ قُوَتُنَا، ونُوْشِكُ عَلىَ السُقُوْطِ، عَنْدَئِذٍ

---

[128] مز ٥٦ :١ بِحَسَبِ التَرْجَمَةِ السَبْعِيْنِيَةِ، وهذه الآيةُ عُنْوَانٌ للمَزَامِيْرِ ٥٦ و٥٧ و٥٨ وهي إرْشَادٌ لطَرِيْقَةِ إنْشَادِ المَزْمُوْرِ والمَقْصُوْدُ بِهَا : يُقَالُ المَزْمُوْرُ حَتيَ نِهَايَتِهُ علَيَ نَغْمَةِ أنْشُوْدَةِ "لا تهلِك ". غَيْرَ أنَّ القِدِيْسَ يُوْحَنَا ذَهَبِيُ الفَمِ يُفَسِرُ الآيَةَ كإنْذَارٍ لِعدَمِ الفُتُوْرِ حَتىَ نَهَايةِ الطَرِيْقِ الرُوْحِي.

يَظْهَـرُ لَنَـا النَبِـيُ نَاصِـحًا إيانَـا وكأنَّهـا عَصَـا نَسْـتَنِدُ عَليِّهـا. هـذه الآيَـةُ تَقُـوْلُ لَنَـا: "إلـَى النَهَايَـةَ، لا تُهْلِكْ!"[129].

القَرَاصِنَةُ لا يُهَاجِمُونَ سِوىَ السُفُنِ المُمْتَلِئَةِ بِالبِضَائِعِ!

فِـيّ الحَقِيْقَـةِ فِـإنَّ الشَـيْطَانَ يُهَـاجِمُ بُكـلِ عُنْـفٍ. كَمِثْـلِ القَرَاصِـنَةِ الـذينَ لا يَهُـاجِمُونَ السُـفِيْنَةَ عِنْـدَ ارْتِحَالِهـا للتَـوْ مِـنَ المِيْنَـاءِ – فَمَـا الفَائِـدَةُ مِـنْ إغْـرَاقِ مَرْكِـبٍ فَارِغَـةٍ؟ - ولَكْـنَّ عِنْـدَما تَعُـودُ وقَـدِ امْـتَلأتْ مِـنَ البَضَـائِعِ، عِنْدَئِـذٍ يُطَبِقُـوْنَ كُـلَ فُنُـوْنِ القَرْصَـنَةِ المَـاكِرَةِ، وبِالمِثْـلِ يَفْعَـلُ ذَاكَ الشَـيْطَانُ الشِّـرِيْرُ(المَاكِرُ)، فَعِنْـدَما يَرَانَـا وقَـدْ جَمَعْنَـا كَثِيْـرًا مِـنَ الأصْـوَامِ والصَـلَوَاتِ وأَعْمَـالِ الرِحْمَـةِ (الصَـدَقَةِ) والتَعَفُـفِ وكُـلِ الفَضَـائِلِ الأُخْـرَى،[130] أي عِنْـدَمَا يَـرَى سَـفِيْنَتَنَا وقَـدِ امْـتَلأتْ مِـنْ جَمِيْـعِ الأحْجَـارِ الكَرِيمَـةِ التَـي

---

[129] نفس الشاهد السابق.

[130] التعبير باليونانية هو :

"νηστείαν, εὐχάς, ἐλεημοσύνην, σωφροσύνην, τὴν ἄλλην ἅπασαν ἀρετήν "

للتَّقْــوَى، فَــإنَّهُم يُحِيْطُــونَ بِهــا ويُــدَمِرُونَ الكِنِــزَ مِــنْ كُــلِ جَانِــبٍ، حَتــىَ يَغْــرِقُ المَرْكَــبُ بِــالقُرْبِ مِــنْ مَصِــبِ المِيْنَــاءِ فَيُرْسِــلُونَنَا إلــىَ المِيْنَــاءِ مُجَــرْدِيْن مِــنْ أي شَــيءٍ. لَــذلَك فَــإنَّ النَبْــيُ يِحُــثُ الجَمِيْــعَ قَــائِلاً: " إلــىَ النِهَايــةِ، لا تُهْلِــكْ! "[131]. لأنَّــهُ بَعْــدَ هَــذَا السُــقُوْطِ فإنَّــهُ لمَــنْ العَسِــيْرِ أنْ نَقُــوْمَ مُجَــدَدًا، "لأنَّ ذَلِــكَ الــذِي يَصِــلُ إلــىَ عُمْــقِ الشُــرُوْرِ يَــزْدَرِي بِكُــلِ شَــيءٍ"[132] فَــذَاكَ الــذِي يَسْــقُطُ فِــي البِدايــةِ فإنَّنــا كُلَنــا نَغْفِــرُ لَــهُ بِسَــبِبِ عَــدَمِ حِنْكَتِــهِ، أمْــا مَــنْ يَسْــقُطْ بَعْــدَ مَسِــيْرَةٍ طَوِيْلَــةٍ، فَــإنَّ أحَــدًا لْــنْ يِسْــتِطِيعَ أنَ يَلْــتَمِسَ لَــه مَغْفِــرَةً أو عُــذْرًا، لأنَّــهُ فِــي هَــذِهِ الحَالِــةِ يَظْهَــرُ جَلِيًــا أنَّ سُــقُوْطَهُ بِسِــبِبِ التَــوَانِي، ولَــنْ يَكُــوْنَ الشَــرُ فَقَــطْ فِــي فِعْلَتِــهِ، بَــلْ أيْضَــا فِــي أنَّــه قَــدْ أعْثَــرَ آخَــرِيْنَ كُثُــرًا بِسِــبِبِ سَــقْطَتِهِ، وهَكَــذَا تَصِــيْرُ خَطِيْئَتُــهُ بلا مَغْفِرَةٍ.[133]

---

[131] نفس الشاهد السابق.

[132] أنظر أم ٨: ٣ بحسب الترجمة السبعينية.

[133] التعبير باليونانية : "ἀσύγγνωστον τὸ ἁμάρτημα" كناية عن جسامة

دَعْوَةُ للتَوْبَةِ وتَحْذِيرٍ مِنَ السُقُوْطِ فِي اليَأْسِ

نعـرفُ هـذا، فلنسـمع إذن لقـول النبـي حتـى لا نهلـكَ فـي النهايـة، لـذلك فـإن حزقيـال كـان يصـرخ قـائلاً: "وَالْبَـار إِنْ رَجَـعَ عَـنْ بِـرِّهِ وَعَمِـلَ إِثْمًـا (وَجَعَلْـتُ مُعْثِـرَةً أَمَامَـهُ) فَإِنَّـهُ يَمُـوتُ. (لأَنَّـكَ لَـمْ تُنْـذِرْهُ، يَمُـوتُ) فِـي خَطِيَّتِـهِ وَلاَ يُـذْكَرُ بِـرُّهُ الَّـذِي عَمِلَـهُ "[١٣٤] لَـذلِكَ فـإنَّ هَـذا النَبـيَ أيضًـا كَـانَ يَخْشَـى النِهَايَـةَ، ولَـيسَ مَـنْ هَـذا فَقَـطْ بِـلْ أيضًـا إنْ كَـانَ الأَمْـرُ بَـالعَكْسِ (أيْ أنَّ البِدَايَـةَ كَانَـتْ شِـرِّيْرَةً بَيْنَمـا النِهَايَـةُ صَـالحَةً)، يَظْهَـرٌ أنَّ قُـوَّة هَـذَا الأمْـرِ عَظِيْمَـةٌ، لأنـه يقـول: " فَـإِذَا رَجَـعَ الشِـرِّيرُ عَـنْ جَمِيـعِ خَطَايَـاهُ الَّتِـي فَعَلَهَـا وَحَفِـظَ كُـلَّ فَرَائِضِـي وَفَعَـلَ حَقًّـا وَعَـدْلاً فَحَيَـاةً يَحْيَـا. لاَ يَمُـوتُ."[١٣٥] أتَـرى كَيْـفَ أنَّـه يُظْهِـرُ اهْتِمَامًـا كَبِيْـرًا بِالنِهَايَـةِ، حتـى لا يَتَوَقَـفَ الصَـدِيْقُ عَـنِ فِعْـلِ البِـرِ، ويَسْـقُطَ فِـي التَـوَانيِ لِـذَلكَ يُخِيْفَـهُ مِـنَ النِهَايِـةِ، ولَكَـيّ لا يَبْقَـى الخَـاطِئُ فـي

الخطأ.

[١٣٤] حز ٣: ٢٠

[١٣٥] حز ١٨: ٢١

سُقُوْطِهِ إلَى الأَبَدِ بِسَبِب يَأسِهِ مِنْ خَطَايَاهُ، فَإنَّه يُقِيْمُهُ عِنْدَ النِهَايَةِ بِأنْ يَقُوْلَ لَه هَل أخْطَأتَ كَثِيْرًا فَلا تَيأسْ لأنَّهُ يُوجَدُ تَوْبَةٌ[١٣٦]، وذَلِكَ إنْ أظْهَرْتَ فِي نِهَايَتِكَ مَا هُوَ عَلَى عَكْسِ بِدَايَتِكَ، أمَا للصَدِيقِ فَيَقُوْلُ لَهُ، هَا قَدْ حَقَقْتَ نَجَاحَاتٍ كَثِيْرَةً، فَلا تَتَوَقَفُ لأنَّهُ إذْ لَمْ تَحْتَفِظْ حَتَى النِهَايَةِ بِنَفسِ العَزِيْمَةِ فَمِنَ المُمْكِنِ أنْ تَسْقُطَ. أفَلا تَرَى كَيْفَ أنَّهُ يُحَذِرُ الوَاحِدَ حَتَّى يَبْتَعِدَ عَنْ التَوَانِي والأخَرَ حَتَّى يَبْتَعِدَ عَنْ اليَأسِ؟

الخَطَايَا أنْوَاعٌ ولَيْسَتْ سَواءً.

٣- غَيْرَ أنَّ عُزِّيَا لَمْ يَسْتَمِعْ لِكُلِ هَذَا، فَتَجَاسَرَ وسَقَطَ بِشَكْلٍ مُخِيفٍ لا شَفَاءَ مِنْهُ[١٣٧]، لأنَّهُ لَيْسَتْ كُلُ سَقْطَةٍ تُؤَدِي لِنَفسِ الجُرْحِ بَلْ عَلَى حَسَبِ (نَوْعِ) الخَطَايَا، فَفِي بِعْضِ الحَالاتِ يُدَانُونَ وفِي

---

[١٣٦] هنا يستخدم القديس ذهبي الفم كلمة ἐπάνοδος اليونانية التي تعني عودة أو رجوع وليس كلمة μετανοία ميطانيا المعتادة عن التوبة.

[١٣٧] كثيرا ما يَسْتَخْدِمُ الآبَاءُ، وبالأخص النُسَاكُ مِنْهُم، تَعْبِيْرَ جُرْحٍ أو مَرَضٍ لا شِفَاءَ مِنْهُ كَنَايَةً عَنِ الخَطِيةِ، مَثَلَ القَدِيسِ أنْطُونِيُوْسَ في رَسَائِلِهُ السَبْعِ.

حَـالاَتٍ أُخْـرَى يَقْبَلُـونَ عُقُوبَـاتٍ ثَقِيْلَـةً. فَأُولَئـكَ الـذِينَ لا يَنْتَظِـرُونَ إخْـوَتَهُم فَـي مَوائِـدِ العَشَـاءِ المُشْـتَرَكَةِ يُـوَبِخُهم بَـوْلُسُ قَـائَلاً: " وَلكِنَّنِـي إِذْ أُوصِـي بِهـذَا، لَسْـتُ أَمْـدَحُ ..."[138] وكَمَـا تَـرَى فَـإنَّ الخَطِيئَـةَ تَقِـفُ (هُنَـا) عَنْدَ المَلامَةِ، والمَلامَةُ تَشْمَلُ الإدِانَةَ.

الزِنَا والزَوَاجُ

غَيْـرَ أنَّـه لا يَفْعَـلُ نَفْـسَ الأمْـرِ عِنْـدَمَا يَتَحَـدَثُ عِـنِ الزِنَـا، لَكـنَّ كَيْـفَ يَتَعَامَـلُ مَـعَ الأمْـرِ "إنْ كَـانَ أَحَـدٌ يُفْسِـدُ هَيْكَـلَ اللهِ فَسَيُفْسِـدُهُ اللهُ"[139] فَهِنَـا لا يُوجَـدُ تَـوْبِيْخٌ أو إدَانَـةٌ بَـلْ عُقُوبَـةٌ ثَقِيْلَـةٌ، فَسُـلَيْمَانُ قَـدْ عَـرَفَ الفَـرَقَ بَـيْنَ أَنْـوَاعِ الخَطَايَـا، فَعَلـىَ سَـبْيلِ المِثَـالِ، عِنْـدَمَا قَـارَنَ مَـا بَـيْنَ الزِنَـا والسَـرِقَةِ قَـالَ: "لاَ يَسْـتَخِفُّونَ بِالسَّـارِقِ وَلَـوْ سَـرِقَ لِيُشْـبعَ نَفْسَـهُ وَهُـوَ جَوْعَـانٌ. ... أَمَّـا الزَّانِـي بِـامْرَأَةٍ فَعَـدِيمُ الْعَقْـلِ. الْمُهْلِـكُ نَفْسَـهُ هُـوَ يَفْعَلُـهُ."[140]

---

[138] اكو ١١: ١٧

[139] اكو ٣: ١٧

[140] أم ٦: ٣٠و٣١

فسـواءٌ هـذهَ أو تِلْـكَ فَهْـيَ خَطِيئَـةٌ ، ولَكِنَّـهُ يَقُـوْلُ إنَّ الوَاحِـدَةَ أَصْـغَرُ والأُخْـرِىَ أَكْبَـرُ، لأنَّ فَـي الأَوْلَـى (أي السَـرِقَةُ) الخَـاطِئُ عِنْـدَهُ عُـذْرٌ هـو الجُـوْعُ بيْنَمَـا الأخْـرَى (الزِنَـا) فَـلا مُبَـرِرٌ لَهَـا. ولَكنَّـهُ بِالنِسْـبَةِ للزِنَـا، فَـالبَعْضُ يَقُـوْلُ أنَّ عِنْـدَهُ احْتِيَاجًـا للشَـهْوَةِ الطَبِيْعِيَـةِ، ولَكِـنَّ وُجُـوْدَ زَوْجَـةٍ خَاصَـةٍ بِـه لا يَغْفِـرُ لَـهُ، بَـلِ أَنَّهـا تَحْرِمُـهُ مَـنِ أيِّ عُـذْرٍ، لَـذَلِكَ يُوْجَـدُ الـزَوَاجُ والمُتْعَـةُ المَشْـرُوعَةُ، حَتَـىّ لا يَقُـوْلَ الرَجَـلُ شَـيْئًا، لَـذَلِكَ فَقَـدْ أُعْطِيْـتْ لِـه المَـرْأَةُ كَمُعِـيْنٍ حَتَـىّ تُكْبَحُ الطَبِيْعَـةُ حِـيْنَ تَثْوْرُ فتَسْكُنْ مَوْجَاتُ الشَهَوَةِ.

شُكُوْكُ واضْطِرَابُ الزَوَاجِ الخَائِنِ

كَمِثْـلِ رُبَـانٍ يَتَسَـبَبُ فـي غَـرْقِ السَـفِيْنَةِ أَثْنَـاءِ دُخُوْلِهَـا المِيْنَـاءَ، فَـلا يُغْفَـرُ لَـهُ مِـنْ أحَـدٍ، هَكَـذَا الإنسَـانُ بَعْـدَ أنْ يَتَحَصَـنَ بِـالزَوَاجِ، يُزَعْـزِعُ زَيْجَـاتِ آخَـرِيْن أو يَنْظَـرُ بِطَرِيْقَـةٍ مُرِيْبِـةٍ لأيّ امْـرَأةٍ، هَـذَا الإنْسَـانُ لا يُلْـتَمسُ لَـه أيُ عَـذْرٍ سَـوَاءً مِـنَ النَـاسِ أو مَـنْ اللهِ، حَتَـى لَـوْ أَلَحَـتْ عَلَـى هَـذَا المَـرْءِ مِـرَارًا اللَـذَةُ الطَبِيْعِيَـةُ.

وأتَعَجَبُ، فأيُ لَذْةٍ يُمْكِنْ أنْ يتَمَتَعَ بِهَا، يُلازِمْها خَوْفٌ وقَلَقٌ وخَطَرٌ وتَوَقُعِ كَثِيْرٍ مَنِ المَتَاعِبِ، حيثُ يُوَاجِهُ مَحَاكَمَ ومُسَائَلاتٍ وغَضَبَ القَاضِي والسَيْفَ والجَلاَدَ حَتَى الانْزِلاَقِ إلىّ حَبْلِ المَشْنَقَةِ[١٤١]، فَكُلُ شَيءٍ يُرْعِبُ ويَخِيْفُ مِثْلَ ذَلَكَ الشَخْصِ: الظِلالُ والجُدْرَانُ والحِجَارَةُ ذَاتُهَا وكأنَّها تَصْرُخُ (ضِدَّهُ)، فَهوَ يَرْتَابُ ويَشُكُ فِي الجَمِيْعِ، فِيّ الخُدَامِ والجِيْرَانِ والأصْدِقَاءِ والأعْدَاءِ، مَنْ يَعْرِفُونَ كُلَّ شَيءٍ ومَنْ لا يَعْرِفُونَ أيَّ شَيءٍ، أو بِالحَري أنْ أرَدْت فَلْنُنحِ كُلَّ هذا جَانبًا، ونَفْتَرْضُ أنَّه لا أَحَدَ يَعْرِفُ مَاذَا حَدَثَ، سِوىَ هَذا الشَخْصِ مَعَ المَرَاْةِ التيِ أسِيءَ إلَيها، كَيْفَ سَيَتَحَمَلَ تَأنِيْبَ الضَمِيرِ، الذي سَوْفَ يُلاَحِقَهُ فِيّ كُلِ مَكَانٍ بِهَذَا الاتِهَامِ الصَعْبِ؟ لأنَّهُ مَنْ غَيْرِ المُمْكِنِ أنْ يَهْرَبَ المَرْءُ أبَدًا مَنْ نَفسِهِ، كَما أنَّهُ مِنْ غَيْرِ المُمْكِنِ أيْضَا أنْ يَهْرَبَ مِنْ قَرَارِ إدَانَةٍ لتِلْكَ

---

[١٤١] بجسب نص المحقق SC ἀγχόνη أي المشنقة، ولكن في النص التقليدي PG ἀπαγωγή أي إلقاء القبض عليه.

المَحْكَمَـــةِ، وهَـــذِهِ المَحْكمَـــةُ لا يُمْكِـــنُ إفسَـــادُها (بِرَشُـــوَةِ) المَـــالِ، أو أنْ تَترَاجَـــعَ مَـــعَ المُداهَنَـــةِ (بِـــأنْ يُنَـــافِقَ القَاضِـــي)، لأنّهـــا مَحْكَمَـــةٌ إلَهِيَـــةٌ ومُقِيْمَـــةٌ فِـــي نُفُوْسِـــنَا مِـــنْ قِبَـــلِ اللهِ، فِـــي الحَقِيْقَـــةِ "أَمَّـــا الزَّانِـــي (بِـــامْرَأةٍ) فَعَـــدِيمُ الْعَقْـــلِ. الْمُهْلِـــكُ نَفْسَـــهُ هُـــوَ يَفْعَلُـــهُ"[١٤٢]، بِـــالطِبْعِ السَـــارِقُ لا يَفْلِـــتُ مِـــنَ العُقُوْبَـــةِ ولَكنَّـــه يُعَاقَـــبُ بِشِـــكْلٍ أقَـــلَ، لأنَّ عَقْـــدَ الْمقَارَنَـــاتِ لا يَجْعَـــلُ الأمُـــوْرَ مُتَضَـــادَةً فِيْمَـــا بِيْنَهَـــا، ولّكِـــنْ يَتْـــرَكُ كُـــلَ مِنْهـــا فِـــي مَكَانِـــهِ، مُظْهِـــرًا مَـــا هـــوَ الأدْنَى ومَا هُوَ الأسْمَى.

الزَوَاجُ حَسَنٌ ولكنَّهُ أقَلُ مِنَ البَتُوْلِيَةِ.

ربَّمـــا لـــمْ تَسْـــتَوْعِبْ مَـــا قَـــدْ قُلتـــه (للتَـــوِ)، فَمْـــنِ الضَـــرُوْرِي أنْ أوَضِـــحَهُ. الـــزَوَاجُ هـــوَ أمْـــرٌ حَسَـــنٌ، غَيْـــرَ أنَّ البَتُوْلِيَـــةَ أسْـــمَىَ مِنْـــهُ، ولأنَّ البَتُوْلِيَـــةَ أسْـــمَى فَهَـــذَا لا يَعْنِـــي أنَّ الـــزَوَاجَ شَـــرٌ أو سَـــيِئٌ، ولكنَّـــهُ بِالتَأكِيـــدِ أَقَـــلُ مَـــنِ البَتُوْلِيَـــةِ،[١٤٣] ولكنَّـــهُ أيْضًـــا أَمْـــرٌ حَسَـــنٌ، وهَكَـــذا

---

[١٤٢] أم ٦: ٣٢

[١٤٣] يُشَدِدُ القَدِيسُ ذَهَبِيُ الفَمِ فِي عِظَاتِهُ الطَوِيْلةِ عَليَ سِفْرِ التَكوِينِ عَلى أنَّ البَتُوْلِيةَ هي

أيْضًا فإنَّ السَرقَةَ أَمْرٌ شَرِيْرٌ غَيْرَ أنَّها أَقَلُ شَرًا مَنِ الزْنَا، ولَكنَّها شَرٌ مِثْلُها. أَرَأيْتَ الاخْتِلاَفَ بَيْنَ الخَطَايا؟

خَطِيْئةُ عُزِّيًا هيَ الكَبْرِيَاءُ

فِلْنَرَ إذَنْ أيَ خَطِيئَةٍ ارْتَكَبَها ذَاكَ (أي عُزِّيَا) إذْ قِيلَ: " قَدْ اَرْتَفَعَ قَلْبُهُ"[144] فَالجُرْحُ مُخِيْفٌ، لأنَّها الكِبْرِيَاءُ، التيّ هِيَ مُصْدَرُ كُلِ الشُرُوْرِ، ولكيّ تَعْرِفَ بِاخْتِصَارٍ شَرَ الَداءِ، اسْمَعِ الآتِي. فَكُلُ الخَطَايَا تَحُومُ حَوْلَ طَبِيْعَتِنا (البَشَرِيَةِ)، بِيْنَمَا الكِبْرِيَاء قَدْ أَهَلَكَتْ وهَزَمَتِ القُوَّةَ السَمَاوِيَة القَدِيْمَةَ، لأنَّ الشَيْطَانَ الذيَ لَمْ يَكُنْ فِي القَدِيْمِ شَيْطَانًا، بَلْ أنَّ الكِبْرِيَاءَ هيَ التي جَعَلَتْهُ شَيْطَانًا، فسوف استند إلىَّ شَهَادَةِ إشَعْياءَ الذي يِقُوْلُ الآَتِي بِهَذَا الشَأنِ: "اَصْعَدُ

حالةٌ أَسْمَى مِنَ الزَواجِ وهي الحَالةُ التِّيّ كَانَ عَلَيها أدَمُ قبْلَ السُقُوْطِ، غَيْرَ أنَّ الزَوَاجَ مُكَرَمٌ مِنَ اللهِ وقَدِ وَهَبِ اللهُ الجَنْسَ للإِنْسَانِ كِعَطِيَةٍ لِيُقَاوِمَ بِه المَوْتَ، ولَيس لأنَّه شَرٌ أو نَتِيجَةً للخَطِيئَةً.

[144] ٢مل ٢٦: ١٦

فَــوْقَ مُرْتَفَعَــاتِ السَّــحَابِ. أَصِــيرُ مِثْــلَ الْعَلِــيِّ."[١٤٥] فأُوْلَئِــكَ الــذِينَ لا يَقْبَلُــونَ بِسُــرُوْرٍ التَفَاسَــيْرَ الرَمْزِيْــةَ[١٤٦]، يَشْــجُبُوْنَ شَــهَادَتِيّ، ولكنَّنَــا إنْ وَضَــعْنَا بُــوْلُسَ فِــيّ مَوْقِــفِ المُــدْعِى العَــامِ[١٤٧]، فــإنَّ أحَــدًا لَــنْ يَعْتَــرِضُ، فَمَــاذَا يَكْتُــبُ إذن بُــوْلِسُ إلــيَّ تَيُمْوثَــاوُسَ؟ أنْ مَــنْ قَبَــلَ حَــدِيْثًا الكِــرازَةَ فَــلا تَقُــدْهُ إلــيَّ دَرَجَــةِ الأسُــقُفِيةِ الجَلَيْلَــةِ، قَــائِلاً الآتِــي: "غَيْــرُ حَــدِيثِ الإيمَــانِ[١٤٨] لِــئَلاَّ يَتَصَــلَّفَ فَيَسْــقُطَ فِــي دَيْنُونَــةِ إبْلِــيسَ."[١٤٩] لكــيّ لا يَفْعَــلَ نَفْــسَ خَطَايَــا ذَلَــكَ الشَــيْطَانَ، كَمَــا يَقُــوْلُ، ويَسْــقُطُ فِــيِّ نَفْسِ الكِبْرِيَاءِ كَما سَقَطَ ذَاكَ.

---

[١٤٥] أش ١٤: ١٤

[١٤٦] يُلَمِحُ هُنَا القِدِيسُ يُوحَنَا ذَهِبِيّ الفَمِ إلَىّ تَوَجُهِ مَدْرَسَةِ أنْطَاكِيَةَ التيَ تَرْفُضُ التَفْسِيْرَ الرَمْزِيَ وتُهَاجِمَهُ، عَلَىَ عَكْسِ مَدْرِسَةِ الإسْكَنْدَرِيَةِ التي تَعْتَمِدُ هَذَا الأُسْلُوْبَ فَيَ التَفْسِيْرِ.

[١٤٧] حَرْفِيًا κατήγορον أي المُدَعِي أو النَائِبُ العَامَ.

[١٤٨] الكَلِمةُ اليَونَانِيْةُ التيَّ يَسْتَخْدَمُها القِدِيْسُ بُوْلَسُ هي "νεόφυτον" والتي وردت فِي تَرْجَمَةِ فَانْدَايِكَ: "حَدِيْثُ الإيْمَانِ"، تَعْنِي حَرْفِيًا "نَبْتٌ جَدِيْدٌ" والمَقْصَوْدُ أنَّه حَدِيْثُ العَهْدِ فِي اعْتِنَاقِ الإيْمَانِ المَسِيْحِي.

[١٤٩] ١تي ٣: ٦

عَزَاءُ الشَيْطَانَ فِيَّ هَلاَكِ الإنْسَانِ

٤- والأَمْــرُ لا يَتَضِــحُ فَقَــطْ مِــنْ هَــذا (الــنَصِ)، بــلْ أيْضًــا مِمَــا قَــدْ نَصَــحَ بِــهِ ذَاكَ الشَــيْطَانُ الشِــرِيْرُ الإنِسْــانَ الــذيّ قَــدْ خُلِــقَ قَبْــلَ الجَمِيْــعِ، لأنَّــه كِمِــا أنَّ الصَــالحِينِ يَعْتــادُوْنَ أنْ يَنْصَــحُوا الآخَــرِيْنَ بــالأمُوْرِ التــي بَواسِــطَتِها قَــدْ صَــارُوْا صَــالِحِين، فَكِــذَلِكَ أيْضًــا الأَشْــرَارُ، يَنْصَــحُونْ الآخَــرِينَ بِــالأَمُوْرِ التِــيَّ بَوْاسِــطَتِها قَــدْ صَــارُوا أَشَــرَارًا، وهَــذا أيْضًــا يُعْتَبَــرُ نَوْعًــا مَــنْ الشُــرُوْرِ، حَيْــثُ يُعْتَبَــرُ الشَــيَاطِينُ هَــلاَكَ الأَخَــرِيْنَ نَوْعًــا مَــنِ العَــزَاءِ لِجَحِــيْمِهِم الخَــاصِ، فَبِمــاذَا نَصَــحَ الشَــيْطَانُ آدَمَ؟ أنَّــهُ سَــوْفَ يَقْتَنِــي مَعْرِفَــةً أَعْظَــمَ مَــنْ طَبِيْعَتِــهِ، وسَــوْفَ يَتَطَلَــعَ إلــىّ أنْ يَكُــوْنَ مَسَــاوِيًا لله، فَكَأنَّــه يَقُــوْلُ: وأنْ كُنْــتَ قَــدْ طَرِدْتَنِــي مِــنَ السَــمَاءِ فَبِــالأَوْلَى تَطْــرُدُ – بِشِــكِلٍ مُسَــاوٍ- ذَاك (الإِنْسَــانِ) مِــنَ الفِــرْدَوسِ، لِــذَلِكَ فِــإنَّ سُــلَيمَانَ يَقُــوُلُ: "يُقَــاوِمُ اللهُ الْمُسْــتَكْبِرِينَ"[150] فَلَــمَ يَقُــلْ أنَّ اللهَ يَهْجُــرُ أَوَلِئــكَ

---

[150] راجع أم ٣: ٣٤ (سبعينية) أنظر أيضا يع ٤: ٦ و١بط ٥: ٥

المُسْــــتَكْبِرِيْن ويِسْـــتَبْعِدُهم مِــــنْ مَعُونَتِــــهِ، بَـــلْ يَقُــــوْلُ "يُقَـــاوِمُ" ولَـــيِسَ مُجَـــرَدَ التَصَـــدِي بَـــلْ أنْ يَصِـــلَ الأمْـــرُ إلـــىّ قِتَـــالِ المُسْـــتَكْبِرِ، لأنَّـــهُ هـــلْ يُوْجَـــدُ مَـــنِ هُـــوَ أَكْثَـــرُ ضَــــعْفًا مِـــنَ المُسِـــتَكْبِرُ؟ كَمِثْـــلِ شَـــخْصٍ قَـــدِ فَقَـــدَ عَيْنَيـــهِ فَمِـــنَ المُمْكِـــنِ للجَمِيـــعِ أنْ يَصْـــنَعُوا بِـــهِ أيَ شَـــرٍ، كَـــذَلَكَ المُسْـــتَكْبِرُ الـــذي لا يَعْـــرِفُ الـــرَبَ، - لأنَّـــه يَقُـــوْلُ "بِـــدءُ الكِبْرِيَـــاءِ عَـــدِمُ مَعْرِفَـــةِ الـــرَبِ"[151] لَقَـــدْ صِـــرْتَ خَاضِـــعًا للنَـــاسِ بِسُـــهُوْلَةٍ طَالَمـــا قَـــدْ حُرِمـــتَ مِـــنْ هَـــذَا النُـــوْرِ. وإنْ كَـــانَ قَوِّيًـــا فَـــلا تُوْجَـــدُ أيُ حَاجَـــةٍ أنْ يَكُـــوْنَ اللهُ نـــدًا لَـــهَ، لأنَّ ذَاكّ الـــذي يَكْفِيْـــهُ فَقَـــطْ أنَّـــهُ خَلَـــقَ كُـــلَ شَـــيءٍ بإِرَادَتِـــه، فَكَمْ بِالأُوْلَى يَكْفِيْهُ بِإشَارِةٍ مِنْهُ أنْ يُدَمِرَهُم.

الكَتَابُ يَشْرَحُ أسْبَابَ الخَطِيئَةِ ومَنْبَعَها.

فَلمَـــاذَا يَقُـــوْلُ إذَنْ "يُقَـــاوِمُهُم"؟ حَتـــي يُظْهِـــرُ مَـــدَى نِفُـــوْرِهِ الشَـــدَيدِ مِـــنَ المُسْـــتَكْبِرِ، وأنَّ جُـــرْحَ الكِبْرِيَـــاءِ مُخِيْـــفٌ، ويَصِـــيْرُ مُخِيفًـــا مِـــنْ هَـــذَا الأمْـــرِ ومِـــنْ أُمُـــوْرٍ أُخْـــرَى، فَـــإنْ أرَدْتُـــم أنْ نَعْـــرِفَ مَـــنْ أيِ مَصْـــدَرٍ

[151] أنظر يشوع بن سيراخ ١٠: ١٢

أخـرَ يـأتي الجُـرْحُ. لأنَّـه مِـنْ عِـادةِ الكِتَـابِ (المُقَـدَسِ) عِنْـدَما يَشْـرَعُ فِـي إدانَـةِ شـخصٍ مَـا، فإنَّـهُ لا يُشِـيْرُ فَقَـطْ إلــي خَطِيْئَــهُ بــلْ أنَّــهُ يَشْــرَحُ سَــبَبَها، حَتَــي يَجْعَــلَ الأصِـحَاءَ (مِـنَ الخَطِيئَـةِ) فـي مَـأمَنٍ مِـنِ السُـقُوطِ فَـيّ نَفَــسِ الخَطِايا. هَكَــذا أيضًــا الأَطِبَــاءُ، عِنْــدَما يَــذْهَبُونَ للمَرْضَــــى، فَقَبْــــلَ أنْ يَشَّخِصُــــوا الأمْـــراضَ فــــإنَّهم يَبْحَثُـونَ عَـنْ مَصْـدَرِ الـدَاءِ، حَتـى يُوْقِفُـوا الشَـرَ (الألَـمَ) مِـنْ أصَـلِهِ، لأنَّ مَـنْ يَقْطَـعَ البُـرْعُمَ ويُبْـقِ الجِـذْرِ، فإنَّـهُ لا يَفْعَـلُ شَـيْئًا ذَا جَـدْوَى. فـأين يـا تُـرى يُشِـيرُ الكِتَابُ إلَـىَ الخَطِيْئَـةِ ومَصْـدَرِ عِلَّتِهـا؟ فَهُـوَ يُـدِينُ كُـلَّ مَـنْ كَـانُوا يَعِيشُـون قَبْـلَ الطُوْفَـانِ بِسَـبَبِ الزِيْجَـاتِ المُخْتَلِطَـةِ غَيْـرِ المُلائِمِـةِ، فاسْـمَعْ كَيْـفَ يَطْـرَحُ عِلَـةَ الأمْـرِ "أنَّ أبْنَـاءَ اللهِ رَأَوْا بَنَـاتِ النَّـاسِ أنَّهُـنَّ حَسَـنَاتٌ. فَاتَّخَـذُوا لأنْفُسِـهِمْ نِسَاءً مِنْ كُلِّ مَا اخْتَارُوا"[١٥٢].

الجَمَالُ لَيسَ خَطِيْةً بلَ النَظْرَةُ الشَرْيِرةُ .

فمَـاذَا إذَنْ، هَـلِ الجَمِـالُ هُـوَ سَـبَبُ الخَطِيئـةِ؟

[١٥٢] تك ٦ : ٢

حَاشَـــا، فَالجَمَـــالُ هَـــوَ مَـــنِ صُـــنِيْعِ حِكْمَـــةِ اللهِ، وعَمَـــلُ اللهِ لا يُمْكِـــنُ أبَـــدًا أنْ يَكُـــوْنَ عِلـــةً للشُـــرُورِ، فَمَـــاذَا؟، أَلَعْـــلَ السَــبَبَ فِـــيّ رُؤيَـــتِهِم لَـــه؟ ولا هَـــذَا أَيْضًـــا. لأنَّ تِلْـــكَ الرَؤيَـــةَ هِـــيَّ مِـــنْ دَافِـــعِ الطَبِيْعَـــةِ، فَمَـــاذَا إِذَنْ؟ السَـبَبُ هُـوَ أنَهَـم قَـد حَـدَّقُوا النَظَـرَ فِيـه بِطَرِيَقَـةٍ شَـرِيْرَةٍ، لأنَّ هَـذَا بِسَـبَبِ الرَغْبَـةِ الفَاسِـدَةِ، لِـذَلِكَ فَـإنَّ أحَـدَ الحُكَمَـاءِ يَنْصَـحُ قَـائِلاً: "لا تُحَّـدِقْ (تَـتَفَحصْ) فِـي الجَمَـالَ الأجْنَبِـيّ"[١٥٣] لَـمْ يَقُـلْ "لا تَنْظُـرْ" لأنَّ هَـذا يُمْكِـنُ أنْ يَحْـدُثَ تِلْقَائِيًـا، بَـل قَـال "لا تُحَّـدِقْ" كَـيّ يَمْنَـعَ الإصْـرَارِ عَلَـى المُلاَحَظَـةِ، والنَظْـرَةِ المُرِيْبَـةِ، والمُشَـاهَدَةِ الشَـرِيرَةِ بإِصْرَارٍ مِنْ نَفْسٍ فَاسِدَةٍ تُسَيْطِرُ عَلَّيْهَا الشَهْوَةُ.

وقَـدَ يُقَـالُ مَـا الضَـرَرُ الَـذي يُمْكِـنُ أنْ يَحْـدُثَ مِـنْ هَـذَا؟ فَنَقُـوْلُ "أنَّ الغَـرَامَ يَشْـتَعِلُ مَثْـلَ النَـارِ"[١٥٤] لأنَّـهُ مِثْـلُ النّـارِ التِـيّ تَصِـلُ إِلَيْهَـا وَرَقَـةٌ أو قَشْـةٌ، لا

---

[١٥٣] أنظر يشوع سيراخ ٩: ٨ أ

[١٥٤] يَشُوْعُ بْنُ سِيْرَاخَ ٩: ٨، "غَرَامٌ" فِيَ التَرْجَمَةِ السَبْعِيْنِيةِ تُسْتَخَدَمُ كَلِمَةُ φιλία التيَ تـعْنِيّ حُبًا أو صَدَاقةً، ويُمْكِنُ أنْ تَأتِي بِمَعْنَي الغَرَامِ والمَيْلِ للشَهْوَةِ كَمَا فِي هَذَا العَدَدِ.

تَنتَظــرُ لِفَتْــرةٍ زَمَنِيْــةٍ ولَكَــنَّ بِمُجَــرَدِ وُصُــوْلِها تَشْــتَعِلُ بِــوَهجٍ لاَمِــعٍ، وبِالمِثْــلِ فِــإنَّ نَــارَ الشَــهَوَةِ التِــي فِــيّ دَاخِلِنَــا، عِنْــدَمَا تُصِــيْبُ العَــيْنَ المُحَّدِقَــةَ فِــيّ مُتْعَــةٍ وأَشِــعَةِ الجِمَــالِ، فَحَــالاً تَشْــتَعِلُ النَــارُ فِــيّ أنْفُــسِ النَــاظِرِيْن. فَــلا تَنظُــرُ إذَنْ للَــذْةِ الوَقْتِيــةِ، النَابِعَــةِ مِــنَ المُشَــاهَدَةِ، ولَكِــنْ تَأَمُــلِ الضِــيْقِ الــدَائِمِ الآتــي مِــنَ الشَــهْوَةِ. لأنَّ الأُوْلَــى تُسبِبُ لَنــا الإصَــابَةَ، فَفَــي كَثِيْــرٍ مِــنَ المَــراتِ هَــذِه المُشَــاهَدُ تَرْحَــلُ مَــنْ أمَــامِ أَعْيُنِنَــا، ولَكَــنَّ جُرُوحَهــا لا تَنْتَهِــيّ، بّــل تَبْقَــىَ وتُسَــبِبُ دَمَــارًا وهَلاَكَــا، مِثْــلَ هــلاكِ غَــزَالٍ قَــدْ أُصِــيْبَ بِسَــهْمٍ فِــيّ مَنْطِقَــةٍ قَاتِلَــةٍ فَــي جَسِــدِهِ، فَحَتَــى! لَــوْ فَلَــتَ مَــنْ يَــدِ الصَــيَّادِيْن، فِإنَّــه لَــنْ يِنتفَــعَ شَــيْئًا. هَكَــذَا أيْضًــا الــنَفْسُ التِــي تُصَــابُ بِسَــهْمٍ مَــنِ المَنَــاظِرِ الفَاسَــقِةِ والمُرِيبَــةِ، حَتَــي لَــوْ هَرِبَــتْ مِــنْ هَــذَا السَــهْمِ، فِإنَّهــا سَتَفَسَــدُ وتَهْلَــكُ، لأنَّهــا فِــي كُــلِ مَكَــانٍ سَــتَكُوْنُ فِــي مَرْمَــىَ العَــدُوِ. ولَكَــنَّ هَــذَا مَــا كُنْــتُ أَقْوْلُــه ـ لأنَّــه لا يَنْبَغِــي لَنَــا أنْ نَسْــمَحَ لأَنْفُسِــنَا بالاسِــتِطْرَادِ فَــي الحَــدِيْثِ، أنَّ الكِتَــابَ (المُقَــدَسَ) يَعْتَــادُ أنْ يُشِــيْرَ إلَــى الخَطَايَــا وإلَــي أَسْــبَابِها،

فاِسْـمَعْ مَـاذَا يَقُـوْلُ هنـا بشـأن عُزِّيَّـا. لأنَّ الكَتَـابَ لا يُعَلِّمُنَـا هَـذَا فَقَـطْ أنَّـهُ قَـدْ تَكَبَّـرَ بَـلْ أنَّـهُ يُضِـيْفُ أيضًـا بِسَـببِ أيَ شَـيءٍ قَـدِ تَكَبَّـرَ، فمَـا هُـوَ إذَنْ سَـبَبُ تَكَبُّـرِهِ؟ فَيَقُـوْلُ: "ولَمَّـا تَشَـدَدَ اِرْتَفَـعَ قَلْبُـهُ" فَلَـمْ يَحْتَمِـلْ عَظَمَـةَ السُـلْطَةِ، كمِثْـلِ كَثْـرَةِ الـنَهَمِ التِـي تُوَّلِـدُ الالْتَهَابَـاتِ ومِنْهـا الحُمْـىَ وفِـي عَدِيْـدٍ مَـنِ المَـرَاتِ يَنْتَهِـيِ الأَمْـرُ إلَـي الوَفَـاةِ، هَكَـذَا أيضًـا فِـي حَالِـةِ عُزِّيَّـا، فِـإنَّ صُـعُوْدَ المَـرْءِ لِمَكَانَـةٍ ذَاتِ شَـأْنٍ عَظِـيْمٍ تُسَـبِبُ الكِبْرِيَـاءَ، فَمَـا يُسَـبَبُ الْتِهَـابَ الجَسَـدِ، يُسَـبَبُ للـنَفْسِ الكِبْرِيَـاءَ. وبَعْـدَ الكَبْرِيَاءِ، اشْتِهَاءُ أشَيَاءٍ لا تَلِيْقُ بِهِ.

لا يَنْبَغِي أنْ نَحْسِدَ مَنْ هُمْ فِي السُلْطَةِ.

٥- وإطْنَابُنَـا هَـذَا لَـيْس عبثًـا، حَتَـى لا تَظُنْـوُا أنَّ مَـنْ يُوْجَـدْ فِـي سُـلْطَةٍ، يُحْسَـدْ عَلِيّهـا، ولا أنْ تُطَوْبُـوهُ عَلِيّهَـا، عَـارِفِينَ أنَّ السُـلْطَةَ مُتْزَعْزِعَـةٌ ومَحْفُوْفَـةٌ بِالمَخَـاطِرِ، ولَكَـيّ لا تَعْتَبِـرُوا إطْلاَقًـا أَوَلِئَـكَ الـذِينَ يِعِيْشُـوْن فِـي الفَقْـرِ والمُعَانَـاةَ أنَّهـم تُعَسَـاءٌ، عَـارِفِين أنَّ أوْلَئِـكَ يَعِيْشَـون فَـي مَـأَمَنٍ أعْظَـمَ . لِـذَلَك

فـإنَّ النَبِـي كَـانَ يَصْـرُخُ قُـائِلاً: "خَيْـرٌ لِـي أَنِّـك قـد أذللتنـي"[155] فَتَأَمَـلْ كَـمْ مِـنَ الشَـرِ قَـدْ صَـارَ بِسَـبَبِ الرِفْعَـةِ فِـي المَنْزِلَـةِ: " وَلَمَّـا تَشَـدَّدَ ارْتَفَـعَ قَلْبُـهُ إِلَـى الْهَـلاَكِ"[156]، فمَـاذَا يَعْنِـي بِعْبَـارَةِ "إِلَـيَ الهَـلاَكِ"؟ مِـنْ بَـيْنَ كَثِيـرِ مِـنَ الأَفْكَـارِ الشَـرِيرَةِ فَـإنَّ بَعْضَـها لاَ تَصْـلُ إِلَـي نُفُوسِـنَا، وحَتـى لـوْ سَـيَّجَنا عَلَـى أَنْفُسِـنا بِكِثِيْـرٍ مَـنِ الحِمَايَـةِ، إلاَ أنَّ بَعْـضَ الأَفْكَـارِ مَـرَةً أَخْـرَى تَتَوَلَـدُ فَيَنَـا بِالتَأكِيـدِ، عِنْـدمَا نَكُـوْنُ كُسَـاَلَى فَتَنْبُـتْ تِلْـكَ الأَفْكَـارُ، ولَكِـنْ عِنْـدَمَا نُلاَحِقُهَـا فإنَّهـا تَخْتَنِـقُ سَـرِيعًا وتَمُـوْتُ[157]، والــبَعْضُ الأخَـرُ تَتَوَلَـدُ وتَكْبَـرُ وتَظْهَـرُ بِوَاسِـطَةِ الأَعْمَـالِ الشَـرِيرَةِ وتُـدَمِرُ كُـلَّ صِـحَةِ نُفُوْسِـنا، وذَلَـكَ عِنْـدَمَا نَسْتَسْـلِمُ للكَسَـلِ الشَـدِيدِ. هَـذا هُـوَ إِذَنْ مَـا يَعْنِيْـهُ بِعِبَـارَةِ "ارْتَفَـعَ قَلْبُـهُ"، فَلَـمْ يَبْـقَ الكِبْرِيَـاءُ فَـي دَاخِلِـهِ، ولا انْطَفَـأَ، بَـلْ قَفَّـزَ للخَـارَجِ، وطَالَمَـا أنَّـهُ تَحَـوَّلَ إِلَـي عَمَـلٍ شَـرْيرٍ، فَقَـدْ دَمَـرَ كُـلَّ فَضَـيْلَةٍ لَـهُ. فالعمـلُ

[155] مز ١١٨: ٧١ بحسب الترجمة السبعينية.

[156] ٢ أخ ٢٦: ١٦

[157] حرفيًا تدفن καταχώννυνται

المطلــوبُ هــو ألا نقبــلَ أبــدًا الفِكــرَ الشِــرِيرَ وهــذا مــا كــان يقولــه النبــي: "يَــا رَبُّ، لَــمْ يَرْتَفِــعْ قَلْبِــي"[158]، فَلَــمْ يَقُــلْ "اِسْــتَكْبَرَ (تَفَــاخَرَ) قَلْبِــي ولَكِنِــي تَحَكَمْــتُ فِيْــهُ" بَــلْ حَتِــى لَــمْ يَشْــرُعْ فِــي أنْ يَسْــتَكْبِرَ، أيّ، قَــدَ تَحَكَــمُ فِــي نَفْسِــهِ المُحَصَــنَةِ مِــنْ كُــلِ الشُــرُوْرِ، فَهَــذا هُــوَ العَمَــلُ المَطْلُــوْبُ (المُطَّــوَبُ)، ومَــا يَــأتِي بَعْــدَهُ هُــوَ أَنَّــهُ إذ دَخَلَــتْ أفْكَــارٌ فَلْنَصُــدْها سَــرِيعًا ولا نَــدَعْها تَبْقَــى أَكَثَــرَ، كَــي لاَ نِجْعَلَهــا تَعْمَــلَ فِــي دَاخْلِنَــا مَرْعَــىَ شَــرِيْرًا. ولكِنَّــهُ حَتَــى لَــوْ وَصَــلْنَا إلَــى هَــذا الحَــدِ مِــنَ التَراخِــي والكَسَــلِ، فَإمْكَانِيِــةُ الشِــفَاءِ[159] قَائِمَــةُ، وذَلِــكَ بِفَضَــلِ مَحَبَــةِ اللهِ للبَشَــرِ وصَــلاَحِهِ العَظِــيْمِ وغَيِــرِ المَوْصُــوفِ، إذْ قَــدْ أَعَّدَ عِلاَجَاتٍ عَدِيْدَةً لِهَذا النَوْعِ مِنَ الجِراحَاتِ.

خَاتَمَةُ عَبَارِةُ عَنَ مُلَخَصٍ لِمُحْتَوىَ العِظَةِ.

فَلنَتَوَقَــفْ إذَنْ عَــنِ الحَــدِيْثِ، كَــي لا يَحْــدُثَ هنــا مَــا قَــدْ تَخَوَفَنَــا مِنْــهُ فِــي البِدَايــةِ، فَــالكَلاَمُ الكَثِيْــرُ

---

[158] مز ١٣٠ : ١

[159] حرفيًا العزاء : παραμυθία

يُرْهِــقُ ذاكِــرَتَكُم. لِــذَلِكَ فَمِــنَ الضَــرُوْرِيِ أنْ نُلْخِــصَ بِكِلِمَــاتٍ قَلِيْلَــةٍ مَــا قَــدْ قُلْنَــا، فَهَــذَا مَــا تَفْعَلُــهُ الأُمَهَــاتُ عِنْــدِما تَضَــعْنَ فَواكِهًــا أو ثَمَــارًا يَابِسَــةً[160] ومَــا شَــابَهَها، فِــي (الجُيُــوْبِ المُعَلَقَــةِ عَلَــى) صَــدْرِ الأَطْفَــالِ لِكِــي لا يِسْــقُطَ شَــيْئٌ مِــنْ هَــذِهِ الثِمَــارِ التَــي أَعْطَتْهــا الأُمَهَــاتُ لَهَــم، بِسَــبَبِ عَــدِمِ انْتِبَــاهِهِم، حَيْــثُ جَمَعْنَهَــا مِــنْ كُــلِ مَكِــانٍ، ووِضَــعْنَها فِــي السُــتْرَةِ البَسِــيْطَةِ حَرِيْصَــاتٍ عَلَــى رَبْطِهــا بِــالحِزَامِ، وهَــذَا مَــا سَــوْفَ أَفْعَلُــهُ أنَــا، فَسَــوْفَ أَحْصُــرُ الكَــلاَمَ الــذِيّ قَــدْ عَرَضْــتُه باسِتِفَاضِــةٍ، وكُلِي ثِقَةٌ بِأنَّهُ سَوْفَ يُحْفَظُ فِي الذَاكِرةِ.

قَدَ اِسْتَمَعْتُمْ إلَى أَنَّهُ لا يَجِبُ بَذْلُ أي جَهْدٍ لإظْهَارِ أنَّ الكَسَلَ هُوِ شَرٌ عَظِيْمٌ، وأنَّهُ بِسِبِبِهِ قَدْ تَعَثَرَ بِسُهُوْلَةٍ حَتَى ذَاكَ الذَي يِعِيْشُ بِحَيِاةِ التَدْقِيْقِ، وتَعْرِفُوْنَ كَمْ نَحْتَاجُ إلَى اليَقْظَةِ، وبِالأَخِصِ فِي نِهايِةِ حِياتِنِا، وأنَّهُ يَجْبُ عَلَى مَنْ يُحَاوِلُ التَوْبَةَ ألا يَيْأَسَ بِسِبَبِ مَعَاصِيهِ، ولا ذَاكَ الذي يُمَارِسُ الفَضِيْلَةَ أنْ يَثِقَ فِي ذَاتِهِ. فَقَد حَدَّثْتُكُم عِنِ اخْتِلافِ

[160] المقصود هو "المكسرات" وغيرها.

الخَطَايَـا، لَكَـي لا تَفْتَتِنُـوا بِالأجْسَـادِ البَرَّاقَـةِ، وقَـدْ أَوْضَـحْتُ لَكُم كَمْ مِنْ شَرٍ يَأتِي مِنْ وِراءِ ذَلِكَ، فَلتَتَذَكَّرُوا كُلَ مَا قَدْ قُلْتُهُ عَنِ الكِبْرِيَاءِ وعَنِ الأَفْكَارِ الشِرِيرَةِ. فَنَرْحَل مِنْ هُنَا ونَحْنُ مُحْتَفِظُوْنَ بِمَا قِيلَ، وأَفْضَلُ حِفْظًا لَهَذا هُوَ أنَّ نَقْبَلَ بِشَكْلٍ تَامٍ نَصَائِحَ المُعَلِّمِ الصَالِحِ[١٦١]، لأنَّ مَا يَخُصَنِي (مِنْ وِعِظٍ)، يَحْمِلُ طَابَعَ الشَبَابِ بَيْنَمَا مَا يَخُصُ المُعَلِّمَ مُزَيَّنٌ بِعِنَايَةِ الشُيُوْخِ، وكَذلِكَ مَا يَخُصُنِي يُشْبِهُ الغَدِيْرَ الذِي يَأتِي مَنِ الجُذُوْرِ، بِيْنَمَا مَا يَخُصُهُ يُشْبِهُ النَبَعَ الذِي يِتدفقُ مِنَ الأَنْهَارِ بِهِدُوْءٍ شَدِيْدٍ، التِى تُحَاكِي سَرَيَانَ الزَيْتِ ولَيْسَ المَاءَ.

فَلَنَقْبَلِ المِيَاهَ المُتَدَفِقَةَ، حَتَى يَصِيرُ فِي دَاخِلِنَا مَصْدَرُ المِاءِ الذِي سَوْفَ تَتَدَفَقُ مِنْهُ الحَيَاةُ الأَبَدِيَةُ، التَي نَتَرَجَى أَنْ نَنَالَهَا كُلُّنَا بِنِعْمَةِ ومَحِبةِ البَشَرِ اللَواتِي لِربِنِا يَسُوْعَ المَسِيحِ، الذَي يَلِيْقُ بِهِ الكَرَامَةُ والمَجْدُ والقُوَّةُ مَعَ الآبِ والرُوْحِ القُدُسِ، الآنَ وكُلَّ آوانٍ وإلَى دَهْرِ الدُهُوْرِ. آمِين.

---

[١٦١] المقصود بالمعلم هنا هو الأسقف "فلافيان" أنظر المقدمة ص ٣٢.

العظةُ الخامسةُ

عَنْ نِهَايَةِ عُزِّيَا.[١٦٢]

مُقَدِمَةٌ عَنْ مَوْضُوْعِ العِظَةِ

١- هَيَا بِنَا لِنَأتِ إلَى نِهايَةِ قِصْةِ عُزِّيَّا، ونَضَعْ حَدًّا للحَدِيْثِ عَنْهُ، كَي لا نَكُوْنَ مَوْضِعَ سُخْرِيْةٍ، مِثْلَ ذَاكَ الذي شَرَعَ فِي بِنَاءِ البُرْجِ – (كَمِا هُوَ مَذْكُوْرٌ) فِي الآنَاجِيلِ - ولَمْ يَسْتَطِعْ[١٦٣]، ألَعَلَّ أحدًا مِنْ أولِئِكَ الحُضُوْرِ يَقُوْلُ عَنّا "هَذَا الإِنْسَانُ ابْتَدَأَ يَبْنِي وَلَمْ يَقْدِرْ أَنْ يُكَمِّلَ."[١٦٤]، ولَكِي يِصِيْرَ كَلامِي أَكْثَرَ وُضُوْحًا لَكُم، فَمِنَ الضَرُوْرِي أنْ أُعِيْدَ عَلِيْكُم بِعْضًا مِمِا قَدْ ذَكَرْتُهُ سَابِقًا، لَكَي لا يَدْخُلَ

---

[١٦٢] فِي بِعْضِ المَخْطُوْطَاتِ يُوْجَدُ عُنْوَانٌ مُخْتَلِفٌ: "عَنْ قَوْلِ إشَعْيَاءَ النَبِي القَائِلِ: " في سَنَةِ وَفَاةِ عُزِّيَّا المَلِكِ، رَأَيْتُ السَيِّدَ جَالِسًا عَلَى كُرْسِيٍّ عَالٍ وَمُرْتَفِعٍ" (أش ٦: ١)، وبُرْهَانُ أنَّ عُزِّيَّا قدْ أُصِيْبَ بِالبَرَصِ عَنْ حَقٍ، لأنَّهُ بَخَرَ بِدُوْنِ اسْتِحْقَاقٍ، الأَمْرُ الذي لا يَحِقُ للمِلُوْكِ بَلِ للكَهَنَةِ فَقَط."

[١٦٣] أنظر لو ١٣: ٢٨

[١٦٤] لو ١٤: ٣٠

كَلاَمِي المَسْرَحَ الرُوْحِي بِدُوْنَ رَأسٍ، بَل لَيَأخُذْ وَجْهَهُ المَألُوْفَ، حَتَى يَتَمَكَنَ المشاهدون مِن التَعَرْفِ عَلِيْهُ[١٦٥]. وسَوْفَ يَكُوْنُ الأمْرُ بَالتَأكِيْدِ لمَنْ سَمِعُوْا فِي السِابِقِ بِمِثِابِةِ تَذْكِرةٍ، وبِالنِسْبِةِ لمَنْ يِسْمِعُ لِلمَرَةِ الأوْلَى تَعْلِيمًا. تَحَدَثْنَا فَي السَابِقِ كَيفَ أنَّ عُزِّيَا كَانَ تقيًا، وقُلْنَا كَيْفَ صَارَ شَرِيرًا وكَذَلِكِ مُنْذُ مَتَى وإلَىَ أي مِرْحَلِةٍ مْنِ الكِبْرِياءِ قَدْ سِقَطَ. اليَوْمَ مِنَ الضِرُوْرِي أنَ نَحَدِثَكَمْ كَيْفَ أنَّهُ دَخَلَ الهَيْكَلَ وكَيْفَ شَرَعَ أنْ يُبَخِرَ، وكَيْفَ مَنَعَهُ الكَاهِنُ، وكَيْفَ لَمْ يَتَرَاجَعْ ذَاكَ، وكَيفَ جَلَبَ غَضَبَ اللهِ، وكِيْفَ أنْهى حِياتِهِ وهَوَ أَبْرَصُ، ولأيِ سببٍ تَجاهَلَ النَبِيُ أيَامَ حَيَاتَهُ، وأشَارَ إلىَ وَفَاتِهِ، قَائِلاً الآتي: " في سَنَةِ وَفَاةِ عُزِّيَا الْمَلِكِ". لأنَّنا مِنْ هُنَا قَدْ بَدَأنَا القِصَةَ مِنْ أَوْلِها. ولكنَّ لِتَنْتَبِهْ جَيْدًا.

---

[١٦٥] يُشَبِهُ ذَهَبِيُ الفَمِ الحَدِيْثَ بَدُوْنِ مُقدِمةٍ تَرْبطُ مَا سَبَقَ ذِكْرُهُ بِما سوفَ يِسْتِانِفُهُ مِنْ كَلامٍ، كِدُخُوْلِ المُمَثِل للمَسرَحِ بِدُوْنِ رأسٍ، فلا يَستطِيْعُ المُشَاهِدُوْن تَحْدِيْدَ شَخْصِيَتِهُ، فَهوَ يُبَرِزُ سَبَبَ تَكْرَارِهُ لمُقَدِمةِ قِصَةِ عُزِّيَا، حَتَي يَستَطِيعَ الحُضُوْرُ مُتَابَعَةَ الحَدْيِثِ.

خطية عُزِّيَا أنه لم يستطع كَبْحَ أَهْوَائه.

يقـول (الكتـاب): "لمَـا تَشَـدَدَ عُزِّيَـا المَلَـكُ تَكَبَـرَ قَلْبُـهُ بِدرجَـةٍ قَـدْ دَمَرتْـهُ، فَأَخْطَـأَ قُـدَامَ الـرَبِ إلَهِـهِ "[166]، وكَيْـفَ كَـانَ طَرِيْـقُ خَطِيئتِـهِ؟ يَقُـوْلُ: " دَخَـلَ إلـىَ هَيْكَـلِ الـرَبِ حَتـي يُبَخِـرَ عَلـىَ مَـذْبَحِ البُخـوْرِ"[167]، كَـم هِـيَ جَـرَأَةٌ شَـدِيْدَةٌ!، كَـمْ هِـي بجاحَـةٍ!، فَـأظْهَرَ تَطَـاولاً أَمَـامَ حَـرَمِ الهيْكَـلِ، أحْتَـلَ قُـدْسُ الأَقْـدَاسَ، مَكَانًـا مُحَّرَمًـا عَلـىَ الجَمْيـعِ، مَـا عَـدَا رئـيسَ الكَهَنَـةِ، وشَـرِعَ فَـي أنْ يُدَنِسَـهُ، وهَكَـذَا هِـيَ الـنَفْسُ التِـي تَصِـلُ إلـىَ الكِبْرِيـاءِ. فَعِنـدمَا تَيْـأَسُ مِـنْ خَلاَصِـها لا تَتَوقَـفُ حَمَاقَتُهـا فِـي أيِ مَكَـانٍ كَـانَ، تَارِكَـةً لِجَـامَ خَلاَصِـها، مُنْقَـادَةً مِـنْ شَـهَوَاتِها البِهِيْمِيْـةِ، كِمِثْـلِ جَـوَادٍ جَـامِحٍ، قَـدِ خَلَـعَ لِجَامَـهُ مِـنْ فَمِـهِ، وقَـذَفَ بِرَاكِبِـهِ مِـنْ عَلَـى ظَهْـرِهِ، يَجْـرِي بَـأَكْثَرَ تَهَـوُرًا، تَحَمْلُـهُ كُـلُ رِيْـحٍ، وكُـلُ مَـنْ يُقابِلُـهُ لا يَقْـدِرُ أنْ يكْبِحَـهُ، الجَمِيْـعُ يِتَجَنُبـه ولا يَتَجَاسَـرُ أحَـدُ أنْ

---

[166] أش ٦: ١

[167] ٢مل ٢٦: ١٦

يُقَوِضَــهُ. هَكَــذَا الــنَفْسُ أيْضَــا عِنْــدَما تَطْــرَحُ عَنْهــا مَخَافَــةَ اللهِ التــي تَكْـبِحُ وتَنْــزَعُ كُــلَ فَكِــرٍ يَقُوُدُهــا، فإنَّهــا تَجِــرِي وَرَاءَ أَمَــاكِنِ الرَذِيْلَــةِ، حَتــي تُقَــوِضُ خَلاَصَــها بِتَسَــرُعٍ فتَهْــوَى فِــي أَعْمَــاقِ الهَــلاَكِ. ومِــنْ ثَــمَ يَجْــبُ أنْ تُكْـبَحَ الــنَفْسُ بَاسْــتِمْرَارٍ بِأَفَكَــارِ التَقَــوَى، كَمِثْــلِ اللِجَــامِ، وأن تُــرَوِّضَ دَوَافِعُهَــا البَهِيْمِيــةُ، الأمْــرُ الــذي لِــمْ يَقُــمْ بِــهِ عُزِّيَــا، بــلْ أنَّــهُ تَطَــاوَلُ عَلــىَ هَــذِهِ السُــلُطَةِ الأعَلَــىَ مِــنْ أيِ سُــلْطَةٍ أُخْــرَي. لأنَّ الكَهَنُــوْتَ أكْثَــرُ رِفْعَــةً مِــنَ المُلكِ نَفْسِهِ، وسُلْطَةٌ أعَظَمُ.

الكَاهِنُ يَحْتَلُ مَكَانَةً أعْلَى مَنِ المَلِكِ.

فــلا تُحَــدِثْنِي عِــنِ الــرِدَاءِ الأُرْجُــوَانِي، أو التَــاجِ أو الثِيَــابِ الذَهَبِيَــةِ، كُــلُّ هَــذَا سَــرَابٌ[١٦٨] وأَقَــلُ قِيْمَــةً مِــنْ زُهُــوُرِ الرَبِيْــعِ، لأنَــهُ يَقُــوُلُ : "كُــلُ مَجْــدِ الإنْسَــانِ مِثْــلُ زَهْــرِ العُشْــبِ"[١٦٩]، وهَكَــذَا إنْ كُنْــتَ تَتَحَــدَثُ عَــنْ مَجْــدِ المُلُــوْكِ فَــلا تَقُــلْ لِــي هَــذَا، ولَكِــنَّ إنْ

[١٦٨] حرفيًا: ظلالٌ

[١٦٩] أش ٤٠: ٦ بحسب الترجمة السبعينية.

شِئْتَ أنْ تَعْرِفَ الفَرْقَ بَيْنَ الكَاهِنِ والمَلِكِ، فَانْظُرْ إلَى السُلْطَةِ التِي أُعْطِيَتْ لِكُلٍ مِنْهُمَا، فَسَوْفَ تَرَى كَيْفَ أنَّ الكَاهِنَ يَحْتَلُ مَكَانَةً أعلَى مِنَ المَلِكِ، لأنَّهُ إنْ كَانَ العَرْشُ المَلَكِي يَظْهَرُ لَنَا أكْثَرَ جَلالاً بَسَبَبَ الحِجَارَةِ الكَرِيْمَةِ المُرَصَّعَةِ عَلَيهِ، والذَهَبِ الذي يَرْتَدِيهُ؛ وإنْ كَانَ قَدَ أُسْنِدَ إلَيهِ تَدْبِيْرُ الأُمُوْرِ الأَرْضِيْةِ، ولَيسَ لَهَ أيُ شَيءٍ أكثَرَ مِنْ تِلْكِ السُلْطَةِ، فَإنَّ عَرْشَ الكَهنُوْتِ مَوْضُوْعٌ فَي السَمَاوَاتِ وقَدِ عُهِدَ إلِيْهُ تَدْبِيْرُ الأمُوْرِ السِماوِيةِ. فمَنْ الذي يَقُوْلُ هَذا؟ أنَّه مَلَكُ السَمَاوَاتِ نَفْسُهُ، لأنَّهُ قَالَ: "كُلُّ مَا تَرْبِطُونَهُ عَلَى الأَرْضِ يَكُونُ مَرْبُوطًا فِي السَّمَاءِ، وَكُلُّ مَا تَحُلُّونَهُ عَلَى الأَرْضِ يَكُونُ مَحْلُولاً فِي السَّمَاءِ"[١٧٠] فَأيُّ كَرَامَةٍ مُسَاوِيَةٍ لِهَذِهِ؟ مِنَ الأرْضِ تَأخُذُ السَمَاءُ سُلْطَةَ الدَيْنُوْنَةِ! لأنَّ القَاضَي يُقِيْمُ فَي الأَرْضِ، والسَيْدَ يَتْبَعُ العَبْدَ[١٧١]، فَمَا يُقَرِرُه هَذا مِنْ

---

[١٧٠] مت ١٨: ١٨

[١٧١] أي أنَّ الرَبَ فَي السَمَاءِ يَستَجِيْبُ لِقِرَارِ الكَاهِنِ عَلَى الأرْضِ بالحِلِ أو الرَبْطِ.

أَسـفَلَ يُؤَيِّـدُهُ ذَاكَ مِـنْ أَعَلَـى. فالكـاهِنُ مَكَانُـهُ بَـيْنَ اللهَ وبَـيْنَ الطَبِيْعَـةِ البَشـرِيةِ، ويِنْقِـلُ إلِيْنِـا الكَرَامَـاتِ التَـي تَهْـبِطُ عَلِيْنَـا مِـنْ هُنِـاكَ، ويُصْـعِدُ تَضَـرُعَاتِنَا إلـيَ هُنَـاكَ، ويُـتَمِمُ المُصَـالَحَةَ عِنْـدَمَا يَغْضِـبُ عَلَـى طَبِيْعَتِنَـا، وعَنْـدِمَا نَصْـطَدِمُ مَعَـهُ يَنْتشِـلُنَا مِـنْ يَدَيّـهُ، لِـذِلِكَ فِـإنَّ اللهَ يُحْضِـرُ رَأسَ المَلِـكَ ويَضْـعُها بِـيْنِ يِـدِ الكِـاهِنِ (لأِخْـذِ البَرَكَـةَ)، حَتـى يُعَلِمُنَـا أنَّـه (أي الكَـاهِنَ) أَعِظَـمُ فِـي الرِئاسِـةِ مِـنْ ذَاِكَ (المَلِـكِ). لأنَّ "الأَصْـغَرَ يُبَـارَكُ مِـنَ الأَكْبَـرِ"[١٧٢]. أمـا فِيْمِـا يِتعِلِـقُ بِـالكَهنُوْتِ وعَظِمِـةِ اسْتِحْقِاقِهِ فَسَوْفَ نَتَحَدَثُ عَنْهُ فِي فُرْصَةٍ أخْرَى[١٧٣].

أمَـا الآنْ دَعْوَنَـا نَـرَى حَجْـمَ ظُلْـمِ المَلِـكِ أو بـالحَرِي الطَاغِيَـةِ. فَقَـدْ دَخَـلَ إلَـي هَيْكَـلِ الـرَبِ، وخَلْفَـهَ عَزَرْيِـا الكَـاهِنُ[١٧٤]، هَـلْ قَـد إدَّعَيْـتَ بَالبَاطَـلِ أنَّ الكَـاهِنَ

---

[١٧٢] عب ٧: ٧

[١٧٣] ألَقَى القِدْيِسُ يَوْحَنا ذَهَبي الفَمِ عظَاتِهُ الشَهيْرَةَ عْنِ الكَهَنُوْتِ عِنْدَمَا كَانَ شَمَاسًا، وذلك عَامُ ٣٨٦ وفِقْا لِسُقْرَاطَ المُؤرِخِ H.E. VI,3 ; PG 67, 668 ، بِيْنِما يُخْبِرُنَا جِيْرُوْمُ أنَه قَدْ أنْهَاهَا عام ٣٩٢. ورُبَما ألْقَاها بَعْدَ هَذِهِ العِظَةِ التَي أُلْقِيتْ عام ٣٨٨.

[١٧٤] راجع ٢أخ ٢٦: ١٦-١٧

أَعْلِــى مَقَامًـــا مِــنَ المَلِــكِ؟ ولكــنْ قَــدْ أَتَــى الكَــاهِنُ كَــي يُخْرِجَــهُ لَــيْسَ كمَلــكٍ، بَــلِ كَعِبْــدٍ هَــارِبٍ وجَاحِــدٍ، وهَجَــمَ عَلَيــهِ مَثْــلَ كَلَــبٍ شُــجَاعٍ عَلَـــى وَحْــشٍ نَجِــسٍ لِكِــي يُخْرِجَهُ مِنْ بَيْتِ الربِ.

جَسَارَةُ الكَاهِنِ فِي الحَقِ[١٧٥].

٢- أَرَأَيْــتَ نَفْــسَ الكَــاهِنِ وهــيَّ مُمْتَلِئَـــةُ جَسَـــارَةً شَــدِيْدَةً مَــعَ حُسْــنِ التَصَــرْفِ؟ لَــمْ يَلْتَفِــتْ إلـــىَ حَجِــمِ السُـلْطَةِ، لَـمِ يُفَكِـرْ فِـيِ مَــاذَا يَعْنِــيِ أنْ يَكْـبَحَ نَفْسًــا مُفَّعَمَــةً بالشِــهوَةِ، لــمْ يُبَــلْ بِمِــا قِالِــهِ سُــلِيْمانُ: "كَزَمْجَــرَةِ الأَسَــدِ حَنَـــقُ الْمَلِــكِ"[١٧٦]، مُحَصِــنًا نَفْسِــهِ مِــنْ تِلْــكَ الأفْكَــارِ، مُسْــرِعًا إلــىَ مُواجهــةِ الطَاغِيْــةِ، لأنَّــه كِــانَ يِعْــرْفُ بَــلْ ويَعْلَــمُ جَيْــدًا، أنَّ حَنَـــقَ المَلَــكَ كَزْمَجْــرَةِ اللَيْــثِ لأوْلئِــكِ الــذِيْنْ يَنْظَــرُوْنَ إلَـــى الأَرِضِ. ولِكْــنْ بِالنســبةِ للإنْسِــانِ

---

[١٧٥] قَارِنْ بَيْنَ مَوْقِفِ وشَجَاعةِ زكريا رئِيْسِ الكَهنةِ أمَامَ المَلَكِ عُزِّيًا وبيْنَ مَوْقِفِ القِدِيْسِ يُوحَنَا ذَهَبَي الفَمِ مَعَ الإمْبراطُوْرَةِ أُفْدُوْكسِيا، عِنْدِما لمْ يِترِدِدْ فِي مَنْعِها مِنْ دُخُوْلِ الكَنِيسةِ لإستِيْلانِها عَلى حَقْلِ امْرأةٍ ظُلْمًا، بَعْدَ رَفْضِها كُلَ مُحَاوَلاتِهُ مَعْهَا بالهُدُوءِ.

[١٧٦] مز ١٩: ١٢

الـــذي يَتَطَلَّــعُ إلَـــى السَــمَاءِ فَهْــوَ مُسْــتَعِدٌ أنْ يَبِــذِلَ نَفْسَـــهُ دَاخِـــلَ الحَـــرَمِ المُقَـــدَسِ، بَـــدَلاً مِـــنْ أنْ يَتَغَاضَـــى عَـــنْ انْتِهَــاكِ الشَــرَائِعِ المَقَدَسِــةِ. أمَــا ذَلَــكَ (المَلِــكَ) فَكَــانَ أتْفَــهُ مَــنْ أَي كَلْــبٍ. لأنــه لا شَـــيءَ أَكْثَــرُ ضَــعْفًا مِــنْ تَجَــاوُزِ الشَــرَائَعِ الإلَهِيــةِ، وبَالمِثْــلِ لا يُوْجَــدُ مَــنْ هُــوَ أَقَــوَى مِــنَ الــذِي يُــدَافِعُ عَــنِ الشَــرِائِعِ الإلَهِيْــةِ، (لأنَّـــهُ قَيْــلَ) " إنَّ كُــلَّ مَــنْ يَعْمَــلُ الْخَطِيَّــةَ هُــوَ عَبْــدٌ لِلْخَطِيَّــةِ."[177]، حَتــي لَــوْ أنَّ ذَاَكَ (المَلَــكَ) كَــانَ عِنْــدَهُ تِيجَــانٌ لا حَصْــرَ لَهَــا عَلَــى رَأْسِــهِ، ولَكِــنْ مَــنْ يَعْمِــلِ البِــرَ فَإنَّــهُ أكَثْــرُ مُلكًــا مِــنَ المَلَــكِ ذَاتِــهِ (مُلَكُــهُ أعْظَــمُ)، حَتَــى لَــوْ كَــانَ فَــي مَوْضِــعِ الأَخِيْــرِ فِــي كُــلِ شِــيءٍ. إنَّ هَــذَا الأَمْــرَ لَيَــدْعُو للتَأَمَــلِ فِــي ذَاَكَ الكَاهِنِ النَبِيْلِ الذِي وَاجَهَ المَلِكَ.

اللُطْفُ مَطْلُوْبٌ عَنْدَ التَوْبِيْخِ.

هَيَــا بِنَــا نَــدْخُلُ نَحــنُ أيْضًــا، إنْ أَمْكَــنْ ذَلَــكَ، لِنَــرِيَ مَــاذا قِيْــلِ للمَلِــكِ، لأنَّهــا لَيْســتْ فَائِــدَةً هَينِــةً أنْ نَـــرِىَ مَلِكًــا يُــوَبَخُ مِــنْ قِبــلِ كَــاهِنٍ، فَمَــاذَا قَــالَ

[177] يو ٧: ٣٤

إِذَنْ الكَــاهِنُ: "«لَــيْسَ لَــكَ يَــا عُزِّيَّــا أَنْ تُوقِــدَ لِلــرَّبِّ"[178] فَلَــمَ يُسَــمِهِ مَلِكًــا، ولَــمْ يَدْعُــهُ بِاسـمِ سُــلْطَتِهِ، لأَنَّــهُ قَــدْ سَــبَقَ وجَــرَّدَ ذَاتَــهُ مَــنْ أيِ كَرَامَــةٍ. فَهَــلْ رَأيــتَ جَسَــارَةَ الكَــاهِنِ؟ فَــانْظُرْ الآنْ وَدَاعَتَــهُ، لأَنَّنــا لا نَحْتَــاجُ فَقَــطْ الجَــرَأةَ بَــلْ بِــالأَكْثَرِ الوَادَعَــةَ عَنْــدَما يَتَطَلَــبُ الأَمْــرُ التَــوْبِيْخِ، لأَنَّ أَوْلَئَــكَ الــذِيْنَ يُخْطِئــوُن لا يُمْقِتُــوْن ولا يَكْرِهِــونَ إنْسِــانًا بِشِــدَةٍ أَكْثَــرَ مِــنَ الــذِي يُــوَبِخُهُم، ويَتَمَنُــوْنَ أنْ يَجْــدُوا حُجَــةً حَتَــى يَفْلِتُــوا هَرَبًــا مَــنِ المَلاَمَــةَ، لِــذَلِكَ يَجْــبُ أنْ نُحِــيْطَهُم بَالوَدَاعَــةِ والاِعْتِــدِالِ، لأَنَّ الأَمْــرَ المُحْــزِنَ والسَــئَ بَالنِسْــبِةِ لمُرْتَكِبِــي الخَطِيْــةِ لَــيْسِ فَقِــطْ صَــوْتَ مَــنَ يُــوَبِخُهُم بَــلِ فَقَــطْ مُجَــرِدُ مَنْظَــرِهِ أمَــامَهم، لأَنَّــهُ يَقُــوْلُ: " بَــلْ مَنْظَــرُهم ثَقِيْــلٌ عَلِيْنَــا"[179] لِــذَلِكَ يَجِــبُ عَلِيْنَــا أنْ نَتَحَلَــىَ بِوَدِاعَــةٍ كَبِيْــرَةٍ. فَــإنَّ كَلِمَــةَ (الكِتَــابِ) قَــدْ قَــدَمَتْ لَنَــا مَــنْ أَخْطَــأَ ومَــنْ وَبَخَــهُ عَلَــى خَطِيئتِــهِ، لأَنَّــهُ كَمَــا أَنَّ الأَطْبِــاءَ

---

[178] ٢مل ٢٦: ٨

[179] حكمة سليمان ٢: ١٥

الحُكَمَاءَ، عَنْدَما يَشْرَعُون فِي قَطْعِ الأَعْضَاءِ الفَاسَدَةِ، أو يَنْزَعُونَ شَوَائِبَ قَدْ غُرِزَتْ فِي مَسَامِ الجَسِدِ، أو يُصَلِحِوْنَ أيًا مِنَ العُيُوْبِ الطَبِيْعِيةِ الأَخْرى، فَلا يَأْخُذُونَهُ فِي رُكْنٍ (زَاوِيةٍ)، بِلْ فِي السَاحَةِ ويَتَجمَعَ حَوْلَهُ المُشَاهِدُوْنَ مَنِ الحُضُوْرِ، وهَكَذَا يُتَمِمُونَ عَمْلِيةَ البَتْرِ، وهَذَا يَفْعَلُوْنَهُ لا لَكَي يُشَّهِرُونَ بَمُعَانَاتَهُ الإِنْسِانِيْةِ، بِلْ لِكَي يَعْتنِي جَيِدًا كُلُ وَاحَدٍ بِصِحَتِهِ. وبالمِثْلِ هَذَا مَا يَفْعَلُهُ الكِتَابُ المُقَدَسُ، فِعْنَدَمَا يِتِمُ الإِمْسِاكُ بِشِخْصٍ مِنْ أوْلَئِكَ الذِيِنَ يُخْطِئُونَ فَإِنَّ الكَتَابَ يَضَعَهُ عَلَى مَنْبِرٍ عَالٍ، ولَكِنْ لَيْسَ فَي وَسْطِ سَاحاتٍ عَامَةٍ[١٨٠] بَلْ فُي وَسطِ الأَرْضِ (كُلِهَا)، وطَالَمَا وَقَفَ فَي جَمِيعِ أَنْحاءِ مَسْرحِ المَسْكُوْنَةِ، حِيْنِئِذٍ يُقَّدِمُ الكِتَابُ الشِفَاءَ، مُعَلِمًا إيانِا أنْ نَكُوْنَ أَكْثَرَ حِرْصًا فِيْمِا يِتَعِلَقُ بِأمُوْرِ خَلاَصِنا.

[١٨٠] حرفيا (الأسواق): ἀγορά

عُزَّرْيَا الكَاهِنُ يَسْتَعْمِلُ اللطُفَ مَعَ التَوْبَيْخِ.

فِلنَنَظُـرْ بِـأي طَرِيْقَـةٍ شَـرَعَ الكَـاهِنُ حِيْنئِـذٍ يُقَـوِّمُ حَالَـهُ، فَلَـمْ يِقُـلْ لَـه: "أيْهَـا الـدَنِسُ الـنَجِسُ، قَـدْ إنْقَلَبْـتَ عَلَـى كُـلِ شَـيءٍ، وتَمَادَيْـتَ إلَـي أَقْصَـى دَرَجَـةً مَـنْ عَـدَمِ التَقْـوَىَ" ولَـمْ يَسْتَرْسِـلْ فِـي تَوْجِيِـهِ عِبَـاراتٍ مُطَوَّلَـةً مِـنَ الاِتِّهَامَـاتِ، ولَكِـنْ كَمَثْـلِ الجِـراحِينَ يُسْـرِعُونَ فِـي عَمَـلِ الجِراحَـةِ سِـرِيْعًا، وبِسُـرْعَةٍ إجْرِائهـا يَحِّـدُونَ مِـنَ الامِ (المِـرِيْضِ). وكِـذِا ذَاكَ (الكَـاهِنً) بِاخْتِصَـارِهِ فِـي الحَـدِيْثِ قَـدِ أَوْقَـفَ هَيَـاجَ المَلَـكِ وَوَقَاحَتَـهُ عِنْـد حَـدهُما، لأنَّـهُ كَمَـا أنَّ البَتْـرِ نَـافِعٌ للجِـرَاحِ كِـذِلِكَ التَـوُبِيْخُ للخُطَـاةِ. لأنَّـه أَظْهِـرِ رَأَفَتَـهُ بِإيْجِـازِهِ فِـي الكَـلاَمِ، أمَـا مَـنْ يَريـدُ أنْ يِـرِىِ البَتْـرَ فَـي كَلامِـهِ، وفِـي نِفْـسِ الوقِـتِ كِيِـفِ أنَّـه أخْفَـى السِـكِيْنَ الحَـادَ[181]؟، اسَـمَعْ مَـا يِقُوْلُـهُ: "لا يَحِـلُ لَـكَ أنْ تُبَخِـرَ للـرَبِ بَـلِ الكَهَنَـةُ مِـنْ نَسْـلِ هَـارِوْنَ المُقَدِسِـين"، هُنَـا أَعْطَـى الطَعْنَـةَ، بَـأي طَرِيْقَـةٍ؟

[181] حرفيا: أخفى السكين. τὸ σιδήριον ἐνέκρυψεν، والمقصود لم يكن حادًا في كلامه.

سَوْفَ أُخْبِرُكَ.

قصةُ قُوْرَحَ ودَاثَانَ وأَبِيْرَامَ.

لأَنَّـه لـمْ يَقُـلْ فَقَـطْ "الكَهَنَـةَ" بـلْ زَادَ قَـائلاً : "مِـنْ نَسْـلِ هَـارُوْنَ" الـذَي كَـانَ أَوَّلَ رَئِـيْسِ كَهَنَـةٍ وفِـي عَهْـدِهِ قَـد حَـدَثَ مِثْـلُ هَـذَا التَطَـاوَلِ، لأنَّ قُـوْرَحَ ودَاثَـانَ وأَبِيْـرِامَ، قَـدْ قَـامُوا ضِـدَهُ، مَـعَ قَـوْمٍ أَخَـرِين، وأرَادَ أُوْلَئِـكَ أنْ يَكْهَنُـوا، غَيْـرَ أنَّ الأرْضَ قَـدْ فَتَحَـتْ فَاهَـا وابْتِلعَـتْ بعضًـا مِـنْهم، ونزِلَـتْ نَـارٌ مَـنِ السَـمَاءِ وأَحْرَقَـتْ قَوْمًـا أَخَـرِين مِـنْهم، فَـأَرَادَ الكَـاهِنُ أنْ يُـذَّكِرَهُ بِهِـذِه القِصْـةِ، فَأشَـارَ إلـىَ هَـارُوْنَ الـذِي قَـدْ ظُلِـمَ، حَتـى يَجْعَلَـهُ يُوَّجِـهُ عَقْلَـهُ للكَارِثَـةِ التِـي حَلَـتْ بَأوْلَئِـكَ الظَـالِمِين، ولَـمْ يَحْـدُثَ شـيئٌ أَكْثَـرُ مَـنْ قِبَـلِ الكِـاهِنِ بِـلْ مِـنْ قِبَـل وَقَاحَـةِ المَلِـكِ. لأنَّـه كَـانَ يَجْـبُ أنْ يَمْـدَحَ الكَـاهِنَ وأنْ يَشْـكُرَهُ عَلَـى النَصِـيْحَةِ، أمَـا ذَاك (المَلَـكِ) فَقْـدْ حَنَـقَ – كَمـا يَقُـوْلُ الكِتَـابُ - وجَعْـلَ جُرْحَـهُ

مُخِيْفًــا[١٨٢]، لأنَّــهُ لا يُوْجَــدُ أَسْــوَءُ مَــنِ الخطيئــةِ سِــوَىِ الوَقَاحَــةِ مَــنْ بَعْـدِ فِعْلِهــا. لَكَــنَّ دَاوُدَ لَــمْ يَفْعَــلَ هَكَـذا، فَبَعْـدَ إِدَانَتِــهِ مِــنْ قَبَــلِ نَاثَــانَ (النَبِــي) بِسَــبَبِ بِتْشِـبعَ قَــالَ "أَخْطَأتُ للرِبِ".[١٨٣]

٣- أَرَأيْــتَ قَلبًــا مُنْسِــحِقًا؟ أَرَأيــتَ نَفْسًــا مُتَضِــعَةً؟ أَرَأَيْــتَ كَيْــفَ أنَّ سَــقْطَاتِ القِدِيْسِــين بَهِيَــةٌ[١٨٤]؟ لأنَّــهُ كَمَــا أنَّ الأَجْسَــادَ الجَمِيْلَــةَ فَــي حَــالِ مَرَضِــها تُرِينَــا آثَــارَ حُسْــنِها العِظِيمِــةَ، هَكَــذا فَــإنَّ أَنْفُــسَ القَدِيْســينَ أيضًــا بِمِثْــلِ تِلْــكَ الخَطَايَــا (التَعــدِيَاتِ) يُظْهِــرُونَ لَنَــا مَلامِــحَ فَضَــائِلِهم. وبِــالرُغْمِ مِــنْ أنَّ ذَاكَ (أيْ دَاوُدَ) قَــدْ قَبَــلَ الإدِانَــةِ مِــنْ قِبَــل النبــي فِــي القُصُــوُرِ وأَمَــامَ الكَثِيــرِين، إلا أنَّ هَــذا (أيِ عُزِّيَــا) كَــانَ الحَــرْمُ دَاخِــلَ الهَيْكِــلِ دُوْنَ أنْ يِكُــونَ هُنَــاكَ شَــاهِدٌ وَاحِــدٌ، لَكَنَــه ولا حَتَــى فِــي هِــذِهِ الحَــالِ اِحْتِمَــلِ التَأنِيْــبَ. فَمَــاذا حَــدَثَ يَــا تُــرْىَ؟ هَــلْ بَقَــى

[١٨٢] المقصود: تَفَاقَمَتْ خَطِيئتُهُ

[١٨٣] ٢مل ١٢: ١٣

[١٨٤] بِسَبَبِ أنَّه يَتْبَعُها تُوْبَةٌ عَظِيْمَةٌ ومُشْرِقَةٌ كَتَوْبَةِ دَاوُدَ.

بــلاَ شِــفِاءٍ؟ إطْلاقًــا لأنَّ اللهَ مُحِــبُّ البَشَــرِ، ولَكِــنْ كَمَــا فِــي حِالَــةِ الشَــابِ الــذِي كَــانَ بِــه صَــرَعٌ، عَنْــدَما لَــمْ يِسْــتِطِعِ التَلاَمِيْــذُ أنْ يُخْرِجُــوا مِنْــهُ الشَــيْطَانَ، قَــالَ المَسِــيحُ: " قَــدِّمُوهُ إلَــيَّ ههُنَــا! "[١٨٥] وهَكَــذا أيْضًــا، عِنْــدَمَا لا يَسْــتَطِيْعُ الكَــاهِنُ أنْ يَنْــزَعَ المَــرَضَ الأَكْثَــرَ ثُقْــلاً مِــنْ أَي شَــيْطَانٍ أي الخَطيئَــةِ، فَــإنَّ اللهَ بِنَفْسِــهِ يِتَعَهَــدُ هَــذَا المَــرِيضَ. فَمَــاذا فَعَــلَ؟ أصَــابَهُ بِــالبِرَصِ فِــي جَبْهَتِــهِ، فَيَقُــوْلُ الكِتَــابُ أنَّــهُ عِنْــدَما هَــدَدَ الكَــاهِنَ ظَهَــرَ بَــرَصٌ فِــي جَبْهَتِــهِ، وخَــرَجَ علــى الفَــوْرِ كَمِثْــلِ أُولَئِــكَ الــذِين يُسِــاقُون إلَــى المَــوْتِ، الَــذِين تُوْضَــعُ عَلَــى أَفْــوَاهِهِم حِبَــالٌ، عَلاَمَــةٌ عَلَــىَ قَــرَارِ الإدانَــةِ، وبَالمِثْــلِ فَــذَاكَ ظَهَــرَ عَلَــىَ جَبْهَتِــهِ عَلاَمَــةُ خَزْيِــهُ، دَوْنَ أنْ يَجُــرَه الجَــلاَدُونَ، ولكَــنَّ الَــذِي سَــحَبَه هُــوَ البَــرَصُ ذَاتُــهُ الــذِي ضَــرَبَ رَأسَــهُ بَــدَلاً مِــنَ الجَلاِدِيــن. دَخِــلَ لَيَسِــتَحْوِذَ عَلَــىَ الكَهَنُــوْتِ فَخَسْــرَ مُلكَــهُ، دَخَــلَ لَيَكَــونَ أَكْثَــرَ وَقَــارًا، فَخَــرَجَ أَكَثَــرَ بَشَــاعَةً، لأنَّــه كَــان فَــي وَضْــعٍ شَــائِنٍ أَكَثَــرَ

[١٨٥] مت ١٧: ١٧

مِـنْ أيِ فَـرِدٍ نَجِـسٍ، فَكَـمْ هُـوَ شَـيءٌ سَـيِئٌ ألا تَبْقَـى فَـي الحُـدُوْدِ التـي أقَامَـك اللهُ فِيهـا، سَـواءً كَانَـتْ لَرُتْبَـةٍ وَظِيْفَيِـةٍ أو لِعِمَـلٍ خَـاصٍ بِالمَعْرِفَـةِ. أَلا تَـرَى هَـذا البَحْـرَ وَكَيْـفَ لا يُقَـاوَمُ بِجَبَرِوُتِـه، وكَـمْ يَرْتَفَـعُ بِـالأَمَواجِ، ولكنَّـهُ بِـالرُغْمِ مِـنْ اِرْتِفَاعِـهِ لِمُسْـتِوى عَـالٍ وسَـرَيَانُهُ السَـرِيعُ بِغَضَـبٍ مَهُـوْلٍ إلا أنَّـه عِنْـدَمَا يَصْـلُ إلَـى المُسْـتِوَى الـذِي حَـدَدَهُ لَـه اللهُ، فَـإنَّ أَمَواجَـهُ تَنْحَـلُ وتَتَحَـوَّلُ لرَغْـوَةٍ وتَـأَتِي عَلَـى أَعْقَابِهـا. فَمَـاذا يَـا تُـرى أَضْـعَفُ مِـنْ رِمْـلِ البِحْـرِ؟ لِكـنَّ لَـيْسَ هُـوَ الـذِي يُعِيْـقُ الأَمْـوَاجَ ولكـنَّ مَخَافَـةُ ذَاكَ الـذِي قَـدْ وَضَـعَ لَهـا حَـدًا[١٨٦]، ولَكِـنْ إنْ لـمْ تَـتَعِظْ[١٨٧] مِـنْ هَـذَا المَثَـلِ، فلأُعْلِمْكَ مَا قَدْ حَدَثَ لعُزِّيَا الذِي تَحَّدَثْتُ عَنْهُ.

---

[١٨٦] أنظر الهوس الرابع : مز ١٤٨: ٤-٦ " سَبِّحِيهِ يَا سَمَاءَ السَّمَاوَاتِ، وَيَا أَيَّتُهَا الْمِيَاهُ الَّتِي فَوْقَ السَّمَاوَاتِ. لِتُسَبِّحِ اسْمَ الرَّبِّ لأَنَّهُ أَمَرَ فَخُلِقَتْ، وَثَبَّتَهَا إِلَى الدَّهْرِ وَالأَبَدِ، **وَضَعَ لَهَا حَدًّا فَلَنْ تَتَعَدَّاهُ**".

[١٨٧] حرفيا: تصير حكيمًا σωφρονίζει

عُقُوبَةُ اللهِ رَحِيْمِةٌ

ولكن طَالَما رَأينَا غضَبَ اللهِ والجَزَاءَ المُسْتَحَقَ، فَهَيا بِنَا نَرَى مَحَبَتَهُ للبَشْرِ، ولَنَعْرِضْ جَزِيلَ رَأفَتِهِ، لأنَّهُ لا يَجْبْ أنْ نَتَحَدَثَ فَقَطْ عَنْ غَضَبِهِ[188]، بل أيضًا عَنْ صَلاحِهِ، حَتَي لا نَقُوْدَ مُسْتَمْعِيْنا إلى اليَأسِ أو الكَسَلِ، وهكذا قَدْ فَعَلَ بُوُلَسُ، فَقَدْ دَمَجَ نَصِيْحَتَهُ بَيْنَ هَذين الأَمْرِين قَائِلاً: "فَهُوَذَا لُطْفُ اللهِ وَصَرَامَتُهُ"[189]، حَتي يُقِيْمَ مَنْ قَدِ سَقَطَ بَالمَخَافَةِ وبِالرَجَاءِ الذِي لا يَخِيْبُ، أَرَأيْتَ صَرَامَةَ اللهِ؟ فَأنْظُرْ أَيضًا صَلاَحَهُ؟ ولِكِنَّ كَيْفَ سَنَرَى صَلاَحَهُ؟ فَإنْ كُنَا نَعْرِفُ أيَ شَيءٍ كَانَ عُزِّيَّا يَسِتِحِقُهُ. وأيَ العُقُوْبَاتِ كَانَ مُسْتوْجِبًا؟ فَبِمُجَرَدِ أنْ مَرَ مَنْ الرَوَاقَ المُقَدَسِ كان مُسْتَحِقًا البَرْقَ الذِي لا يُحْصَى والعَوَاقِبَ والجَزَاءَ المُرَوَعَ. لأنَهُ إنْ كَانَ الأَوَلُون (قُوْرَحُ وأصَحَابُهُ) الذِين قَد تَجَاسَرُوا بِذَاتِ

---

[188] التعبير باليونانية: περὶ τῆς ὀργῆς

[189] رو ١١: ٢٢

الفِعْلَــةِ، قَــدِ عُقِبُــوا بِهَــذا الجَــزَاءِ، فَكَــمْ بِــالحِرِي كِــانِ يَجِــبُ أنْ يُعَاقَــبَ هــوَ بِــنِفْسِ الطَرِيقَــةِ، إذْ لِــمْ يِــتَعِظْ مِمِــا حَــلَّ مِــنْ مَصَــائِبَ عَلَــى أَوَلَئَــكَ القَــوْمِ. لكِــنَّ اللهَ لَــمَ يَفْعَــلْ ذَلِــكَ، ولَكِنَــهَ وَجَــهَ إليــهِ مِــنْ خِــلالِ الكَــاهِنِ كَلامًــا مُمتلِئًــا تَسَــامَحًا (رَأَفَــةً)، وهَــذَا مَــا نَصَــحَ بِــهِ المَسِــيْحُ النَــاسَ أنْ يَفْعَلُــوه عِنْــدَما يُخْطِئــونَ فَيمــا بِيــنَهم، وهَــذَا مَــا فَعَلَــه اللهُ مَــع الإنِسَــانِ، لأنَّــه يقُــولُ: "وَإِنْ أَخْطَــأَ إِلَيْــكَ أَخُــوكَ فَاذْهَــبْ وَعَاتِبْــهُ بَيْنَــكَ وَبَيْنَــهُ وَحْــدَكُمَا."[190]. وهكــذا عَاتَــبَ اللهُ هــذا المَلَــكَ. والمَسَــيْحُ يَقُــوْلُ" وَإِنْ لَــمْ يَسْــمَعْ،... فَلْــيَكُنْ عِنْــدَكَ كَــالْوَثَنِيِّ وَالْعَشَّــارِ."[191]، ولكــنَّ اللهَ مِــنْ مَحِبتِــهِ للبَشِــرِ قَــدْ تَخِطَــى شَــرائِعَهُ، فَلَــمِ يُشْــقِهِ، فَــإِنْ كَــانَ قَــدْ أَظْهَــرَ العِصْــيَانَ والسُــخْطَ، فَلَــمْ يَرْفُضْــهُ بَــلْ قَرَّبَــه إليــه وأَدَّبَــهُ بِقْصْــدِ أنَّ يُصْــلِحَ حَالَــهُ بِــالحَرِي بِــدَلاً مِــنْ عِقَابِــهِ، فَلَــمْ يُسْــقِطْ عَلِيــه بَرْقًــا ولَــمْ يُحْرِقْ رَأَسَهُ الوَقْحَةَ، ولَكِنْ أَدَبَهُ فَقَطْ بِالبَرِصِ.

---

[190] مت ١٨: ١٥

[191] أنظر مت ١٨: ١٦و١٧

الحِكْمِةُ مَنْ طَرْدِ الأَبْرَصِ خَارِجَ المَدِينَةِ

ومَـا يَتَعَلَـقُ بعُزِّيَّـا كـانَ هَـذا، غَيْـرَ أَنَّـي سَّـوْفَ أُضِـيْفُ شَـيْئًا وَاحِـدًا وبَعْـدَها سَـوْفَ أَتْوَقَـفُ عَـنِ الكَـلاَمِ، فَمَـا هُـوَ؟ هُـوَ أَمْـرٌ قَـدْ نَاقَشْـنَاه سَـابِقًا فِـي البِدايَـةِ، أَلا وهَـوَ أنَّـه بِيْنِمـا فِـي الأُمُـوْرِ العَالَمِيَـةِ وفِـي النُبُـوْءَات يَعْتَـادُ الجَمِيْـعُ أنْ يُؤَرِخُـوا الأَزْمِنَـةَ بِحِيَـاةِ المُلُـوْكِ، لَكِـنْ فِـي هِـذِه الحَالَـةِ تَرَكُـوا هَـذَا الأَمْـرَ وأَشَـارُوا إلَـى زَمَـانِ وَفَـاةِ عُزِّيَّـا، فَيقُـولُ الكِتَـابُ: "فِـي سَـنَةِ وَفَـاةِ عُزِّيَّـا الْمَلِـكِ"[١٩٢]، وإنْ كَـانَ بِـالطَبْعِ قَـادِرًا عَلَـي ذِكْـرِ عَـامِ مُلْكِـهُ، الأَمْـرُ الـذي قَـدَ اِعْتِـادِه كُـلُ الأَنْبِيَـاءِ، غَيْـرَ أنَّـهُ لَـمْ يَفْعَـلْ ذَلَـكَ، فَلِمَـاذَا يَـا تُـرَى؟ بِحِسَـبِ النَـامُوْسِ القَـدِيمِ فَـإنَّ الأَبْـرِصَ يَجْـبُ أَنْ يُخْـرَجَ مَـنْ خَـارِجَ المَدِيْنَـةِ، حَتَـي يَكُـونُ أَهْـلُ المَدِيْنَـةِ فِـي مَـأَمَنٍ ولَكَـي لا يُعْطِـي لِمِـنْ يُرِيْـدُون تَحْقِيْـرَه دافِعًـا للسُـخْرِيْةِ والـتَهَكَمِ. فَيبقِـى خَـارْجَ المَدِيْنَـةِ، حَتَـي تَكَـونُ وَحْدَتُـهُ سَـاتِرًا عَلَى نَكْبَتِـهِ. وهَـذَا مَـا كَـانَ يَجْـبُ أنْ يِتَعَـرْضَ لَـه هَـذا المَلَـكُ مِـنْ بَعْـدِ

---

[١٩٢] أش ٦: ١

البَـرَصِ، غَيْـرَ أنَّــهُ لَـمْ يُعَـانِ مَـنْ ذَلِـكَ، لأنَّ أَهْـلَ المَدِيْنَــةِ كَــانُوا يَحْتَرِمُونَــهُ لِمَكَانَتِــهِ، فَمَكَــثَ فَــي بَيْتِــهِ مُخْتَبئًــا، مِمَــا أدِي إلَــى غَضَــبِ اللهِ ومِنْــعِ النُبُــوْةِ، مَثْلَمَــا حَــدَثَ هَــذا فَــي عَهــدِ عَــالِيِّ (الكَــاهِنِ)، (إذْ يَقُــوْلُ الكَتَــابُ): "وَكَانَــت كَلِمَــةُ الــرَّبِّ عَزِيــزَةً فِــي تِلْــكَ الأَيَّــامِ. لَـمْ تَكُـنْ رُؤْيَا كَثِيرًا."[١٩٣]

أمَــا أنْــتَ فَمْــنْ فَضِــلِكَ، اِنْتبِــهْ هُنَــا إلَــى مَحَبــةِ اللهِ للبَشِــرِ، لأنَّــهُ لَــمْ يُقْلِـبِ المدينــة، ولَــمْ يَقْتِـلْ سُـكَانَها، بَــلْ فَعَــلَ كَمــا يَفْعَــلُ الأَصْــدِقَاءِ مَــعِ أَنْــدَادِهم مِــنَ الأَصْــحَابِ، عِنْــدَما يَكُــوْنُ لَهُــم حَــقٌ عَلِــيْهِم فَــإنَّهم يُعَــاتَبُوْنَهم فِــي صَــمْتٍ. وهَكَــذا فَعَــلَ اللهُ مَــعَ الأُمْــةِ (اليهودِيــة) التَــي كَانَــتْ مُسْــتَحِقَّةً جَــزَاءً وعِقَابًــا عَظِيْمًــا، فَكَأنَّــهُ يَقُــوْلُ: أنَــا قَــدْ أَخْرَجْتُــهُ مِــنَ الهَيْكَــلِ أمَّــا أنْــتُم فَلَــمْ تُخْرِجُــوْهُ مَــنِ المَدِيْنَــةِ، أنَــا قَــدْ أَصَــبْتُهُ بَــالبَرَصِ، وَقَــدْ سَّــلَمْتُهُ لَكُــم كَمِثْــلِ عَــوَامِ النَــاسِ، أمَّــا أَنَــتُم وَلا حَتَّــى سِـيطِرَتُم عَليـهِ، بَـلْ أنَّ هَـذا الـذِي قَـدْ أَدَنْتُــهُ أنَــا، لَـمْ تَكُـنْ

---

[١٩٣] ١صم ٣: ١

عِنْـــدِكُم الشَـــجَاعَةُ أنْ تُخْرِجُـــوْهُ مَـــنْ المَدينَـــةِ، فَـــأيُ مَلِـــكٍ[١٩٤] هَــذا سَــوْفَ يَقْبَــلُ هَــذَا (العِصْــيانَ) بِوَدَاعِــةٍ ولا يَقْلِــبُ المَدِيْنَـــةِ مِــنْ أَسَاسِــها عِنْــدَما يَــرَى مَــنْ أُمِــرَ أَنْ يُهَــاجِرَ خَــارِجَ حُــدُوْدِ المَدِينَــةِ، مَاكِثًــا فِيهــا؟ ولَكِــنَّ اللهَ لَــمْ يَفْعَــلْ ذَلِــكَ لأنَّـــهُ إلَــهٌ ولَــيْسَ إنْســانًا، فَعِنَــدَما إنْقَضَــتْ حَيــاةُ المَلَــكِ تَوَقَــفُ غَضَــبُ اللهِ عَلَـــى الشَــعَبِ، وفَــتَحَ أبَــوَابَ النَبْــوءَاتَ، وعَــادَ مَــرَةً أُخْــرَى بَــالقُرْبِ مِــنْهُم. أمَّـــا أَنْــتَ فَانتَبِـــه لِطَرِيقَــــةِ المُصَـــالَحَةِ ومَـــدِى مَحِبَـــةِ اللهِ للبَشِـــرِ، لأنَّـــهُ إنْ فَحَــصْ أَحَــدٌ جَانِــبَ الحَــقِ فَحِيْنَئِــذٍ أَيْضًــا مَــا كَــانَ يَجِــبُ أنْ تَحْــدُثَ مُصَــالَحَةٌ، لِمَــاذَا؟ لأنَّهُــم لَــمْ يُنْجِــزُوا مُهِمَـــةَ إخْـــرَاجِ عُزِّيَّـــا، لأنَّ أُوْلَئِـــكَ لَـــمْ يَأخُـــذُوْهُ كَـــي يُخْرِجُــوْهُ بَــلْ مَــنْ قَــامَ بَهَــذِهِ المُهِمَــةِ هُــوَ المَــوَتُ الــذِي مَــنْ نَــامَوَسِ الطَبِيْعَــةِ، ولَكِــنَّ اللهَ لا يُــدَقِقُ (فِــي حِسَــابِهُ) مَعَنَــا إلَـــى هــذا الحَــدِ، ولَكِــنَّ شَــيئًا واحَــدًا يُطْلَــبُ مِنَــا هَــوَ حُجَةٌ أو ذَرِيْعَةٌ حَتيَ نَتَصَالَحَ مَعَه.

[١٩٤] المقصود بالملك هنا الله الذي أمر بإخراج عُزِّيَّا الأبرص، وليس عزيا.

خَاتِمَةٌ.

لأَجْــلِ ذِلِــكِ فَلِنَشْــكُرْهُ، فَلنُمَجِــدْ مَحَبَتَــهُ للبَشَــرِ غَيْــرَ المَوْصُــوْفَةِ، التَــي أَتَمَنَــي أنْ نَكْــوْنْ جَــدِيرِين كُلّنــا بِهــا بِالنِعْمَــةِ ورَأَفَــةِ الابْــنِ الوَحِيــدِ ورَبِنَــا يَسُــوْعَ المَسَــيْحِ، الــذِي مَعِــهِ يَلِيْــقُ المَجْــدُ والقُــوْةُ والكَرَامَــةُ مَــعَ الآبِ والــرُوْحِ القُــدُسِ، الآنْ وكُــلَ أَوانٍ وإِلَــىَ دَهْــرِ الدُهُوْرِ. آَمِيْنْ.



العظةُ السادسةُ

عَـــنِ الْقَـــوْلِ "وكـــان فِـــي سَــــنَةِ وَفَـــاةِ عُزِّيَّـــا الْمَلِكِ،..."[195] وَعَنْ التَّوْبَةِ.[196]

مُقَدِّمَةُ

هَـــا قَـــدْ إِنتَهَيْنَـــا مِـــنَ الإِبْحَـــارِ عَلِـــى شَـــوَاطِئ عُزِّيَّـــا وعَبْرْنَـــا للتَـــوِ لـــيَسَ بِسَـــبَبِ طُـــوْلِ الطَرِيْـــقِ بَـــلِ بِســـبَبِ مَحِبـــتِكُم للمَعْرِفَـــةِ، كَمِثْـــلِ رُبْـــانِ السَـــفِيْنَةِ الـــذِي يَبْحَـــرُ بِقَـــوْمٍ مِـــنَ الرُكَـــابِ الأَعِـــزَاءِ، وَهَـــمْ يَرْغَبْـــونْ فَـــي رَؤْيَـــةَ المُـــدُنِ الغَرِيْبَـــةِ، غَيْـــرَ أَنَّ الطَرِيْـــقَ لا يُمْكِـــنُ أنْ يَكُـــوْنَ فَـــي مَسِـــيْرَةِ يَـــوْمٍ وَاحِـــدٍ، وهَكَـــذا حَتَّـــى لِـــو أَنَّ المَسَـــــافَةَ تَسْـــــتَغْرِقُ يَوْمًـــــا وَاحِـــــدًا فَقَـــــطَ، لأَنَّ رّسْـــــوَ المَرْكِـــبِ فِـــي كُـــلِ مِيْنَـــاءٍ والسَـــمَاحِ بِالـــذِهَابِ لِكَـــلِ مَدِينِـــةٍ يَحْتَـــاجُ وَقتًـــا أَطْـــوَلَ، لَكَـــي يُرْضِـــي بِـــأيِ شَـــكْلٍ رَغْبَـــةَ الرُكَّـــابِ. وهَـــذَا بِالتَمَـــامِ مَـــا قَـــدْ فَعَلْتُـــهُ أنَـــا، وإِنْ كُنْـــتُ لـــمْ

---

[195] أش ١: ٦

[196] في بَعْضِ المَخْطُوْطَاتِ يَرْدُ عُنْوَانُ العَظَةِ (عَنِ السَّرَافِيم) كما في نسخة PG.

أَبْحَـرْ إلَـى جُـزُرٍ، ولَـمْ أظْهـرْ لَكُـمْ المَرَافِـيء أوالمَـوَانِي والمُـدُنَ، بَـلْ تَأَمَلـتُ فَضِـيْلَةَ يُتَمِمُهَـا رِجَـالٌ، وكَسَـلَ أَخَـرِين قَـدْ اِرْتَكَبُـوا الخَطِيـةَ، ووَقَاحَـةَ مَلَـكٍ وجَـرَأَةَ كَـاهِنٍ، وغَضَـبَ اللهَ ومَحَبَتَـه للبَشَـرِ، و هـذان الأمـران قَدْ صَارَا للإِصْلاَحِ والتَقْوِيمِ.

مَثَل الرجل الذي لا يرتدي ثياب العرس.

بَعَـدَ أنْ وَصَـلْنَا الآنَ إلَـى المَدِيْنَـةِ المَلَكِيـةِ، فَـدَعُونا مِـنَ اللأمبَـالاَةِ، بِـلْ أولاً عَلَيْنـا أنْ نَعْتَنِـي بِأنْفُسِـنَا كَمَـا يَلِيـقُ لكـي نَـدْخُلَ المَدِينَـةَ، هَكَـذَا دَعُونـا نَصْـعَدُ إلَـى الإِيْبَارَشِـيْةِ السَـمَاوِيَةِ، إلَـى أُوْرُشَـلَيمَ، أُمِنَـا كُلِنَـا، الحُـرَةِ، هُنَـاكَ حَيْـثُ يُوْجَـدُ السَّـرَافِيْمُ، هُنَـاكَ حَيْـثُ يُوْجَـدُ الشَـارُوْبِيمُ، هُنَـاكَ حَيْـثُ يُوْجَـدُ الآلاَفُ مَـنْ رُؤسَـاءِ المَلاِئِكَـةِ، والمَلاَئِكَـةِ التَـيِ لا تُحْصَـي، هُنَـاكَ حَيْـثُ يُوْجَـدُ العَـرْشُ المُلُـوْكِي. حَيْـثْ لا يُوْجَـدُ دَنِـسٌ أو نَجِـسٌ، لأنَّنـي أَتطَلَـعُ لأنَّ أَحْكِـي القِصَـصَ السَـرَائرِيةَ (الرُوْحِيـةَ) ولا يُوْجَـدُ مَـنْ هُـو نَجِـسٌ أو غَيـرُ مُسْـتَحِقٍ للاِسـتِمَاعِ لِهـا أو الأَفْضِـلُ فَلْيَحْضـرْ الـنَجِسُ والـدَنِسُ

ولكـــنَّ لِيَطْـــرَحْ عَنْـــهُ خَارِجًـــا نَجَاسَـــتَهُ وشَـــرَهُ، حِيْنَئِـــذٍ فَلَيَـــدْخُلْ. لأنَّ ذَاكِ الـــذِي كَـــانَ مُرْتَـــدِيًا ثيابًـــا دَنِسَـــةً قـــدْ طَـــرَدَهُ أَبُـــو العَـــرِيْسِ خَـــارِجَ العُـــرْسِ والزِفَـــاَفِ المُقَـــدَسِ، وذَلـــكَ لَـــيسَ لأنَّ ثِيابَـــهُ مُتَسَـــخَةٌ، بَـــلْ لأنَّـــه حَـــاوَلَ الـــدُخُوْلَ وهُـــوَ يَرْتَـــدِيها، فَلَـــمْ يَقُـــلْ لَـــه: "لِمَـــاذَا لا تَمْلِـــكُ ثِيَـــابَ العُـــرْسِ؟" بَـــلْ "لِمَـــاذَا دَخَلْـــتَ بِـــدُوْنِ ثِيَـــابِ العُـــرْسِ؟"[197] ويَقُـــوْلُ (أَيضًـــا): كُنْـــتُ تَقِـــفُ فِـــي الطُرْقَـــاتِ تَتَسَـــوَّلُ فَلْـــمْ أَخْجَـــلْ مِـــنْ فَقْـــرِكَ، ولَـــمْ أَشْـــمَئِزْ مِـــنْ عَـــارِكَ، طَالَمَـــا قَـــدْ حَرَّرْتُـــكَ مَـــنْ ذَلَـــك التَـــدَنِي، وقَـــدْ وَضَـــعْتُكَ فَـــي العُـــرْسِ المُقَـــدَسِ، وقَـــدْ جَعَلْتُـــكَ مُسْـــتَحِقًا بـــأنْ تَتَكِـــئَ فِـــي العَشِـــاءِ المُلُـــوْكِي، وأنْ أَرْفَعَـــكَ إلَـــى الكَرَامَـــةِ السَـــمَاَوِيةِ، أَنْـــتَ يَـــا مَـــنْ كُنْـــتَ تَسْـــتَحِقَ أَقْصَـــىَ عِقَابًـــا، أمَّـــا أَنْـــتَ فـــلا حَتَّـــى بالأَعْمَـــالِ الحَسِـــنَةِ كُنْـــتَ سَتُصْـــبِحُ أَفْضَـــلَ، بَـــلْ كُنْـــتَ سَـــتَبْقَي فِـــي الشُـــرُوْرِ المُعْتَـــادِ عَلَيهـــا، فازْدَرِيْـــتَ بِـــالعُرْسِ وازْدَرَيْـــتُ بَـــالعَرِيْسِ، فَاَذْهَـــبْ حَـــالاً ولَتَسْـــتَحَقِ العِقَـــابِ الذِي يُنَاسِبُ تَبَلُدَكَ هَذَا.

[197] أنظر مت ٢٢: ١٢

فِلْيَنْتبِـهْ كُـلُ وَاحَـدٌ مِنَـا، رُبَمَـا يَسْـمِعُ هَـذَا الصَـوْتُ وطَالَمَـا يَطْـرُدُ كُـلَ فَكْـرٍ لا يَسْـتَحِقُ التَعَـالَيَمَ الرُوْحِيـةَ، حِيْنِئِـذٍ فَلِيَأَخُـذْ نَصِـيبًا فِـي المَائِـدَةِ المُقَدَسَـةِ. فيقـول " "فِـي سَـنَةِ وَفَـاةِ عُزِّيَـا الْمَلِـكِ، رَأَيْـتُ السَّـيِّدَ جَالِسًـا عَلَـى كُرْسِـيٍّ عَـال وَمُرْتَفِـعٍ"[198] ، كَيْـفَ رَأيَ؟ لا أَعْلَـمُ، لأنَّ مَـا رَأَهُ قَـدْ تَحَـدَثَ عَنْـهُ، أمَّـا كَيْـفَ رَأَهُ؟ فَهَـذَا قَـدْ صَـمَتَ عَـنْ شَـرْحِهِ، أَقَبَـلُ مَـا قَـدْ تَحَـدَثَ عَنْـهُ، ولا أُشْـغِلُ نَفْسِـي بِمَـا صَـمَتَ عَنْـهُ، أَفَهَـمُ مَـا قَـدْ كُشَـفَ عَنْـهُ، ولا أُنَقِـبُ عَمَـا قَـدْ حَجَبَـهُ، فِلِهَـذا السَـبَبِ قَـدْ أَخْفَيـتُ، فَقِصَـصِ الكِتَـابِ هِـي سُـتْرَةٌ مُطَـرَزَةٌ مَـنِ الـذِهبِ ، فالسَّـدَى مَـنِ الـذَهِبِ واللُّحْمَـةُ مَـنِ الَـذَهِبِ، فـلا أَحِيْـكُ أنْسِـجَةً مِـنْ خُيُـوْطِ العَنْكَبُـوْتِ. فَـإنَّني أَعْـرَفُ عَـدَمِ قُـدْرَةِ أفْكَـارِي، (فَالكِتَـابُ يَقُـوْلَ): "لاَ تَنْقُـلِ الـتُّخْمَ[199] الْقَـدِيمَ الَّـذِي وَضَـعَهُ آبَـاؤُكَ."[200] فَلَـيْسِ مِـنَ

---

[198] أش ١ : ٦

[199] التُخْمُ هي الحُدُوْدُ أو المَعَالَمُ التِي تُوْضَعُ لِتَقْسِيْمِ الأَرْضِ وفَصْلِ حُدُوْدِها، وقَدْ قَسَّمَتْ الأَرْضَ فِي (يش ١٣-٢١) ووَضَعَتْ عَلاَمَاتِ التُخُوْمِ لِكُلِ سِبْطٍ. وكَانَتِ الشَرِيْعةُ قَدْ حَذَرَتِ الشَعَبَ مُسْبَقًا مِنْ أنَّهم عِنْدَما يَصَلُوْنَ إلَى أَرْضِ المَوْعِدِ، عَلِيهَم ألا يَغِشُّوا جِيْرَانَهَم

الأَمَانَـــةِ أنْ نَنقُـــلَ الـــتُخْمَ فَكَيْـــفَ لَنَـــا أنَ نَنَقِـــلَ مَـــا قَـــدْ وَضَعَهُ لَنا اللهُ؟

الزَوَاجُ لَيْسَ عَائقًا للتَقَدَمَ فَي الحَياةِ الرُوْحِيَةِ

هَـــلْ تَرِيْـــدُ أنْ تَعْـــرِفَ كَيْـــفَ رَأَىْ (إِشِـــعْيَاءُ النَبِـــي) اللهَ؟ فَلتَصِـــرْ أَنْـــتَ أَيضًـــا نَبِيًـــا، ولَكِـــنْ يَقُـــوْلُ قَائِـــلٌ: كَيِـــفَ يَكُـــوْنُ هَـــذا وأنَـــا لَـــي زَوْجَـــةٌ وأَعْتَنِـــى بِإِعَالَـــةِ أَوْلاَدٍ؟ مِـــنَ المُمْكِـــنِ عَزِيـــزي إنْ أرِدْتَ ذَلَـــكَ، لأنَّ ذَاكَ (النَبِـــي) كَـــانَ لَـــهُ زَوْجَـــةٌ وطِفْـــلان، ولَـــمْ يُعِقْـــهُ شَـــيئٌ مَـــنْ هَـــذَا كُلِّـــهِ، لأنَّ الـــزَوَاجَ لَـــيْسَ بِعَـــائِقٍ فَـــيْ طَرِيْقَنَـــا إلَـــى السَـــمَاءِ، لأنَّـــهُ إنْ كَـــانَ عَائِقًـــا والزَوْجَـــةُ تَتَـــآمَرُ عَلِيْنَـــا، مَـــا كَانَ قَدْ خَلقَهَا اللهُ مُنْذُ البِدءِ ودَعَاها "مُعِيْنًا".

طَبِيْعَةُ اللهِ فَائِقَةٌ عَنِ الوَصْفِ

وأَوَدُ أنْ أَقَـــوْلَ شَـــيِئًا أَخَـــرَ عَمَـــا يَعْنِـــي أنَّ اللهَ كَـــانَ جَالَسًـــا، فَـــاللهُ لاَ يَجْلِـــسُ، فَفَـــيِ الحَقِيْقَـــةِ هَـــذا الأَمْـــرُ

بِنَقْلِ أَحْجارِ التُخُوْمِ لِيَأْخُذُوا أَرْضًا أَكْثَرَ ويَتْرُكُوا لِجِيْرَانِهم أرْضًا أَقَلَ (تث ١٩: ١٤ ؛ ٢٧: ١٧).

[٢٠٠] أم ٢٢: ٢٨

يَخُصَ ذَوِي الأجِسادِ أمَّا اللهُ فَلا جَسَدَ لَه.

٢- وكَنْتُ أَرْغَبُ فَي أنْ أَقُوْلَ مَاذَا يَعْنِي عَرْشُ اللهِ، لِيْسَ لأنَّ اللهَ لاّ يَحُدُّهُ (يُحِيْطُهُ) عَرْشٌ، لأنَّ الطَبِيْعَةَ الإلِهِيَةَ غَيْرُ مَوْصُوْفَةٍ. ولَكِنَنِي أَخِشَى الاِسْتِرْسَالَ فِيْ هَذِه التَعَالِيمِ فِلا أَوَدُ أنْ أتَاخَرَ فَيِ إيْفَاءِ وَاجِبِي نَحْوَكَم[٢٠١].

عَوْدَةٌ للحَدَيثِ عَنِ السَّرَافيمِ.

لأنِي أرَاكُم كُلَّكُم تُحْدِقُون فَي السَّرَافِيم بَأَفْوَاهٍ مَفْتُوْحَةٍ، لِيْسَ فَقَطْ اليَوَمَ بَلِ ومَنْ أوَلِ يَوُمٍ بَدَأنَا حَدِيثَنَا، لِذَلِكَ فَهَذا الحَدَيثُ، الذِي نُقَدِمُ فِيهِ حَشْدًا مِنَ المَعِانِي يُشْبِهِ حَشَّدًا مِنَ البشَرِ يِتزَاحَمُون بِإنْدِفَاعٍ شَدِيْدٍ، يَسْتِعْجِلُ فِي الإتيِانِ إلَى ذَلِكَ السَرْدِ النَصْي المَكْتُوْبِ: "والسَّرَافِيمُ وَاقِفُونَ حوله"[٢٠٢] هَنا هُم السَّرَافِيمُ، الذِين مِنَ القَدِيْمِ تَشْتَهُوْنَ أنْ تَرُوْهُم، فَأنْظُرُوْها إذَنْ وَارْضُوا شَهْوَتَكُم، ولَكِنْ لَيْسَ

---

[٢٠١] حرفيًا : ديوني لكم.

[٢٠٢] أش ٦: ٢ بحسب الترجمة السبعينية.

بِضُوْضَــاَءٍ ولاَ بِفِكْــرٍ مُتِسَــرِعٍ، الأَمْــرُ الــذِي يَحْــدُثُ فَــي مَوْكِــبِ المُلُــوْكِ، لأَنَّـــهُ مِــنَ الطَبِيعِــي أنْ يَحْــدُثَ ذَلَــكَ فِــيْ حَالِـــةِ المِلُـــوْكِ، لأنَّ الحُـــرَاسَ لاَ يَعْطُـــوْنَ فُرْصَـــةً لأَيِ شَـــخْصٍ يَرْغَـــبُ فَـــي مُشَـــاهَدَةِ المَوْكِـــبِ ولِكِـــنْ قَبْـــلَ أنْ يَظْهَـــرُ حَسَـــنًا أمَـــامَهم كُـــلُّ شَـــيءٍ، فَـــإنَهُم يُجْبِـــرُونَهَم أنْ يَعْبُـــرُوْا سِـــرِيعًا. أمَّـــا هُنَـــا فَـــلا يَحْـــدُثُ مِثْـــلُ هَـــذَا، بَـــلَ قَـــدْ تَوَّقَـــفَ حَـــدَيثِي عِنْـــدِ الرُؤيَـــةِ حَتَـــي تَقْتَرِبُـــوُا مِـــنْ كُـــلِّ شِيءٍ، عَلَى قَدْرِ المُسْتَطَاعِ للمَرْءِ أنْ يِقْتَرْبَ.

عَظَمَةُ السَّرَافِيم لِيسَتْ فِيْ طَبِيْعَتِهِم بَلْ فِيْ وُجُوْدِهِم بِجِوارِ العَرْشِ.

"والسَّـــرَافِيم وَاقِفُـــونَ حَوْلَـــهُ"[٢٠٣] ، قَبْـــلَ الكَـــلاَمِ عَـــنْ كَرَامَـــةِ طَبِيْعِـــتِهِم فِإنَّـــه يُعَلِمُنَـــا مِـــنْ خِـــلاَلِ إقْتِـــرَابِهِم نَحْـــوَ عَـــرْشِ اللهِ، لأنَّـــه لَـــمْ يَقُـــلْ أَوَّلاً مِـــنْ هُـــمْ السَّـــرَافِيمُ بَـــلْ يَـــذْكُرُ المَكَـــانَ الـــذِي يَقِفُـــونَ فِيـــهُ، لأنَّ هَـــذِهِ المَكَانِـــةَ أَعْظَـــمُ مِـــنْ تِلْـــكَ. كِيْـــفَ؟ لأنَّ كَيْنُـــوْنَتَهم سَّـــرَافِيمَ لا تُوَّضِـــحُ أَنَهُـــم قُـــوَاتٌ عَظِيْمَـــةٌ كَمِثْـــلِ كَـــوْنِهِم يَقِفُـــوْنَ بِجِـــوَارِ

[٢٠٣] أش ٦: ٢ بحسب الترجمة السبعينية.

العَـــرْشِ المِلُـــوْكِي، وبِالمِثْـــلِ فَـــنَحْنُ أَيضًـــا، نَعْتَقِـــدُ أنَّ هَـــؤْلاءَ الحُـــرَاسَ مُبَجَلُـــونَ، نَـــرَاهُم يَمُـــرُونَ وَهُـــمْ مُمْتَطُـــونَ الخَيْـــلَ فِـــي مَوكِـــبٍ مُؤَلَـــفٍ مِـــنْ زِوْجَـــيْنِ بِـــالقُرْبِ مَـــنِ المَرْكِبِـــةِ المُلُوْكِيـــةِ، هَكَـــذَا بالنِسْـــبَةِ للقُـــوَاتِ غَيْـــرِ الجسـدِيْةِ فَـــإِنَّ أُوَلَئِـــكَ أَكْثَـــرُ جَـــلالاً، كَلَّمَـــا اِقْتَربُـــوا مِـــنَ العـــرْشِ. لِـــذَلِكَ فَـــإِنَّ النِبِـــي قَـــدْ تِخَطَـــى الحَـــدَيْثَ عَـــنْ طَبِيْعَـــتِهم الخَاصَـــةِ وحَـــدَّثَنَا أَوَّلاً عَـــنْ مَكَـــانِهِم العظَـــيِمِ، مُقَـــرًا بِـــأَنَّ هَـــذَا يُمَثِـــلُ أَعْظَـــمَ زِيْنَـــةً لَهُـــم لأَنَّهَـــا تُشَّـــكِلُ بِهِـــاءَهَم، ولأَنٍّ هَـــذَا يَعْنِـــي لَهُـــم المَجـــدَ والكَرَامَـــةَ وكُـــلَّ أمَانٍ أنْ يَظْهَرُوا حَوْلَ ذَاكَ العَرْشِ.

وهَـــذَا مَـــا يُمْكِـــنُ أنْ نَـــرَاَهُ مَـــعَ المَلاَئِكَـــةِ، لأَنَّ أُوْلَئِـــكَ حَـــينَ أَرَادَ المَسِـــيْحُ أنْ يُظْهِـــرَهَم بِـــأَنَّهم عُظَمـــاءٌ، لَـــمْ يَقُـــلْ عَـــنْهُم فَقَـــطْ أَنَّهَـــم مَلاَئِكَـــةٌ وصَـــمَتَ، بَـــلْ قَـــالَ عَـــنْهُم "إن مَلاَئِكَـــتَهُمْ فِـــي السَّـــمَاوَاتِ كُـــلَّ حِـــينٍ يَنْظُـــرُونَ وَجْـــهَ أَبِـــي الَّـــذِي فِـــي السَّـــمَاوَاتِ."[٢٠٤]، لأنَّ كِـــوْنِهِم يَنْظُـــرُونَ وَجْـــهَ الآبِ لَهُـــوَ أَعْظَـــمُ مِـــنْ كَـــوْنِهِم مَلاَئِكَـــةً، وهَكَـــذَا

---

[٢٠٤] مت ١٨: ١٠

الحَالُ مَعَ السَّرَافِيْمِ فَالوُقُوْفُ بِجِوَارِ العَرْشِ وأنْ يَكُنْ هَذَا العَرْشُ فَيْ وَسِطِهم أعْظِمَ مِنْ كَوْنِهم سَّرَافِيمَ.

الإنْسِانُ يُمْكِنُ أنْ يَنَالَ مَا للسَّرَافِيْمِ مِنْ عَظَمَةٍ وبَهَاءٍ.

ولَكِنَّ العَظَمَةَ هَي لَكَ مُمْكِنَةٌ، إنْ أَرَدتَ أنْ تَنَالَها، لأنَّ اللهَ لَيْسَ فِيْ وَسَطِ السَّرَافِيمِ، بَلِ فِينَا نَحْنُ أَنْفَسِنَا، إنْ أَرَدْنا. إذْ يِقُوْلُ: "لأَنَّهُ حَيْثُمَا اجْتَمَعَ اثْنَانِ أَوْ ثَلاَثَةٌ بِاسْمِي فَهُنَاكَ أَكُونُ فِي وَسْطِهِمْ"[٢٠٥]، وأيضًا: "قَرِيب هُوَ الرَّبُّ مِنَ الْمُنْكَسِرِي الْقُلُوبِ، وَيُخَلِّصُ الْمُنْسَحِقِي الرُّوحِ."[٢٠٦] لَذَلِكَ فَبُوْلُسُ يَصْرُخُ: " فَاطْلُبُوا مَا فَوْقُ، حَيْثُ الْمَسِيحُ جَالِسٌ عَنْ يَمِينِ اللهِ."[٢٠٧]، أَتَرَى كَيْفَ أَقَمَنَا مَعَ السَّرَافِيمِ، مُقَرِبًا إيَانا مِنَ العَرْشِ المُلُوكِي؟

[٢٠٥] مت ١٨: ٢٠

[٢٠٦] مز ٣٤: ١٨

[٢٠٧] كو ٣: ١

أَجْنِحَةُ السَّرَافِيمِ .

وبِعْدَ ذَلَكَ يَقُولُ: " لِكُلِّ وَاحِدٍ سِتَّةُ أَجْنِحَةٍ"[208] فَعَلَى أَيِ شَيءٍ تَدُلُ تَلَكَ الأَجْنِحَةُ السِتَّةُ؟ إِنَّها تَدُلُ عَلَى أَنَّ تَلَكَ الطَبَائعَ سَامِيَةٌ وطَائِرَةٌ وخَفَيْفَةُ، وسَرِيعَةٌ. لأِجْلِ ذَلَكَ فَإِنَّ جَبْرَائِيْلَ يَنَزِلُ كَمَا لَوْ كَانَ لَهُ أجْنِحَةٌ، لَيَسَ لأَنَهُ يُوْجَدُ أَجْنِحَةٌ لَتْلَكَ القُوَةِ غَيْرِ المُتَجَسِدَةِ، بِلْ دَلاَلَةٌ عَلى أَنَّه نَزَلَ مَنْ تِلْكَ الأَمَاكِنِ العُلْوِيةِ جِدًا، وَوَصَلَ إِلَى الأَرْضِ تَارِكًا إِقَامَتَهُ فِي السَمَاءِ.

ولَكَنَّ مَا هَيَ غَايَتُهُ فِي أنْ يُوَضِحَ لَنَا عَدَدَ الأَجْنِحَةِ؟ وهَذَا لا يَحْتَاجُ تَفَسَيْرِي الخَاصَ، لأَنَّ الحَدَيثَ يُفَسَّرُ نَفْسِهِ شَارِحًا لَنَا فَائِدَتَها، لأَنَّهُ يَقُوْلُ: "بِاثْنَيْنِ يُغَطِّي وَجْهَهُ"[209] كَأَنَّهُما سِتَارَتَانَ يُغَطَيَانَ وَجْهَهُ، لأَنَّهَم لا يَتَحَمَلُون اللَمَعَانَ المُنْبَعِثَ مَنْ ذَلِكَ

[208] أش ٦: ٢

[209] أش ٦: ٢

المَجْـدِ. "وَبِـاثْنَيْنِ يُغطِّـي رِجْلَيْـهِ،"[٢١٠]، تَحْـتَ تَـأثِيْرِ نَفْـسِ الانْبِهَـارِ، لأنَّنـا أنْفُسَـنا عَـادَةً عَنْـدَمَا يُسَـلَطُ عَلَيْنَـا جِسْـمٌ بَـاهِرٌ، فَإنَّنـا نَـنْكَمِشُ ونُخْفِـي كُـلَّ مَكَـانٍ فِـي جَسَـدِنَا. ولِمَـاذَا أتَحَـدَثُ فَقَـطْ عَـنِ الجَسَـدِ، طَالَمَـا أنَّ الـنَفْسَ ذَاتَهَـا عِنْـدَما يَحْـدُثُ لَهَـا ذَلـكَ الأمْـرُ فِـي تَجَلِيَاتِهـا السَـامِيَةِ، تَجِـذِبُ كَـلَّ طَاقَاتِهـا ثُـمَ تَجْمَـعُ ذَاتَهَـا ضَـاغِطَةً إيِاهَـا بِعُمْـقٍ فِـي الجَسَـدِ كَمَـا لَـوَ كَـانَ هَـذَا الجَسَـدُ مَلْبَسًـا لَهـا؟ وحِـيْنَ يَسْـمِعُ أحَـدٌ الاِنْـدِهَاشَ والاِنبِهَـارَ لاَ يظُـنُ أنَّنـا نَتَحَـدَثُ عَـنْ صِـرَاعٍ مُقَّـزِزٍ للـنَفْسِ لأنَّـهُ مَـعَ هَـذَا الاِنْـدِهاشِ تُوْجَـدُ نَشْـوَةٌ مُمْتَزِجَـةٌ بِـهُ لا تُحْتَمَـلُ مَـنْ عَظَمَتِهَـا. "وَبَـاثْنَيْن يَطِيـرُون"[٢١١] وهَـذَا يَـدُلُ عَلَـى أنَّهـم دَائِمَـا يَشْـتَهُوْنَ العُلْوِيَـاتِ ولا يَنْظُـرِوُنَ لأَسْـفَلَ أبَـدًا، "وَهـذَا نَـادَى ذَاكَ وَقَـالَ: «قُـدُوسٌ، قُـدُوسٌ، قُـدُوسٌ رَبُّ الْجُنُـودِ. مَجْـدُهُ مِـلْءُ كُـلِّ الأَرْضِ»"[٢١٢]، وهَـذَا الصُـرَاخَ فَـي الحَقِيْقَـةِ هُـوَ دَلاَلَـةٌ وَاضِـحَةٌ لَنَـا عَلَـى

---

[٢١٠] أش ٦: ٢

[٢١١] أش ٦: ٢

[٢١٢] أش ٦: ٣

تَعجُــبِهم، لأنَّهــم لا يُسِــبِحُون فَقَــطْ بَــلِ يَصْــرُخُونَ بَشِــدَةٍ، ولا يَصْــرُخُونَ فَقَــطْ بَــلِ أَيْضِــا يَفْعَلُــونَ ذَلــكَ بِــلا اِنْقِطِاعٍ.

مُعَايَنَةُ المَجْدِ الإِلَهِي

لأنَّ الأَجْسَــادَ البَرّاقَــةَ وإنْ كَانَــتْ مُنِيْــرَةً بَشَــكِلٍ عَظِــيْمٍ، حِيْنِئِــذٍ فَإِنَّهــا عَــادَةً مَــا تثِيْــرُ ذَهَوَلَنــا لَمَّــا نُشَــاهِدُها للمَــرَةِ الأَوْلَــى بَعُيْوْنِنــا، ولَكَــنْ إنِ واصــلْنَا التَطَلَّــعَ فَيَهــا أَكَثَــرَ فَبَــالتَعَوّدِ سِــوْفَ يَنْتَهَــي اِنْدَهَاَشُــنَا، لأنَّ عُيْوْنَنَــا قَــدْ اِعتِادِتْ عَلِى تِلْكَ الأَجِسَادِ.

لــذلك فعِنْــدِما نِــرَى أَيْقُوْنَــةً مُلوكِيــةً، وقَــدْ تَــمَّ تَكَرِيْسُــها (تَجْهِيزُهــا) حَــدِيْثًا وهَــي تَزْهُــو بَأَلَوَانِهــا، فَهَــي تُثِيْــرُ إِعْجَابَنَــا ولَكِــنَّ بَعْــدَ يَــوْمٍ ويَــوْمَينِ يَــزُوْلُ إِعْجَابُنــا هَــذا. ولَكِــنْ لِمَــاذَا أَتَحَــدَثُ عَــنْ أَيقُوْنَــةٍ مُلُوْكِيــةٍ، طَالَمَــا أنَّ الأَمْــرَ ذَاتَــهُ يَحْــدُثُ لَنــا مَــعَ أَشِــعَةِ الشَــمْسِ، عِلــى الــرُغْمِ مِــنْ أَنَّــه لا يُوْجَــدُ جِسْــمٌ أَكَثَــرُ لَمَعَانًــا مَنَهــا؟ وهَكَــذا فَــأَي جَسِــدِ بِسِــبَبِ الاِعْتِيَــادِ (عَلــي النَظَــرِ) إِلِيــهِ يُــذَهَبُ الإعْجَــابُ بِــهِ. غّيْــرَ أنَّ الأَمْــرَ لَــيْس كَــذَلِكَ فَيْمَــا

يَتَعَلقُ بمَجْدِ اللهِ، بَلْ عَلى العَكْسِ تَمَامًا، لأنَّه كُلَمَا واصَلَتْ تِلِكِ القُوَاتُ (السَمَائيَةُ) فِي النَظَرِ إلَى ذَلَكَ المَجْدِ كَلَمَا اِنْبِهِرَتْ بِالأَكثرِ واِزْدِادَ تِعَجُبُها، لَذلَكَ فَبَالرَغمِ مِنْ أنَهم يَرُونَ ذَاكَ المَجْدَ مُنْذُ خِلْقَتِهم حِتَّي الآنَ، فَلاَ يَتَوَقَفُونَ عَنِ الصَرُاخِ بِاِنْبِهارٍ، لأنَّ مّا نُعَانِي مِنْهُ ويَحْدَثُ لَنا فِي بُرْهَةٍ قَصِيْرَةٍ مَنِ الزَمَنِ، عَنْدَمَا يَأْتِي عَلَيْنَا ضِياءٌ سَاطِعٌ، يَحْدَثُ لَتْلَكَ القُوَاتِ القَائِمَةِ قُدَامَه باسْتِمْرَارٍ وبَلاَ اِنْقطَاعٍ، وبِالرَغْمِ مَنْ ذَلِكَ يَظْهَرُون لَذَةً مَا وتَعَجُبًا. لأَنَّهم لَيْسُوا فَقَطْ يَصْرُخُون، بَلْ يَفْعَلُوْنَ هَذا فِيْمَا بَيْنَهم، وهَذْه عَلاَمَةٌ عَلَى اَنْدِهَاشِهم الدَائِمِ، وهَذِا نَفْسَهَ مَا يَحْدُثُ لَنا عِنْدَمَا نَسْمَعُ رَعْدًا أو زِلْزِالاً يَهْزُ الأَرْضَ، لَيْس فَقَطْ نَقْفِزُ ونَصْرُخُ، بَلْ نُسْرِعُ بِالهَرَبِ الوَاحَدَ إلى الأَخَرِ إلَي بَيْتَهُ، وهَذَا مَا يَفْعَلُهُ السَّرَافِيمُ، لِذَلِكَ كُلُّ وَاحِدٍ يَصْرُخُ نَحَوَ الأَخَرِ قَائِلاً: " قُدُّوسٌ، قُدُّوسٌ، قُدُّوسٌ".

تَسْبِحَةُ السَّرَافِيم.

٣- هَـلْ تُـدْرِكُون أيَ صَـوتٍ هَـذا يَـا تُـرَى؟ هَـلْ يـا تُـرَى هَـوَ صَـوْتٌ يَخُصُـنَا أمَ صَـوْتُ السَّـرَافِيمِ؟ صَـوْتُنَا وَصَـوْتُ السَّـرَافِيم هُـوَ لِتَسْـبِيْحِ المَسِـيحِ الـذِي أزِالَ الحَـاجِزَ المُتَوَسِـطَ وأحَّـلَ السَـلامَ بَـيْنَ السَـمَاوِيَاتِ والأرْضِـيَاتِ، وتَسْـبِيْحٍ لِـذاِكَ الَـذي جَعَـلَ الاثْنَـيِنَ واحَـدًا لأنَّـه فِـي السِـابِقِ كَانَـتْ هَـذِهِ التَسْبِحَةُ فَقْـطْ تُرَتَـلُ فَـي السَـمَاوَاتِ، ولَكِـنْ عِنْـدَما قَبِـلَ السَـيِدُ أنْ يَـأتِي إلَـى الأرْضِ قَـدْ نَزَلَـتْ هَـذِه التَرْتِيْلَـةُ أيْضَـا إلَيْنَـا، لَـذلِكَ رَئـيِسُ الكَهَنَـةِ العَظَـيِمُ هَـذَا عِنْـدَما يَقْـفُ عَلَـى المَائِـدَةِ المُقَّدَسَـةِ (المَـذْبَحِ) مُقَّـدِمًا العِبَـادَةَ العَقْلِيْـةَ، والذَبِيْحَـةَ غَيْـرَ الدَموِيَـةِ لا يَحُثْنَـا مُبَاشَـرَةً عَلَـى هَـذَا الهُتَـافِ المُـبْهِجِ، بَـلِ أوَلاً يُشِـيْرُ إلَـى الشَـارُوبِيْمِ ثُـمَ يَـذْكُرُ السَّـرَافِيمَ، وبِعْـدَ ذِلِـكَ يَحُـثُ الجَمِيـعَ أنْ يُصَّـعِدوا أصْـوَاتِهم الجَهُوْرِيـةِ، يَصْـرِفُون أذْهَانَنَـا عَـنْ كُـلِّ مِـا هُـوِ أرْضِـيِّ بِتِـذْكِارِ أوِلَئِـكَ الـذِينَ يُرَتِلُـون مَعًـا. وكَـأنَّهم يُنَـادُون عَلَـى كُـلِّ وَاحِـدٍ فِيْنَـا، قَـائِلِين مَـعِ السَّـرَافِيم: رَتِـلْ مَـعَ السَّـرَافِيم جَنْبًـا إلَـى جَنْـبٍ ومَعَهُـم اِفْـتِحْ جِنِاحِيْـكَ

وحَلِّقْ مَعَهم حَوْلَ العَرْشِ المُلُوكِي.

الإفخارستيا تُميزُ الإنسانَ عن الملائكةِ.

ولَكِــنَّ يــا لَــهُ مِــنْ عَجَــبٍ أنْ تَقِــفَ بِجِــوارِ السَّــرَافِيم، عِنــدما لا يَجْــرُؤ السَّــرَافِيم أنْ يَمُسُــوا هــذه (العطايا)، التي قد أَعْطَاها إياك اللهُ بِسَخَاءٍ.

"فَطَــارَ إلَــيَّ وَاحِــدٌ مِــنَ السَّــرَافِيم وَبِيَــدِهِ جَمْــرَةٌ قَــدْ أَخَــذَهَا بِمِلْقَــطٍ مِــنْ عَلَــى الْمَــذْبَحِ"[٢١٣]، ذَاكَ المَــذْبَحُ (السَــمَاوِي) هُــوَ نَمُــوْذَجٌ ومَثَــالٌ لَهَــذا المَــذْبَحِ (فَــي الكَنِيسَــةِ)، وتِلْــكَ النَــارُ هَــيَ مِثَــالٌ لِهَــذِهِ النَــارِ الرُوْحِيَــةِ، غَيْــرَ أنَّ السَّــرَافِيمَ لَــمْ يَجْــرُؤوا أنْ يَمْسِــكُوها بِأَيْــدِيْهم بَــلِ بِمُلْقَــطٍ،، بِيْنمــا أَنِــتَ تَمْسِــكُها بِيِــدِكَ[٢١٤]، فِــإنْ كُنْــتَ تَبْحَــثْ فِــي قَيْمَــةِ العَطَايَــا الحَاضِــرَةِ فَهِــيَ أَعْظَــمُ مِــنْ جَمْــرَةِ السَّــرَافِيم، ولَكَــنْ إنْ تَأَمَلْــتَ فِــي مَحِبَــةِ سَــيِدِّكَ للبَشَــرِ ونِعْمَــةِ العَطَايَــا الحَاضِــرَةِ فَلَــنْ تَخَجَــلَ مَــنْ أنْ يَنْــزِلَ

---

[٢١٣] أش ٦: ٦

[٢١٤] الحَدِيثُ هُنا إشَارَةٌ إلى الإفَخَارَستِيا حَيْثُ كَانَ المُؤمِنُون يَتَنَاوَلُونَها فِي رَاحةِ اليدِ حَسبِ الطَقْسِ القَدِيْمش.

سَيِّدُك! إلَى عَالَمِنا الفَانِي[٢١٥].

إقْتران الإفْخَارِسْتِيَا بِالصَوْمِ لِتِطْهِيْرِ النَفْسِ.

فَـــافْهَمْ هَـــذَا يـــا إنْسِـــانُ وفَكِـــرْ فِـــي حَجْـــمِ العَطيــــةِ! وأنْهـــضْ وتَحَـــرَرْ مِـــنَ الأرْضِ وأصْـــعَدْ إلَـــى السَـــمَاءِ، ولَكَـــنْ هَـــلْ يِجْـــذِبُكَ الجَسَـــدُ ويُجْبَـــرُكَ عَلَـــى البَقَـــاءِ أَسْـــفَلَ؟ ولَكِـــنْ هَـــا قَـــدْ اِقْتربـــتِ الأَصْـــوَامُ التَـــي تَجْعَـــلُ أَجْنِحَـــةَ الـــنَفْسِ تَعْمَـــلُ بِخْفِـــةٍ، والتَـــي تُخَفِـــفُ مِـــنْ ثُقْـــلِ الجِسَـــدِ، حَتَّـــى ولَـــوِ اِلْتَقـــتْ بِأجْسِـــادٍ أَثْقَـــلَ مِـــنَ الرَّصَـــاصِ. ولَكِـــنَّ حَـــدِيْثُ الصَـــوْمِ يُمْكِـــنُ أنْ يِنْتظِـــرَ بَيْنَمـــا حَـــدِيْثُ الأَسْـــرَارِ التَـــي لأجْلِهَـــا قَـــدْ صَـــارَتِ الأَصْـــوَامُ فِلْتَتَحَـــرَكْ مِـــنَ الآنِ، لأنَّـــهُ كَمَـــا فِـــي المُبَارَايَـــاتِ الأُوْلُمْبِيــــةِ يَكُـــوْنُ هَـــدَفُ المُتَسَـــابِقِيْنَ هُـــوَ الإكْلِيْـــلُ، كَـــذَلَكَ فَـــإنَّ غَايَـــةَ الأَصَـــوَامِ أنْ نَتَنَـــاوَلَ مَـــنِ الإفْخَارِسْـــتِيا ونَحْـــنُ أَطْهَـــارٌ، وإنْ لَـــمْ نَفْعَـــلْ ذَلَـــكَ كُـــلِّ الأَيْـــامِ نَكُـــنْ قَـــدْ أَجْهَـــدْنا أَنْفُسَـــنَا بَـــاطِلاً وبِـــلاِ طَائِـــلٍ، ونَكُـــنْ قَـــدْ اِرتِحْلْنِـــا مِـــنْ حَلَبَـــةِ الصَـــوْمِ بِـــلا إكْلِيْـــلٍ أو مُكَافَـــأَةٍ، **لَـــذَلِك فِـــإنَّ آبَاءَنـــا قَـــدِ أَطَـــالَوْا فَتَـــرَاتِ**

[٢١٥] عالمنا الفاني حرفيًا : عدمنا

الصَـوْمِ، مُعْطِـيْنَ إيَانَـا المُهلَـةِ حَتَّـي نَتُـوْبَ، حَتَّـى نَتَقَـدَمَ (للمَائِدِةِ المُقَدَسَةِ) طَالَمَا تَطَهّرْنا أوْلاً وغَسَلْنا أنْفُسَنا.

وُجُوْبُ الاِسْتِعْدَادِ للإفْخَارِسْتِيَا.

لَـذلَكَ فَـإنَّني مَـنْ هُنَـا أَصْـرُخُ بـأَعْلَى صَـوُتِي، إنَّنـي أحْتَـاجُ وأتوَسَـلُ وأتَرَجَـى ألا نَـدْخُلَ لِهـذه المَائِـدَةِ المُقَدَسَـةِ بِتِلْـكِ البُقْـعِ[٢١٦]، ولا بِضَـمِيْرٍ شَـرْيِرٍ، لأنَّ هَـذا لا يُمْكِـنُ أنْ يَكُـوْنَ مُفِيْـدًا ولا هَـذِهِ شَـرِكَةً حَقِيْقِيَـةً وهَكَـذا فَـإنَّ تَنَاوُلَنَـا بِكَثْـرَةٍ مَـنْ ذَلِـكَ الجَسَـدِ المُقَّـدْسِ فَكَأنَّنَـا نَتَنَـاولُ دَيْنُوْنَـةً وجَحِيْمًـا اِزْدِيـادًا فِـي العُقُوْبَـةِ. لَـذلَكَ فَعَلَـى أيِّ خَـاطِئٍ ألا يَتَقَـدَمَ، والأفْضَـلُ ألا أقْـوْلَ أيَّ خَـاطِئٍ، لأنني أنَـا نفسـي سـأكون أولَ مَـنْ يُسْـتَبْعَدُ مِـنَ المَائِـدَةِ الإلَهِيَـةِ، بَـلْ أقْصِـدُ أنَّـه مَـنْ يَبْـقِ فِـي خَطَيئَتِهُ فَلا يَتَقَدَمْ للمَائِدَةِ.

لـذَلَكَ فَـإنَّنِي أُحَـذِرُ مِـنَ الآنِ، حَتَّـي عِنْـدَما تَـأْتِي المَائِـدَةُ المُلُوْكِيَـةُ إلِيْنَـا، ونَصْـلُ إلَـى المَسَـاءِ

---

[٢١٦] المقصود: هذه الأدناس

المُقَــدَسِ، لا يَقْــدِرُ أَحَــدٌ أنْ يَقُــوْلَ: "قَــدْ أَتَيــتُ غَيــرَ مُسْــتَعْدٍ، ومُسْــتَبْعَدٍ (مِــنْ شَــرِكَةِ الإفْخارِسْــتِيا)، وهَــذا التَحْـذِيْرُ كَـانَ يَجْـبُ أنْ تَقُوْلَـهُ مُسَّـبَقًا: لأنَّـهُ لَـوْ كُنْـتُ قـد سَــمِعْتُ ذَلِـكَ مُبَكِـرًا لَكُنْــتُ قَـدْ تَغَيَّــرْتُ بالتَمَــامِ، وكُنْــتُ قَــدْ طَهَــرْتُ نَفْسِــي أولًا قَبْــلَ أنْ أَتَقَــدَمَ (للمَائِــدَةِ)". لِكَــي لا يَحْــتَجُ أَحْــدٌ ويَعْتَــرِضُ مَــنِ الآنِ فِــأِرْجُوْكم أنْ تُطْهِــرُوا تَوْبَــةً جَدْيِــةً، أَعْــرِفُ أنَّنــا جَمِيْعًــا مُسْــتِحِقُونَ التَأْنِيْــبَ، وأَنَّ أحــدًا لِــنْ يَفْتَخِــرَ أنَّ لــه قَلْبًــا نَقِيًــا، فَلِيْسِــتِ المُعْضِــلَةُ أنَّنَــا لا نَمْلَــكُ قَلبًــا نَقِيًــا، بَــلْ أَنَّــهُ بَيْنَمــا لا نَمْلِــكُ قَلْبًــا نَقِيًــا فَإنَّنــا أَيْضًــا لا نَقْتَــرِبُ مِــنْ ذِاَكِ الــذِي يَسْــتِطِيْعُ أنْ يُطَهِــرَ قَلْبَنَــا. لأنَّــه (الله) يَسْــتَطِيْعُ إنْ أَرَادْ، فَهْــوَ يُرِيْــدُ بِــالأَحْرَى أَكَثَــرَ مِنَــا، ولَكِنَّــهُ يَنْتَظِــرُ حَتَّــى يَأَخُــذَ دَافِعًا بَسِيْطًا مِنا كَي يُكَلِلَنا عَلاَنِيَةً.

مَثَلُ الفِرِيْسِي والعَشَارِ.

مَــنْ كَــانَ أَكَثَــرَ خَطِيْئَــةً مَــنِ العَشَــارِ؟ ولَكِــنَّ

فَقَــطْ بِقَوْلَــهُ: " اللّهُــمَّ ارْحَمْنِــي، أَنَــا الْخَــاطِئَ"[٢١٧]. قَــدِ نَــزَلَ مُبَــرَرًا أَكْثَــرَ مَــنِ الفِرِيسِــي، فَأَيَّــةُ قُــوَةٍ كَانَــتْ تَكْمُــنُ فِــي هَــذِه الكَلِمَــةِ! ولَكِــنْ لَــمْ تَكَــنْ هَــذِهِ الكَلْمَــةُ السَــبَبَ فَــي تَطَهُــرِه، ولَكِــنَّ النَيِــةَ التَــي بِهَــا قَــدْ تَفَّــوَهَ بِهَــذِه الكَلِمَــةِ، والأَصَــحُ ولا حَتَــي نِيَّتِــهُ بَــلْ قَبْــلِ هَــذِهْ النِيَّــةِ مَحَبَــةُ اللهِ للبَشِرِ.

التُوْبَةُ تَحْتَاجُ دَافِعًا بَسِيْطًا مِنَا.

٤- فَقَــلْ لِــي، أيَّ تَعْــبٍ وأيَّ جَهْــدٍ يِحْتِاجَــهُ الخَــاطَئ كَــي يُقْنِــعَ نَفْسَــهَ حَتــي يَقُــوْلَ إنَّــهُ خّــاطِئُ وأَنْ يَقَــوْلَ هَــذا للهِ؟ أنْظُــرْ فَــإنَّنِي لَــمْ أَقُــلْ بَــاطِلاً أنَّ دَافِعًــا صَــغِيْرًا يَطَلُبُــه مِنَــا وحَــالاً سَــوْفَ يُقَــدِمُ لَنَــا كُــلَّ شَــيءٍ لأَجْــلِ خِلاَصِــنَا، فَلِنَتُــبْ إذِنٍ، لِنَبِــكِ، لِنَنْتِحِــبْ (عِلِــى خَطِايانِــا)، فَعِنَــدَما يَفْقِــدُ شَــخْصٌ اِبْنَتَــهُ فَإنَّــه فَــي عَدَيْــدٍ مِــنَ الحَــالاتِ يَمُضِــي مُعْظَــمَ حَيَاتَــهُ فَــي رَثَــاءٍ ودُمُــوْعٍ، أَمَّــا نَحْــنُ فَنَخْسِــرُ نُفُوْسَــنَا ولا نَبْكِــي، نَفْقِــدُ خَلاَصَــنَا[٢١٨]

---

[٢١٧] لو ١٨: ١٣

[٢١٨] حرفيا: "سقطنا من الخلاص" σωτηρίας ἐξεπέσομεν في الترجمة الفرنسية

ولا نَقْرَعُ صُدُوَرَنا، ومَا بَالِيْ أَتَحَدَثُ عَنِ النَفْسِ والخَلاَصِ؟ لَقَدْ أَغْضَبنا السَيِّدَ الوَدْيعَ الهَادِيءَ، ولَمْ نُذْرِ أَنفُسَنَا بِالرَمَادِ فِي الأَرْضِ، وهَوَ لَيْس فَقَطْ سَيِّدًا يَرْعَى بَلَ أبٌ حَنُوْنٌ وأمٌ تُحِبُ أوْلاَدَها لأَنَّهُ بِرْعَايَتِهِ لَنَا يَفُوْق كُلَّ عِنَايَةٍ، فَيَقُّوْلُ الكِتَابُ: "هَلْ تَنْسَى الْمَرْأَةُ رَضِيعَهَا فَلاَ تَرْحَمَ ابْنَ بَطْنِهَا؟ حَتَّى هؤُلاَءِ يَنْسَيْنَ، وَأَنَا لاَ أَنْسَاكِ."[٢١٩]، وهَذَا الإِعْلاَنُ هَوَ بِكُلِ تَأْكِيْدٍ جَدِيْرٌ بِالثِقَةِ وقَبْلَ أنْ يُقَّدِمَ بُرْهَانًا عَلَيهِ، وذَلِكَ لأَنَّه صَادِرٌ مِنَ اللهِ، ولَكِنْ دَعْنَا نُقَّدِمُ دَلِيْلاً مَنْ وَاقِعِ الأُمُوْرِ.

رِفْقَةُ أَخَذَتْ لَعْنَةَ يَعْقُوْبَ بَالكَلاَمِ أمَّا المَسِيْحُ فَأَخَذَ لَعْنَتَنا بِالفِعْلِ.

فَفِي إِحْدَى المَرَاتِ قَدْ حَرَّضَتْ رِفْقَةُ إِبْنَها أنْ يُخَادِعَ بِالتَظَاهُرِ حَتَّى يِسِرِقَ البَرِكَةَ، وإِذْ كَانَتْ قَدْ آمَنَتْهُ جَيْدًا مَنْ كُلِّ جَانِبٍ وأَلْبَسَتْهُ قِنَاعَ أَخِيْهُ،

"قد ضَلَلْنا عَنْ طَرْيِق الخَلاصِ".

[٢١٩] أش ٤٩: ١٥

ولَكِنَّهـا لمَّـا رَأَتْـهُ مَـعَ ذَلِـكَ لَـمْ يَتَشَـجَعْ بَعْـدُ وأَرَادَتْ أَنْ تَتْـزَعَ عَـنِ الوَلَـدِ الرَهْبَـةِ، قَالَـتْ: "لَعْنَتُـكَ عَلَـيَّ يَـا ابْنِـي."[٢٢٠]، وهِـي فِـي الحَقِيْقَـةُ كَلِمَـةُ أُمٍ مُتَلَهِفَـةٍ عَلَـى اِبْنِهـا، أمَّـا المَسِـيْحُ فَلَـمْ يَقُـلْ هَـذَا فَحَسْـبِ بَـلْ فُعلَـهُ أيضًـا، فَهُـوَ لَـمْ يُوْعِـدْ فَقَـطْ (بِحِمْـلِ اللَعْنَـةَ عَنَـا) بَـلْ تَمَّـمَ ذَلِـكَ عَمَلِيًـا ، لِـذَلِكَ يَصْـرُخُ بُـوْلُسُ قَـائِلاً: "اَلْمَسِـيحُ افْتَـدَانَا مِـنْ لَعْنَـةِ النَّـامُوسِ، إِذْ صَـارَ لَعْنَـةً لأَجْلِنَـا"[٢٢١]، فَقُـلْ لِـي هَـلِ سَـوْفَ نُغْضِـبُهُ؟ وكَيـفَ يِكُـوْنُ هَـذَا مُخِيْفًـا أَكْثَـرَ مَـنِ الجَحِـيْمِ ذَاتِـهِ، ومِـنَ الـدُوْدِ الـذِي لا يَمُـوْتُ ومِـنَ النَـارِ التَي لا تَنْطَفِئ.

تَحْذِيرٌ مَنِ التَنَاوُلِ بِدُوْنِ تَوْبَةٍ.

فَعِنْـدَما تَشْـرَعُ أنْ تَقْتِـرْبَ مِـنَ المَائِـدَةِ المُقَدسَـةِ، فَعَلَيْـكَ أنْ تُـؤْمِنَ أنَّ مَلِـكَ الجَمِيـعِ حَاضِـرٌ هُنَـاكَ، لأَنَّـهُ فَـي الوَاقِـعِ يَجِـبُ أنْ يَفحَـصَ كُـلُّ وَاحِـدٍ نِيتَـهُ بِحِـرْصٍ، ويَنْظُـرَ كَيْـفَ يَتَقَـدَمُ (للمَائِـدَةِ)، سَـوَاءَ

[٢٢٠] تك ٢٧: ١٣

[٢٢١] غلا ٣: ١٣

مَـــنْ يَتَقَـــدَمُ بِالقَدِاسَـــةِ الوَاجِبَـــةِ أو مَـــنْ يَتَقَـــدَمُ بِضَـــمِيرٍ شِـــرِيْرٍ وبِفِكْـــرٍ نَجِـــسٍ وقَـــذِرٍ وبِأَعْمَـــالٍ دَنِسَـــةٍ. فَـــإِنْ وُجِـــدَ أَحَـــدٌ مِثْـــلُ هَـــذا فَيْـــهُ، فَلَيَسِـــلَمْهُ مَبَاشَـــرَةً لِمَحْكَمَـــةِ الضَـــمِيْرِ، ثُـــمَّ بَعْـــدَ ذَلِـــكَ، فَـــإِذْ تَسَّـــلَمَه الضَـــمِيْرُ وجَلَـــدَهُ بَالأَفْكَـــارِ وجَعْلَـــهُ أَفْضَـــلَ، فَليقْبَلْـــهُ مَـــرَةً أَخْـــرَى ولَكِـــنَّ إِذَا مَـــا بَقَـــيَ بِـــدُوْنِ تَقْـــوُيْمٍ، حِيْنَئـــذٍ يَقَـــعُ بِـــالأَكَثَرِ فِـــي يَـــدِ اللهِ كَجَاحِـــدٍ ونَـــاكِرٍ للجَمِيْـــلِ، فكَـــمْ هُـــوَ مُخِيْـــفٌ هَـــذَا الأَمْـــرِ فَاِسْـــمِع بُـــوْلُسَ وهَـــوَ يَقُـــوْلُ: " مُخِيـــفٌ هُـــوَ الْوُقُـــوعُ فِـــي يَـــدَيِ اللهِ الْحَـــيِّ!"[٢٢٢]، أَعْـــرِفُ أنَّ كَلَمَـــاتِي مُؤْلِمَـــةٌ ولَكِـــنَّ مَـــاذَا أَفْعَـــلُ؟! لأَنَّـــهُ إِنْ لِـــمْ أَضَـــعِ الـدَوَاءَ المُـــرَ فَـــإِنَّ الجُـــرُوْحَ لَـــنْ تَنْـــدَمِلَ. وإنْ وَضَـــعْتَ مَزِيْـــدًا مَـــنِ المُـــرِ فَـــأَنَكُم لَـــنْ تَحْتَمِلُـــوا الأَلَـــمَ، فأَنَـــا مُحَاصَـــرٌ مَـــنْ كُـــلِّ جِهَـــةٍ، ولَكِـــنَّ مَـــنِ الضَـــرُوْرِي أنْ أَكُـــفَ يَـــدَي لأنَّ مَـــا قَـــد قُلْتُـــهُ كَـــافٍ لتَقْـــوِيمِ أُوْلَئَكَ المُنْتَبِهِين.

مُلَخَصُ العِظَةِ.

ولَكِـــنَّ لَكَـــي يَكُـــوْنَ حَـــدِيْثُنا مُفِيْـــدًا لَـــيْسِ لَكُـــمْ فَقَـــطْ

[٢٢٢] عب ١٠: ٣١

بَـلْ وللآخَـرِيْن أَيضًـا، فِلْـنُلَّخصْ مَـا قُلْنَـاه مِـنْ جَدِيْـدٍ، فَقَـدْ تَحَـدثْنا عَـنِ السَّـرَافِيم، وأُوْضِـحْنَا كَيْـفَ أنَّ مَكَـانَتَهم عَظِـيْمٌ حَيْـثُ يَقِفُـون بِجِـوَارِ العَـرْشِ المُلُـوْكِي، وأنَّـهُ مَـنِ المُمْكِـنِ للبَشَـرِ أنْ يَصِـلُوا لِهـذِهِ المَكَانِـةِ، وقَـدْ تَكَلَمْنَـا عَـنِ الأَجْنِحَـةِ وعَـنْ المَجْـدِ الإلِهِـي غَيْـرِ المُقْتَـرَبِ مَنِـهِ[٢٢٣]، وعَـنْ مَحَبَتِـهُ لَنـا نَحَـنُ البَشَـرِ، وتَابعنـا الحَـدِيْثَ عَـنْ سِـبَبِ صُـرَاخِهم وتَعْجُـبِهم الَـدَائِم، وكَيـفَ أنَّ عَـدَمَ انْقِطَـاعِ المِشْـهِدِ (الإلِهِـي) سَـبَبٌ فِـي عَـدَمَ انْقِطَـاعِ تَمْجِيْـدِ السَّـرَافِيم أيضًـا، وقَـدْ ذَكَّـرْتُكم مَـعَ أَيِ جُوْقَـةٍ قَـدْ شَـارَكْنا، ومَـعَ مَـنْ قَـدْ رِتَلْنـا لِسَيِّدِنا كُلَّنـا، وقَـدَ أَضَـفْنا حَـدِيْثًا عَـنِ التُوْبَـةِ، وفِـي النَهَايَـةِ قَـدْ أُوْضَـحْنا كِـم هُـوَ شَـرٌ أنْ نَتَقَـدَمَ للأَسْـرَارِ بِضَـمِيرٍ شِـرْيِرٍ، وأنَّـهُ مِـنْ غَيـرِ المُمْكِنِ أنْ يِنِجُو (مِن العُقُوْبَةِ) مَنْ يَبْقَي مِعْوَّجًا.

هـذا، فَلْتَتعَلمَـهُ المَـرْأَةُ مَـنْ رَجُلِهـا، والابِـنُ مَـنْ

---

[٢٢٣] هكذا في النص المحقق SC: τῆς ἀπροσίτου δόξης τοῦ Θεοῦ بينما في النص التقليدي *PG* : القوة الإلهية غير المقترب منها. τῆς ἀπροσίτου δυνάμεως τοῦ Θεοῦ.

أبِيـــهِ، والخَـــادَمُ مَـــنْ سَـــيَّدِهِ، والجَـــارُ مِـــنْ جَـــارِهِ، والصَـــدِيْقُ مَـــنْ صَـــدِيْقِهِ، وبَـــالحَرِي فَلْنُتَنَـــاقَشْ فِيـــهِ مَـــعَ أَعْـــدَائِنا، لأنَّنـــا مَسْـــئُوْلُونَ عَـــنْ خَـــلاَصِ أَوَلِئْـــكَ، لأنَّـــهُ طَالَمَـــا كَـــانَ عِنْـــدَنا وَصِـــيَةٌ أنْ نُقِـــيْمَ دَوَابَهـــم عَنْـــدَما تَسْـــقُطُ (عَلَـــى الأَرْضِ) وأنْ نُنْقِـــذَها عَنْـــدَما تَضِـــلُ الطَرِيْـــقَ وأنْ نُرْجِعَهـــا، فَكَـــم بِـــالحَرِي أنْ نَـــرُدَ نُفُوْسَـــهم عِنْـــدَما تَضِـــلُ وأنْ نُقِيْمَهـــا عِنْـــدَما تَسْـــقَطُ. فَـــإنْ نَظَمْنـــا مَـــا يُخُصُـــنا هَكَـــذا ومَـــا يَخْـــصُ قَرِيْبَنـــا، فسَـــوْفَ نَقْـــدِرُ بَجَـــرَأةِ أنْ نَقِـــفَ أمَـــامَ مَنْبَـــرِ المَسِـــيحِ، الـــذِي يلِيـــقُ بِـــهِ المَجْـــدُ والكَرَامَـــةُ والقُـــدْرَةُ مَـــعَ الآبِ والـــرُوْحِ القُـــدُسِ والمُحَيِّـــي، الآنَ وكُلِّ آوانَ وإلىَ دَهَرِ الدُهُوْرِ. آمِين.

العظةُ الرابعةُ[224]

عَنْ نَصِ سِفْرِ إِشِعْياءَ الذِي يَقُوْلُ: "فِي سَنَةِ وَفَاةِ عُزِّيَّا الْمَلِكِ، رَأَيْتُ السَّيِّدَ جَالِسًا عَلَى كُرْسِيٍّ عَالٍ وَمُرْتَفِعٍ"[225]، ومديح عن مدينة أنطاكية[226]، وَأدِلْةٌ مِنَ النُصُوْصِ المُوْحِى بِها مِنَ اللهِ ضِدَ الذَينَ يَمْنَعونَ الزَوَاجَ.

مُقَدِمَةٌ عَنْ مَدِيحِ المَدِيْنَةِ وأهَلِها

١- المَشَهَدُ اليَوْمَ صَارَ مُشِرِقًا والتَجَمُعُ مُفْرِحًا، فَمَا هوَ سَبَبُ ذَلَكَ؟ الحَصَادُ اليَوْمَ هوَ ثَمَرَةُ بِذِارِ الأمِسِ، فَالبَارِحَةُ قَدْ زَرَعْنا واليَوْمَ نَحْصَدُ، فَنْحَنُ لا نُفْلِحُ أَرْضًا مَائتَةً، حَتى تَتَأخرَ (في مَحْصُلِها)، بِلِ أنَّها أَنْفُسٌ عَاقَلَةٌ، فَالطَبِيْعَةُ يَتَأَخَرُ (إِثْمَارُها) بَيْنَما النِعْمَةُ حَيَّةٌ وشَعْبُنا مُنْضَبِطٌ،

---

[224] بخصوص أصالة هذه العظة أنظر المقدمة: ص ٢٩، ٣٦-٣٨.

[225] أش ٦: ١

[226] أنظر المقدمة: ص ٣٧، حيث يري بعض الباحثين أن حديث القديس يوحنا لا يخص مدينة أنطاكية بل القسطنطينية عاصمة الإمبراطورية البيزنطية.

والجُمُـوْعُ مُحِبَـةٌ للإصْـغاءِ، البَارِحَـةَ قَـدَ تَمـتْ دَعَوَتُنَـا واليـوم نُكَلـلُ، فَثَمَـرُةَ وَعْـظِ البَارِحَـةِ هَـي طَاعَـةُ اليَـوْمِ. لَـذلكَ فَـإِنَّني بِحِمَاسَـةٍ أُلقِـيّ البِـذارَ، لأَنَّنـي أَرَى الحَقْـلَ وقَـدْ تَمَـتْ تَنْقِيَتُـهُ، فَـلا تُوْجَـدُ فَـي أيِ مَكَـانٍ أَشْـوَاكٌ تَخْنِـقُ السَـنَابلَ، حِيْـثُ لا طَرِيْـقَ يُـدَاسُ (مِـنْ عِـابِرِي السَـبَيلِ)، ولا صَـخْرَةَ عَقِيْمَـةٌ، بَـلْ حقـلٌ خِصِـبٌ ومُسْـتَزْرَعٌ بِعُمْـقٍ، الـذِي بِمُجَـرَدِ أنْ يَقْبِـلَ البِـذَارَ، حَـالاً يَمْنِحُنـا السَـنَابِلَ، هَـذَا مَـا أَقْوْلُـهُ دَائِمًـا ولَـنْ أتَوقـفَ أَنْ أُرَدِدَهُ، إنَّ فَخْـرَ (زَهْـوَ) مَـدِيْنَتِنا، لَـيْسِ فَقَـطِ أنَّ بهـا مَجْلِسًـا للشِـيُوْخِ[٢٢٧] وأنَّ عِنْـدَنا (كَثِيـرًا مِـنْ) القَنَاصِـلَةِ يُمْكِنُنَـا عَـدُهم، والعِدَيـدَ مِـنَ التَمَاثِيْـلِ، ووَفَـرَةً مِـنَ البَضَـائِعِ، وأنَّ لهـا مَوْقِعًـا (جُغْرَافِيًـا) مُنَاسِـبًا، إنَّمـا لأنَّ لهـا شَـعْبًا مُحِبًـا للإنْصِـاتِ (لكَلِمَـةِ الـوَعْظِ)، وكَنَـائِسُ اللهِ مُمْتَلَئَـةٌ، والكَنِيْسَـةُ تَتَمَتَـعُ يَوْمِيًـا بِالعِظَـاتِ التَـي تَتَـدَفْقُ بَسْـرُوْرٍ وأَشْـوَاقٍ لا تَشْـبَعُ أَبَـدًا، إذ أنَّ الإعْجَـابَ بالمِدِيْنِـةِ لا يِكُـوْنُ بِمَبَانِيْهـا المُشَـيَّدَةِ بـل بِسُـكَانِها، فَـلا

---

[٢٢٧] باليونانية: σύγκλητον

تَقُلْ لِي أنَّ مَدِيْنَةَ رَوْمَا أَكَبَرُ فِيْ حِجْمِها، بَلْ أرِنِي هُنَاك شَعْبًا مَثَلَ هَذا مُحِبًا للإنصاتِ (للوَعْظِ). لأنَّ سَدُوْمَ كَانَ لَها أبْرَاجٌ، بيْنَما إبْرِاهِيْمُ كَانَ يَمْلِكُ كُوَخًا، ولَكِنْ عِنْدَما جَاءَتِ المِلائِكَةُ تَخَطَتْ سَدوْمَ وأقامَتْ في الكُوْخِ، لأنَّه لَمْ تَكُنْ تَبْحَثُ عَنْ رَوْعَةِ المَنَازِلِ بَلِ عَنْ الفَضِيلةِ وجَمَالِ النَفْسِ، وهَكَذا أيْضًا كَانَتْ بَرِّيَةُ يُوحُنَا (المَعْمِدَان) عَلَى عَكْسِ مَدِيْنَةِ هِيُرْودُسَ، لِذَلِكَ كَانَتِ البَرِيَةُ أكَثَرَ رَوْعةً مِنِ المَدِيْنَةِ.

فَلِمَاذا إذَنْ؟ لأنَّ النُبُوْءةَ لا تُوْجَدُ فِي المَبَانِي المُشَيَّدَةِ. وأقُولُ هَذا حَتَّى لا نَمْتَدِحَ مَدِيْنَةً تُنْقَضُ إلَى أطْلالٍ، لأنَّكَ تَذْكُرُ لِي مَبَانِي مُشَيَّدَةً وعَمْدَانًا، فَهَذِهِ تُنْقَضُ مَعَ تِلْكَ هُنَا فِي هَذِهِ الحَيَاةِ. أدْخُلْ إلَى الكَنِيْسَةِ وأنْظَرْ أدَبَ ونُبْلَ المَدِينَةِ، أدْخَلْ إلَى الَدَاخِلِ وأنْظُرِ الفُقُرَاءَ يَبْقُوْنَ هُنَاكَ مِنْ مُنْتَصَفِ اللَيلِ حَتَّى مَطْلِعِ الفَجَرِ، أنْظُرِ الكَهَنَةَ فِي اللَيَالي المُتَأخِرَةِ يُوَاصَلُونَ

النَهَــارِ باللَيِــلِ، أَنْظُــرْ شَــعْبًا مُحِبًــا للمَسِــيْحِ،[٢٢٨]، فَــلا يَخْشَــى مَــنْ وَطْــأَةِ الجُــوْعِ نَهَــارًا، ولا مِــنْ طُغْيِــانِ النُعَــاسِ لِـيْلاً. مَدِيْنَــةٌ عَظِيْمَــةٌ وعَاصِـمَةُ المَسْـكُوْنَةِ، فَكَـم مِـنْ أُسْـقُفٍ، وكَـمْ مِـنْ مُعْلِـمٍ، قَـد أَتُـوا هُنَـا بَعْـدَمَا تَعَلَمُـوا دُرُوْسًــا مِــنْ شَــعْبِها، يَرْحَلَــون مُسْــتَعِدِينَ أنْ يَنْقِلُــوا الغَــرْسِ والنَــامُوْسَ الفِطْــرِي (لِهَــذَا الشَــعْبِ) فِــي مَكَــانٍ أَخَــــر، وإِنْ ذَكَــرْتَ لَــــي الامْتِيَــــازَاتِ[٢٢٩] والأَمْــــوَالَ الطَائلَــةَ، فَإِنَّــك كَمَــنْ يَمْــدَحُ الشَــجَرَةَ بِسَــبَبِ أَوْرَاقِهــا ولــيس ثِمَارِهــا، أَقْــوْلُ هَــذَا لَــيسَ لَكَــي أَتَمَلَــقَ مَحَبَــتَكم، بَــلَ لَكــي أُعْلِــنَ فَضِــيْلَتَكم، فَــأنَّني مُطَــوَّبٌ بِسَــبَبِكم كَمِــا أَنَّكــم مُطَوَّبُــون بِسِــبَبِ أَنْفُسِــكم، "طَــوْبَي لِمَــن يَتَحَــدْثُ فِــي أُذُنِ مَــنْ يَنْصِــتُونَ"[٢٣٠] وهَكَــذا فَقَــد صَــرْتُ مُطَوَّبًــا، "طـــوبَى لِلْجِيَـــاعِ وَالْعِطَـــاشِ إِلَـــى الْبِـــرِّ لأَنَّهُـــمْ

---

[٢٢٨] أُنْظُرْ شعبًا مُحِبًا للمسيح: بحسب النص المحقق في SC فلا وجود لها في النص التقليدي *PG*.

[٢٢٩] باليونانية: ἀξιώματα

[٢٣٠] أنظر يشوع بن سيراخ ٢٥: ١٢

يُشْـبَعُونَ."[٢٣١] هَـلْ رَأَيْـتُم كَيْـفَ صِـرْتم مُطَـوَّبين بَسَـبَبِ أَنْفُسِـكُم؟ فَطُـوْبَى للرَجُـلِ الـذِي يَشْـتَاقُ للأَحَادِيْـثِ الرُوُحِيـةِ، وهَـذَا مِـا يُمَيِزُنـا عَـنِ الحَيوانَـاتِ العَجْمَـاءِ ، فالمَسْـأَلَةُ ليَسْـتْ بِتَشَـابُهِ الجَسَـدِ بِيْنَهَمـا[٢٣٢]، ولَيْسَـتْ فِـي أَنَّنـا نَأَكُـلُ ونَشْـرَبُ، أو أَنَّنـا نَتَـرَيْضُ، ولا أَنَّنـا نَعِـيِشُ، فَكُـلِ هِـذِه جَمِيْعًـا نَشْـتَرِكُ فَيْهـا مَـعَ الحَيَوانَـاتِ العَجْمَـاءِ، ولَكِـنْ فَـي مَـاذَا يَخْتَلَـفُ الإَنْسَـانُ عَـنْ هَـذِهِ الحَيَوانَـاتِ؟ يَخْتَلِـفُ فَيْمَـا يُخَـصُ النُطْـقَ العَاقَـلَ، لِـذَلِكَ فَـإِنَّ الإَنْسِـانَ حَيَـوَانٌ نَـاطِقٌ (عَاقَـلٌ)[٢٣٣]، لأَنَّـهُ كَمَـا تَتَغَـذَى الأَجْسِـادُ كَـذَلَكَ تَتَغَـذَى الَـنَفْسُ، غَيْـرَ أَنَّ الجَسَـدَ يَتَغَـذَى بَـالخُبْزِ أَمَّـا الـنَفْسُ فَتَتَغَـذَى بِالكَلِمَـةِ. فِـإِنْ رَأَيْـتَ إِنْسَـانًا يَأَكُـلُ الحِجَـارِةَ، فَهْـلْ سَـتَقْدِرُ أَنْ تَـدَعِي أَنَّـه إِنْسَـانٌ؟ هَكَـذا

---

[٢٣١] مت ٥: ٦

[٢٣٢] باليونانية: ἡ τοῦ σώματος ἀναλογία والمَقْصَودُ أَنَّ التَمْيِيْزَ بَيْنَ الإِنْسَانِ والحَيَوَانِ غَيْرُ مُتَعَلقٍ فَقَطْ بِامْتِلاَكِهِما ذَاتَ الجَسَدِ.

[٢٣٣] الكَلَمَةُ حَيَوانٌ هِنا تَعْنِي كَائِنًا حَيًا ζῶόν ، وكَلَمَةُ λογικὸν تَعْنِي: نُطْقًا وعَقْلاً معًا، وفي هذه الفقرة يَتَلاعَبُ القَدِيْسُ يَوحَنا بَالمَعْنَي المُزْدَوَجِ لِهذِه الكَلمِةِ.

أيْضًــا فَــإنْ رَأيْتَــهُ لا يَتَغــذَى بِالكَلِمَــةِ إنّمــا بالهَمَجِيَــةِ[٢٣٤]، فِسـوْفَ تَقـوْلُ إنَّــه قـدْ فَقَـدَ إنْسَــانِيَتَهُ، لأنَّ التنشِــئَةَ تُظْهِــرُ الأَصَلَ الشَرِيْفَ [٢٣٥] للإِنْسَانِ.

لأنَّ مَســرَحَنا مُمْتَلــئٌ، وعِنْــدَنا أيْضَــا بَحْــرٌ، تَــرْتَطَمُ أَمَوَاجُــهُ وَهَــوَ مُمْتَلَــئٌ سَــكِيْنَةً، وأيْضًــا المُحِــيطُ عَاصِــفٌ، وهَــادِئٌ، فَلنَــدْخُلْ ونَشّــدِ السَــفِيْنَةَ، ولَنَفْــتَحْ بَــدَلاً مَــنِ الشِــراعِ اللِسَــانَ ، وبَــدِلاً مَــنِ أنْ نَــدْعُو الرِيَــاحَ الغَرْبِيَّــةَ، نَــدْعُوُ نِعْمَــةَ الــرَوْحِ القَــدُسِ، بِـدِلاً مِــنْ إسْـتِخْدامِ ذِرَاعِ الدَفَــةِ نَســتخْدِمُ دَفَــةَ الصَــلِيبِ[٢٣٦]، إنَّــهَ البَحْــرَ بَــهُ مَــاءٌ مَــاَلَحٌ أمَّــا هُنَــا فَيَوْجَــدُ المَــاءُ الحَــي، هُنَــاكَ يُوْجَــدُ الحَيَوانَــاتُ العَجْمَــاءُ، بِيْنَمــا هُنَــا أَنْفُــسٌ عَاقِلَــةٌ، هَنَــاكَ يَبحَــرِون إلَــى المِرْسَــاةِ مِــنَ البَحْــرِ إلَــي البَــرِ، بَينَمــا هُنَــا

---

[٢٣٤] العبارة باليونانية: μὴ λόγῳ τρεφόμενον, ἀλλ' ἀλογίᾳ, وهُنَا يَعْمَلُ القِدِيْسُ تَضَادًا بَيْنَ λόγῳ التِي تَعْنِي كَلِمَةً أو مَنطِقًا و ἀλογίᾳ التِي تَعْنِي: عَدمَ الكَلاَمِ غِيَابُ المَنْطِقُ، حَمَاقَةٌ، لا عَقْلاَنَيَةٌ، هَمَجِيَةٌ. يُمْكِنُ أنْ تُتَرْجَمَ العَبَارَةُ: "لا يَتَغَذَى بَالكَلمَةَ بلْ بِالصَمْتِ" كما في الترجمة الإنجليزية والفرنسية في SC .

[٢٣٥] الكلمة اليونانية τὴν εὐγένειαν تعني أدب أو سمو المنشأ nobility of birth.

[٢٣٦] حَرْفِيًا : نَسْتَخْدَمُ الصَلَيْبَ كَرُبَانٍ.

كُلُّ مَن يَبْحُرُون مِنَ الأرْضِ تَكُوْنُ مِرْسَاتُهم فِي السَمَاءِ، هُنَاكَ تُوْجَدُ السُفُنُ أمَّا هُنَا فَتُوْجَدُ العَظَاتُ الرُوْحِيَةُ، هُنَاكَ الشِرَاعُ أمَّا هُنَا اللِسَانُ (لُغَةُ الكَلاَمِ)، هُنَاكَ هُبُوبُ الرِيَاحِ الغَرْبِيَةِ، بَينَما هُنَا انسِكَابُ الرُوْحِ، هُنَاكَ الرُبَانُ هُوَ الإنْسَانُ بَينَما هُنَا الرُبَانُ هُوَ المَسِيحُ، لِذَلِكَ فَالسَفِينَةُ تَعْصِفُ بِهَا الأَمْوَاجُ ولَكِنَّها لا تَغْرقُ، وكَانَ بِالإمْكَانِ أنْ تَنْتَقِلَ لِلإبْحَارِ بِهُدُوءٍ (فِي طَقْسٍ مُخْتَلِفٍ)، غَيْرَ أنَّ الرُبَانَ لا يَسْمَحُ بِذَلِكِ، حَتَّى يَرَى صَبْرَ أُوَلئِكَ الذِينَ يُبْحِرُوْن ويَتَحقَقُ جَيدًا مِنْ تَعقُلِ الرُبَانِ.

حَدِيْثٌ عَنِ الكَنِيْسَةِ وصُمُوْدِها أَمَامَ الطُغَاةِ

٢- فلِيَنْصِتِ اليُونَانِيُون، ولِيَسْتَمِعِ اليَهُودُ لإنْجَازَاتِنَا ولِسُلْطَانِ الكَنِيْسَةِ، فَكَمْ مِنَ النَاسِ قَدْ حَارَبُوا الكَنِيْسَةَ، ولا أَحَدًا مِنْهم إنْتَصَرَ عَلَيْها؟ كَمْ مِنَ الطُغَاةِ، كَمْ مِنَ الوُلاَةِ؟ كَمْ مِنَ المُلُوْكِ، أَغْسطُس، طِيْبَارِيُوس، غَايُوْس، كُلُوْدْيُوس، نَيْرُوْن، أُنَاسٌ مَشْهُوْرُونَ بَالخَطَابَةِ والبَلاَغَةِ وأَقْوِيَاءٌ قَدْ

حَارَبُوْهَـا بَشِـدَةٍ، وهَـي لَـمَ تَـزَلْ حَدِيْثَـةَ العَهْـدِ، ولَـمْ يَسْـتَطِيْعُوْا اقْتِلاعَهـا، وهَـؤُلاَءُ الـذِين حَارَبُوْهـا سَـادَ عَلَـيْهم الصَـمْتُ وذَهَبُـوا فَـي طَـيّ النَسْـيانِ، أمَّـا هِـيَ فبِـالرغْمِ مِـنْ أنَّهـا قَـدْ خُرِبَـتْ إلا أنّهـا اَرْتَفَعَـتْ فَـوْقَ السَـمَاءِ. اَرْجَـوْكَ، ألا تَـرَى! فَالكَنِيْسَـةُ مَوْجُـوْدَةٌ عَلَـى الأَرضِ ولَكِـنَّ حَيَاتَهـا فَـي السَـمَاءِ. ولَكِـنَّ أَيـنَ يَظْهَـرُ هَـذَا؟ يَظْهَـرُ ذَلَـكَ مَـنْ سَـرْدِ الأَحَـدَاثِ، فَقَـدْ حَـارَبُوا اَثْنَـيّ عَشْـرَ تِلْمِيـذًا، فَالمَسَـكونَةُ بِأَسَـرِها قَـدْ حَـارَبَتْهم، ولَكَـنَّ هَـؤُلاَءَ الاَثْنَـيّ عَشَـرَ قَـدْ اَنْتَصَـرُوا، وأَوَلِئَـكَ الـذَينَ حَـارَبُوْهُم قَـدْ مُحِيَـوا مِـنِ الوُجُـوْدِ. فَـالحِمْلانُ قَـدْ اِنْتَصَـرَتْ عَلَـى الـذِئَابَ، أَرَأَيْـتَ رَاعَيًـا يُرْسِـلَ حَمْلاَنًـا فِـي وِسِـطِ الِـذِئَابِ؟ حَتَّـى أنّهـم ولّـوْ هَرَبُـوا فَلَـنْ يَسَـتَطِيعَوا النَجَـاةَ؟ فَـأَيُ رَاعٍ قَـدْ عَمَـلَ هَـذَا؟ إِنَّـهُ المَسِـيْحُ الـذَي قَـدْ فَعَلَهـا. لَكَـي يُبَّـيْنَ لَـكَ كَيْـفَ أنَّ الإنْجَـازَاتِ لاَ تَصِـيْرُ بِالتَسَلْسُـلِ الطِبيْعِـي للأُمُـوُرِ، ولَكِـنْ بِشِـكِلٍ يَفُـوْقُ الطَبِيْعَـةَ وتَسَلسُـلَ الأَمُـوْرِ، لأنَّ الكَنِيْسَةَ جُذُوْرُها بِالحَرِي فِي السَمَاءِ.

الكَنِيسَةُ أَعظَمُ مَنِ السَمَاءِ.

ولَكَــنَّ رَبَّمَــا يَتْهمُنِــي اليُوْنَــانِي[٢٣٧] بَــالهُرَاءِ. فلينتظِـرْ سَـرْدَ الأَحَـدَاثِ، حَتَّـى يَعْلَـمَ قُـوَةَ الحَـقِ، أنَّـه مَـنِ الأَسْـهَلِ أنْ تَنْطَفِــيءَ الشَـمْسُ عَــنْ أنْ تَــزُوْلَ الكَنيْسَــةُ. وإنْ قَــالَ : مَــنْ ذَا الَــذِي يُكَــرِزُ بَــذَلَكَ؟ (فَأُجِيْــبُ) ذَاكَ الَــذِي أَسَسَــها. "اَلسَّــمَاءُ وَالأَرْضُ تَــزُولاَنِ وَلكِــنَّ كَلاَمِــي لاَ يَــزُولُ."[٢٣٨] وهَـذَا لَـمْ يَقُلْـهُ فَقَـطْ بَـلَ قَـدْ تَمَمَــهُ. **فَلَمَــاذَا إِذَنْ قَــدْ أَسَــسَ الكَنِيْسَــةَ أَعْظَــمَ مَــنْ السَــمَاءِ؟ لأنَّهــا مكرمــةُ أكثــر[٢٣٩] مَــنِ السَــمَاءِ. لَمَــاذَا تُوْجَــدُ السَــمَاءُ؟ لأَجَــلَ الكَنِيْسَــةِ ولَــيَسَ الكَنِيْسَــةُ لأَجْــلِ السَــمَاءِ. والسَــمَاءُ قَــدْ صَــارَتْ لأَجْـلِ الإِنْسَــانِ ولَــيسَ الإَنِسَــانُ لأَجْـلِ السَـمَاءِ، وهَـذَا أمْـرٌ وَاضِــحٌ مَــنْ كُــلِّ مَــا فَعَلَــهُ (المُخَلِــصُ). لأنَّ المَسِــيْحَ لَــمْ يَتَخْــذْ جَسَــدًا سَمَاوِيًا.**

---

[٢٣٧] المقصود باليوناني ὁ Ἕλλην الشخص الوثني.

[٢٣٨] مت ٢٤: ٣٥

[٢٣٩] التعبير باليونانية τιμιωτέρα

مَائِدَةُ الكَلِمَةِ الفَاخِرَةِ!

ولِكَــي لاَ نُطنِــبَ فَــي الحَـدِيثِ كَثِيــرًا ونَرحَــلَ اليَــوَمَ أيَضًــا ونَحـنُ مَـدْيُوْنُون لَكُـم ـ لأنَــي أعْـرَفُ مَـا قَـدْ وَعَـدْتُكُم بِـهِ بِـالأَمِسِ- فِلنُحَـاوْلْ أنْ نُتمِمَـهُ، لأنَّنـي قَـدْ أَرْجَـأتُ الحَـدِيْث بِسَـبَبِ غِيَـابِ الـبَعْضِ، فَطَالَمَـا قَـدْ أوْفَـى الغَـائبُون بَـوَاجِبِهم، وبِحُضُـوْرِهم قَـدِ أنْعَمُـوا عَلَيْنَـا بَمَائَـدَةٍ مُمْتَلِئَـةً وفـاخِرَةً، تَعَـالَ الآنَ لَنُقَـدِمِ الطَعَـامَ الشَـهِي، وَهـوَ شَـهِيٌّ غَيْـرُ تَـالَفٍ، لأنَّـهُ وإنْ كَـانَ الطَعَـامُ مِـنَ الأمْـسِ فَهْـوَ لَـيْس تَالَفًـا، لأنَّـه لَـيْسَ لُحُوْمًـا حَتـيَ يَفْسَـدَ، ولَكِنَّـهُ مَعَـانٍ تَزْدَهَـرُ بِاسْـتِمْرارٍ، فَلِمَـاذا يَـا تُـرَى؟ لأنَّ اللُحُـوْمَ تَتْلَـفُ (تُبَـادُ) لأنَّهـا أَجْسَـادٌ، ولَكِـنَّ المَعَـانِي تَبقَـى، بَـلْ ويَبْقَـى عِطْرُهـا فَوَّاحًـا. فِمَـا هَـي الأُمُـوْرُ التِـي قَـدْ حَـدَّثْتُكم بِهـا البَارِحَـةِ؟ لأنَّنـا قَـدِ اِسْـتَمْتَعْنا البَارِحَـةَ بَالمَائَـدَةِ والغَـائَبَونَ لَـنْ يُصَـابَوا بَـأيِ ضَرَرٍ.

كرامة الزواج

: «فِـي سَـنَةِ وَفَـاةِ عُزِّيَـا الْمَلِـكِ، رَأَيْـتُ السَّـيِّدَ

جَالِسًا عَلَى كُرْسِيٍّ عَالٍ وَمُرْتَفِعٍ، وَأَذْيَالُهُ تَمْلأُ الْهَيْكَلَ»[٢٤٠] فَمَنْ قَالَ هَذا؟ إِنَّه إِشِعْياءُ الذِي رَأَى السَّرَافِيمَ، الذَي اَخْتَبَرَ الزَوَاجَ ولَمْ يَفْقِدِ النَعْمَةَ. لَقَدْ اِنْتَبِهْتُم لَنَبِي وقَدْ سَمِعْتُم النَبَيَّ اليَوَمَ: اخْرُجْ أَنْتَ وَشَآرَ يَاشُوبَ ابْنُكَ[٢٤١] أَنَّهُ لِمْنِ الضَرُورِي أَلا نَتَجَاوَزَ هَذَا (القَوْلَ) : "أُخْرُجْ أَنَتَ وابْنُكَ" هَلْ كَانَ لَنِبِيٍّ ابْنٌ؟ إِذَنْ فَإِنْ كَانَ لَهُ ابْنٌ، فَلَهَ زَوْجَةٌ، حَتَّى تَعْلَمَ أنَّ الزَوَاجَ لَيْسَ شَرًا ولَكْنَّ الزِنَا هَوَ الشَرُ. ولَكِنَّ عَنْدِما نَتَحَدَثُ مَعَ كَثِيرين، ونَقُوْلُ لَهُم: لَمَاذا لا تَحْيَا بَاسْتَقَامَةٍ، لِمَاذا لا تَعِيْشُ بِحَياةِ التَدْقِيْقِ؟ فَيَقُولُ: لا أَسْتَطِيْعُ، طَالَمَا أَنَّنِي لا أَتَخَلَى عَنْ زَوْجَتي، ولا عَنْ أُوْلاَدِي، ولا أَتَخَلَى عَنْ أَمْلاَكِي! فَما هُوَ السَبَبُ؟ هَلْ الزَوَاجُ عَائَقٌ؟ فَالمَرْأَةُ قَدْ أُعْطِيَتْ لَك كَمُعِينٍ ولَيسَ كَعَدُوٍ، أَلَمْ يَكَنْ للنَبِي زَوْجَةٌ؟ ولَمْ يَصِرِ الزَوَاجُ عَائِقًا للرُوْحِ القُدُسِ، بَلْ

---

[٢٤٠] أش ٦: ١

[٢٤١] أنظر أش ٧: ٣

كَـــانَ يُمَـــارِسُ العِلاَقَـــةَ الزَوْجِيْـــةَ مَـــعَ امْرَأَتِـــهِ[٢٤٢] بَيْنَمـــا كَـــانَ نَبِيًّـــا. أَلَـــمْ يَكُـــنْ لمَوْسَـــى زَوْجَـــةٌ؟ وشَـــقَّ الصُـــخُوْرَ وغَيْـــرَ إتِّجَـــاهَ الرِيَـــاحِ، وقَـــدْ كَـــانَ يَتَحَـــدَثُ مَـــعَ اللهِ، والغَضَـــبُ الـــذِي كَـــانَ يُرْسِـــلُه اللهُ كَـــانَ مُوسَـــى (بِصِـــلاتِه) يُبْطِلُـــهُ. وإبْـــرَاهِيْمُ أَلَـــمْ يَكُـــنْ لَـــهَ زَوْجَـــةٌ؟ أَلَـــمْ يَصِـــرْ أَبًـــا لأُمَـــمٍ كَثِيْـــرَةٍ وللكَنِيسَـــةِ، أَلَـــمْ يَكُـــنْ لَـــهَ ابِـــنٌ هُـــوَ إسْـــحَاقُ الـــذِي صَـــارَ لَـــهُ بَسَـــبَبِ تَقْـــوَاهُ؟ أَلَـــمْ يُقَـــدِمِ ابْنَـــهُ، الـــذِي صَـــارِ ثَمِـــرَةَ زَوَاجِـــهِ؟ أَلَـــمَ يَصَـــرْ أَبًـــا ومُحِبًّـــا للهِ[٢٤٣] (فـــي نَفْـــسِ الوقِـــتِ)؟ أَكَـــانِ مِـــنَ المُمْكِـــنِ أنْ نَـــرَى شَخْصًـــا وهَـــوَ يَصِـــيْرُ كَاهِنًـــا مِـــنْ أَحْشَـــائِهُ (بِتَقْـــدِيْمِ ابْنِـــهُ ذَبِيْحَـــةً)[٢٤٤]؟ كَاهِنًـــا وأَبًـــا؟ طَبْيعَـــةً مَهْزُوْمَـــةً، وتَقْـــوَى لَهَـــا السِـــيادَةُ،[٢٤٥] أَحْشَـــاءٌ يُـــدَاسَ عَلَيْهـــا وأَعْمَـــالُ التَقْـــوَى

---

[٢٤٢] التَعبِيْرَ باليونَانِيَةُ : ὡμίλει τῇ γυναικὶ ، أيُ "كَانَ يَتْصَلُ بِزَوْجَتَهُ".

[٢٤٣] مُحِبًا لله : φιλόθεος

[٢٤٤] "صَارِ كَاهِنًا مِنْ أحِشَائِهُ" صُوْرَةٌ بَلاغِيَةٌ يُقَدِمُهَا القِدِيْسُ يُوحَنا ذَهَبِيُ الفَمِ، عَنْ تَقْدِيْمِ إبْرَاهِيْمَ ابْنِهُ إسْحَاقَ– فَلْذَةِ كَبِدِهَ- ذَبِيْحَةً.

[٢٤٥] التعبير باليونانية : φύσιν νικωμένην καὶ εὐλάβειαν κρατοῦσαν، وهو كِنَايَةٌ عَنْ أنَّ إبْرَاهِيْمَ قد هَزَمَ غَرِيْزَةَ الأُبُوَةِ بِتَقْوَاهُ.

تَنْتَصَـــرُ، الأُبُــوَةُ تَــذُوْبُ ومَحَبَــةُ اللهِ مُكَلَلَــةٌ! أَلِـمْ تَـرَ كُـلَّ مَحَبَتِهِ لابْنِهِ وللهِ (مِعًا)، فَهَلْ مَنَعَهُ الزَوَاجُ؟

المَرْأَةُ المَكَابِيَةُ نَمَوْذَجٌ للزَوْجَةِ الصَالَحْةِ.

ومَــاذَا أَيْضًــا عَــنْ اِمْــرَأَةِ المَكَــابِيِينَ[٢٤٦]؟ أَلَــمْ تَكَــنِ اِمْــرَأَةً؟ أَلَــمْ تُقَــدِمْ أَبْنَاءَهَــا السَــبْعَةَ إِلَــى مَصَــافِ القِدِيْسِــيْن؟ أَلِــمْ تَــرَهم وهَــمْ يِسْتِشِــهِدُون؟ أَلَــمْ تَقِــفْ مِثْــلَ الجَبَــلِ دَوْنَ أنْ تَهْتَــزَ؟ أَلَــمْ تَقِــفْ بِجِــوَارِ كَــلِّ واحِــدٍ مَــنْ هَــؤُلاَءِ الشُــهَدَاءِ، وهَــيَّ أمُ الشُــهَدَاءِ، بَــلِ أَلَــمْ تَستَشِــهِدْ هِــي سَــبَعَ مَــرَاتٍ؟ لأنَــهُ عِنْــدَما كَــانَ يُعَــذَبُ هَــؤُلاَءُ كَانَــتْ هَــيَّ التَــي تَشْــعُرُ بِالجَرَاحَــاتِ، إذْ أنَــهُ لَــمْ تَكَــنْ تَقْبَــلْ مَــا يَحْــدُثُ لَهُــم بَــلاَ أَلَــمٍ، بَــلْ لأنَّ اِزْدِراءَهَــا الطَبِيْعَــةِ قَــدْ أَظْهَــرَ قُوَتَهــا[٢٤٧]، ومِــعِ ذِلِــكْ لِــمْ تِتِقِهْقِــرْ. لِقْــدْ كَانَــتْ مَثْــلَ بَحْــرٍ وأَمْــوَاجٍ، ومَثْلَمــا يَهْــدَأُ البَحَــرُ المُضْــطَرَبُ، هَكَــذَا فَــإَنَّ طَبِيْعَتَهــا المُنْفَعِلَــةَ قَــدْ تَــمَ ضُــبْطُها بَوَاسَــطَةِ مَخَافَــةِ

[٢٤٦] أنظر ٢ مكا ٧: ١-٤٢

[٢٤٧] أي أنَ الألَمَ كَانَ يَعْتَصَرُها وهَي تُتَابِعُ تَعْذِيْبَ أوْلاَدِها وقَتْلِهِم ولَكِنَّ اِرْتِفَاعَها عَنْ طَبِيْعِةِ البِشَرْيِةِ هُوِ الذِي جِعَلَها تتَقَبَلُ ذَلَك.

اللهِ، فكيف ربت أولادها؟ كيف قامت بتنشئتهم؟ كيف قدمت للهِ سبعة هياكل؟ وكأنها تماثيل من ذهب، بل وأعظم قيمة من الذهب!

٣- فالذهب ليس مثل هذا، ليس مثل نفس الشهداء، فالطاغية قد قام ورحل مهزوما من امرأة، ذاك كان يحاصر بالأسلحة وهذه قد انتصرت بتأهبها، ذاك كان يشعل الأتون وهذه قد أشعلت فضيلة الروح، فذاك كان يحفز القوات أما هذه فانتقلت إلى الملائكة، كانت تنظر لأسفل لترى الطاغية، وتفكر في الملك السماوي، فكانت تنظر العذاب الأرضي وأيضا تحسب المكافأة السماوية، كانت تنظر هنا الجحيم الحاضر وتتطلع إلى الخلود الآتي، لذلك فبولس يقول " ونحن غير ناظرين إلى الأشياء التي ترى، بل إلى التي لا ترى."[٢٤٨] ألعل الزواج كان عائقا لها؟

[٢٤٨] ٢كو ٤: ١٨

القِدِيْسُ بُطْرُسُ كَانَ رَجَلاً مُتَزوِجًا

فَمَـــاذَا فَعَـــلَ بُطْـــرَسُ أَسَـــاسُ الكَنِيْسَـــةِ[٢٤٩]، العَاشِــقُ بَهَـوَسِ المَسِـيْحَ، الـذِي لَـمْ يَـدْرِسِ البَلاَغَـةِ، وقَـدِ إِنْتِصِــرَ عَلَــى الخُطَبَــاءِ، غَيْــرُ المَــتَعَلِمِ الــذِي سَــدَّ أَفْــوَاهَ الفَلاَسِــفَةِ، ذَاَكَ الــذِي مَــزَّقَ العِبَــادِةَ اليُوْنَانِيَــةَ كَمِثْــلِ خُيُــوْطِ العَنْكَبُــوتِ، الــذِي جَــالَ فَــي المَسْــكُوْنَةِ بِأَسْــرِها، فَــتَنَ البَحْــرَ (أيَ العَــالَمَ) وصَــادَ المَسْــكَوْنَةَ، أَلَــمْ تَكُــنْ لَــهُ هُــوَ أيضَــا زَوْجَــةٌ؟ بَلَــى كَانَــتْ لَــهَ، إِسْــتَمِعِ لِقَــوْلِ البَشِــيْرِ: "إن يسـوعَ قـد آتـى إلـي حَمَـاةِ بُطْـرسَ التـي قـد إِعْتَرَتْهـا حُمــى"[٢٥٠]، فَطَالَمَــا كَانَــتْ هَنَــاكَ حَمَــاةٌ فَبِالتَــالِي كَانَــتْ لَــه زَوْجَــةٌ، وكَــذَلَكَ يُوْجَــدُ زَوَاجٌ، ومَــاذَا عَــنْ فيلَــبُسَ؟ أَلَــمْ تَكُــنْ لَــهَ أَرْبَــعُ بَنَــاتٍ، وبَالتَــالِي هُنَــاكَ زَوْجَــةٌ وزَوَاجٌ.

---

[٢٤٩] التَعْبِيْرُ بِاليُونَانِيَةِ هو ἡ κρηπὶς τῆς Ἐκκλησίας، وهذا التَعْبِيْرُ لِيْسَ مِنْ وَضَعِ القِدِيْسِ يُوْحنَا بَلْ مِنْ مُحَررِ هِذِه العِظَةِ، راجِعْ دِراسِتِنا عَنْ هَذَا التَعْبِيْرِ فِي المُقَدِمَةِ.

[٢٥٠] راجع مر ١: ٣٠ و لو ٤: ٣٨

السيد المسيح كرَّمَ الزواجَ في عُرْسِ قانا الجليل

ومَـــاذَا عَـــنْ المَسَـــيْحِ؟ فَقِـــدْ وُلِـــدَ مَـــنْ عَـــذْرِاءٍ ولَكَـــنْ ذَهَـــبَ إلَـــي عُـــرسٍ وقَـــدَّمَ هَدِيَـــةً[٢٥١] لأَنَّـــهُ قَيْـــلَ: "لَـــيْسِ عِنْـــدَهَم خَمْـــرٌ"[٢٥٢] فَحَـــوَّلَ المَـــاءَ خمْـــرًا، مُكرِمًـــا مَـــعَ البَتْولِيـــةِ الـــزِواجَ، فَبِهَـــذِهِ العَطِيَـــةِ قَـــدْ جَعَـــلَ حَـــدَثَ العُـــرْسِ مَوْضِـــعَ اِحْتِـــرَامٍ، كَـــيّ لا تُـــبْغِضَ الـــزَواجَ بَـــلْ لِتْكـــرَهَ الزِنَـــا، ومَـــنْ وَاقِـــعِ مَسْـــئُوْلِيَتِي أَضْـــمَنُ لَـــكَ الخَلاَصَ إنْ كَانَ لَكَ زَوْجَةٌ.

نَمَاذَجُ لَنَسَاءٍ صَالَحَاتٍ وطَالِحَاتٍ

اَنتَبِـــهْ لِـــذَلِكَ، فَـــالمَرْأَةُ إنْ كَانَـــتْ صَـــالَحَةً فَهَـــيَّ مُعِـــيْنٌ لَـــكَ، ولَكَـــنَّ مَـــا هَـــيَّ الحَـــالُ إنْ لِـــمْ تَكَـــنْ صَـــالَحَةً؟ اِجْعَلْهـــا صَـــالَحَةً، أَلعَلَـــهُ لَـــمِ تُوْجَـــدْ نِسِـــاءُ صَـــالَحَاتُ وطَالَحَـــاتُ، حَتَّـــى لاَ يُكْـــونَ لَـــكِ عُـــذْرٌ؟ فَمِـــنْ أِي نَـــوْعٍ كَانَـــتْ زَوْجَـــةُ أَيُّـــوْبَ ؟ أَمَـــا سَـــارَةُ فَكَانَـــتْ صَـــالِحَةً. سَـــأُرِيْكَ اَمْـــرَأَةً شَـــرِيْرَةَ ودَنِيْئـــةً. أَلَـــمْ تُـــؤْذِ إمْـــرأةُ أَيُـــوب

---

[٢٥١] هدية أو عطية δῶρον، والمقصود تحويله الماء لخمر.

[٢٥٢] راجع يو ٢: ٣

رَجُلَهَا؟ فقد كَانَتْ شَرِيْرَةً وخَسِيسَةً إذ نَصَحَتْهُ بِأَنْ يُجَدِّفَ، فَمَاذَا فَعَلَتْ؟ هَلْ هَزَّتِ البَرْجَ؟ هَلْ أَطَاحَتْ بِالمَاسِ عَلَى الأَرضِ؟ هَلْ هَزَمَتِ الصَخْرَةَ؟ هَلْ جَرَحَتِ الجُنْدِي؟ هَلْ ثَقَبَتِ السَفِيْنَةَ؟ هَلْ قَلَعَتِ الشَجِرَةَ؟ لَمْ يَحِدُثْ أَيُ شَيِئٍ مِنْ هَذا، فَتَلَكَ قَدْ تَحَطَمَتْ ولَكِنَّ البُرُجَ صَارَ أَكْثَرَ ثَبَاتًا، هَيَّ هَيَجَتِ الأَمْوَاجَ ولَكِنَّ السَفِيْنَةَ لَمْ تَغْرَقْ، بَلْ أَبْحَرَتْ مَعَ الرَيَاحِ الهَادِئَةِ، فَقَدْ قُطِفَتِ الثَمَرَةُ والشَجَرَةُ لَمْ تَتَزَحْزَحْ، سَقَطَتْ أَوْرَاقُهَا ولَكِنَّ جُذُوْرَها بَقَتْ ثَابَتَةً، وهَذَا أَقُوْلَه حَتَّي لاَ يِتِذَرِعَ أَحَدٌ بِشِرُوْرِ زَوْجَتِهِ، هَلْ هَيَ شَرِيْرَةٌ؟ فَلتَصَلَحِ مِنْ حَالَهَا، ولَكِنْ يَقُولُ قَائَلٌ : قَدْ أَخْرَجْتِنِي مِنَ الفِرْدِوْسِ. لَكِنْ أيْضًا رَفعَتُكَ إلَى السَمَاوَاتِ، فَلَهَا نَفْسُ الطَبِيْعِةِ بِالتِأكِيْدِ ولَكِنَّ الإِرَادَةَ[٢٥٣] مُخْتَلَفَةٌ، ولَكْنَّ هَلْ كَانَتِ امْرَأَةُ أَيُوْبَ دَنَيْئَةً؟ غَيْرَ أَنَّ سَوْسَنْةَ كَانَتِ صَالَحَةً، هَلْ كَانَتِ

[٢٥٣] الكلمة اليونانية: γνώμη تعني رأي، موافقة، فكر، إرادة. في الترجمة الإنجليزية تُرجمت إرادة will بينما في الفرنسية تُرجمت الفكر la pensée.

المَصَــرِيَةُ فَاسِــقَةٌ[٢٥٤]؟ ولَكِــنَّ سَــارَةً كَانَــتْ عَظَيْمَـــةً، هَــلْ رَأَيْــتَ تَلْــكَ؟ فَــانَظُرْ هَــذِهِ أيضًــا. لأَنَّــه أيَضًــا فَيْمَــا بَــيْنَ الرِجَــالِ بَعَضُــهم أدِنِيَــاءٌ، وبَعَضُــهم جَــدِيْرُون بِالتَقْــدِيْرِ (عُظَمَــاءٌ)، كَــانَ يُوْسِــفُ صَــالَحًا بِينَمــا الشَــيِخَانُ[٢٥٥] كَانَــا فَاسِــقَين، أرَأَيْــتَ فَــي كَــلِّ مَكَــانٍ الشَــرَ والفَضِــيْلَةَ؟ (فَالبَشَــرُ) لا يُــدَانُون بِســبِبِ طَبِيَعَــتِهم (ذَكَــرًا أو أَنَثَــي)، بَــلِ بَأفْكَــارِهم وأفْعَــالِهم يِتِمِيــزُون فِيمَــا بَيْــنَهم، فَهَــل مِــنْ دَاعٍ لِلأعْذَارِ؟

عَلَةُ تَأَرِيْخِ رَوْيَا إشَعْياءَ بِوَفَاةِ المَلَكِ عُزِّيَا.

ولَكِــن دَعُوْنَــا نَعُــوْدُ إلَــي دَيِنِنَــا عَلَــيَكم كَــيْ نُــوْفِي بِــهِ.[٢٥٦] «وحَــدَثَ فِــي سَــنَةِ وَفَــاةِ عُزِّيَــا الْمَلِــكِ»[٢٥٧] سَــوْفَ أَقُــوْلُ لِمــاذَا يَهــتَمُ النَبِــيُّ أنْ يَــذْكَرَ زَمَــانَ الحَــدَثِ،

---

[٢٥٤] المَقصُودَةَ بَالمَصَرِيَةِ هَي امْرَأةُ فَوْطَيِفَارَ (رَاجِعَ تك٣٩: ٧)، فَمَنِ المُسْتَبْعَدُ أنْ يَكَوْنُ المَقْصَوْدُ هَاجَرَ المَصَرَيَةُ.

[٢٥٥] πρεσβύτεροι شَيَوْخٌ، وأغْلَبُ الظَنَ أنَّ المَقْصُوْدَ هَمَا الشَيْخَانُ الوَارَدَانُ فِي قِصَةِ سُوْسِنَةَ التَي أشَارَ إلِيْها.

[٢٥٦] المَقْصَودُ بَالدَيْنَ وَعْدُهُ لَهُم بَالحَدَيْثَ عَنْ عُزِّيَا المَلَكِ.

[٢٥٧] راجع أش ٦: ١

البَارِحَــةَ قَــدْ تَحَــدَثَتْ لِمَــاذَا يُــؤَرِخُ كُـلُّ الأَنبِيَــاءِ زَمَــنِ حَيَــاةِ المُلُــوْكِ، وهَنَــا خُــرُوْجٌ عَــنِ العَــادَةِ، فَهْــوَ لاَ يَقُــوْلُ "فــي أيــام عُزِّيَــا" بــل "عنــد وفــاةِ عُزِّيَــا" وهَــذَا مَــا أُرِيْــدُ إيْضِــاحَهُ اليَــوْمِ، فِــإنْ كِــانَ القَــيْظُ شَــدِيْدًا فَــإِنَّ نَــدَى الكَلِمَــةِ أَعْظَــمُ[٢٥٨]، لأَنَّــهُ إنْ كَــانَ الجَسَــدُ يُقْهَــرُ ويُــوْهَنُ، فَــإنَّ الــنَفْسَ تَزْدَهَــرُ وتَنْبَسِــطُ، فَــلا تُحَــدِثْنِي عَــنِ القَــيْظِ والعَــرَقِ، فَــإِنْ كَــانَ الجَسَــدُ مُصَــبَبًا بَــالعَرَقِ، فَنَظِــفْ نَفسَــكَ. لأنَّ الفِتْيَــةَ الثَلاَثَــةَ كَــانُوْا فِــي أَتُــوْنِ النَــارِ ولَــمْ يُعَــانُوا مِــنْ أَيِ شَــيءٍ، بَــلْ أَنَّ الأَتُــوْنَ قَــدْ تَحَــوَلَ مَثْــلَ نَــدَى، فِعَنَــدَما يَجُــوْلُ بَخَــاطَرِكَ العَــرَقُ، فَتَفَكَــرْ فِــي المُكَافَــأَةِ والجَــزَاءِ، لأَنَّ رَجُــلَ السَــبَاحَةِ لا يَتَجَاسَــرُ أنْ يَغْطَــسَ فِــيْ عُمْــقِ البَحْــرِ لأيِ سَــبِبٍ سِــوَىْ أنَ يَحْصِــلَ عَلَــى الحِجَــارَةِ الكَرِيْمَــةِ، التَــي تُمَثِــلُ دَافْــعَ جِهَــادِهِ، لا أُدِيْــنُ بِالتَأَكِيْــدِ المَــادَةَ، ولَكِــنَّ الفِكْــرَ الفَاسِــقَ، وأَنَــتَ أَيضًــا لَكَــي تَكسَــبَ كِنَــزًا لا يَفْنَــى، وحَتَّــى تَنْبُــتَ كَرْمَــةُ

[٢٥٨] عَلَى مَا يَبْدُو فَإنَّ العَظَةَ قَدْ أُلْقِيَتْ فِي يَوْمٍ شَدِيْدِ الحَرَارَةِ، فَيطَالِبُ القِدِيْسُ ذَهَبِيُ الفَمِ الحُضُوْرَ بِتَحَمَلِ حَرَارَةِ الجَو.

فِـــي نَفْسِـــكَ، أَفَـــلا تَتَحَمْـــلُ القَـــيْظَ، وكَـــذَلَكَ العَـــرَقَ؟ أَلا تَـــرَى أَوْلَئِـــكَ الـــذَينَ يَجْلِسُـــوْن فِـــي المَسَـــارِحِ كَيِـــفَ يَعْرَقُـــون وتَسْـــطَعُ عَلَـــيْهِم أَشِـــعَةُ الشَـــمْسِ وهَـــمْ عُـــرَاةُ الـــرُؤُوْسِ، كَـــيّ يَصْـــيْرُوا سَـــبَايَا للمَـــوْتِ، وحَتَّـــى يَصْـــبِحُونا عَبَيْـــدًا للزَانْيَـــةِ! أُوَلِئِـــكَ يُعَـــانُوْن لأَجْـــلِ هَلاَكِهـــم، وأَنْـــتَ تَتَخَلَـــى عَـــنْ خَلاَصِـــكَ، إَنَّـــكَ مُصَـــارِعٌ وجُنْدِيٌ.

كِبْرِيَاءُ عُزِّيَا.

فمَـــنْ هـــو عُزِّيَـــا هَـــذَا ولَمَـــاذَا يَـــذْكُرُ مَوْتَـــهُ هَـــذَا؟ لَقَـــدْ كَـــانَ عُزِّيَـــا هَـــذا مَلِكًـــا ورَجْـــلاً بَـــارًا، وكَـــانَ لَـــهُ كَثِيْـــرٌ مِـــنَ الفَضَـــائَلِ، ولَكِـــنَّ فَيْمـــا بَعْـــدُ قَـــدَ أَصَـــابَتْهَ الغَطْرَسَـــةُ (الكِبْرِيَـــاءُ)، وهَـــيَّ أُمُ كُـــلِّ الشُـــرُوْرِ، والعَجْرَفَـــةُ المُمْتَلَئَـــةُ اِضِـــطْرِابًا، والكِبْرِيَـــاءُ، (التِـــيّ سَـــبَبَتْ) هَـــلاَكَ الشَـــيْطَانِ، ولا يُوْجَـــدُ شَـــيِئٌ أَسْـــوَأ مِـــنَ الكِبْرِيَـــاءِ، والبَارَحَـــةَ قَـــدْ اسْـــتَنْفَذْنا الحَـــدَيِثَ بَأَكْمَلَـــهُ فِـــي الكَـــلاَمِ عَنْـــهَ، وعَلَّمَنَـــا عَـــنِ الاتْضِاعِ.

مَثَلُ الفِرِيْسِي والعَشَارِ.

٤- فَهَلْ أَحْكَي لَكَ كَمْ هُو صَالَحٌ الاتْضَاعُ وكَمْ هَوَ شَرُ الكَبْرِيَاءُ؟ فِشَخصٌ خَاطَئٌ قَدْ هَزَمَ أَخَرَ بَارًا[٢٥٩]، (أَقْصِدَ) العَشَارَ الَذِي هَزَمَ الفِرِيسِي، والأَقَوالُ هَزَمَتِ الأَفْعَالَ، فَكَيْفَ إِنْتَصَرَتِ الأَقَوالُ؟ فَالعَشَارُ قَالَ: " اللّهُمَّ ارْحَمْنِي، أَنَا الْخَاطِئ."[٢٦٠] بيْنِما الفِرِيْسِي يَقُوْلُ " أَنِّي لَسْتُ مِثْلَ بَاقِي النَّاسِ الْخَاطِفِينَ الظَّالِمِينَ"[٢٦١] ومَاذَا أَيضًا؟ " أَصُومُ مَرَّتَيْنِ فِي الأُسْبُوعِ، وَأُعَشِّرُ كُلَّ مَا أَقْتَنِيهُ."[٢٦٢]. فِالفِرِيْسِي قَدَّمَ أَعْمَالَ بِرٍ، بِيْنَما العَشَارُ تَحَدَّثَ بِكَلِمَاتِ اتْضِاعٍ، فَهَزَمَتِ الكَلِمَاتُ الأَعْمَالَ، فَالكَنْزُ العَظَيْمُ قَدْ تَبَخَرَ (تَبَدَدَ)، الفَقْرُ المُدقِعُ قَدِ تَحَوَّلَ لِغِنى[٢٦٣]، فِقَدْ أَتَتْ سَفِيْنَتَان كَانَتا مُحمَلتَين بَالبَضَائَعِ،

---

[٢٥٩] المَقْصُوْدُ بَارٌ فِي عَيِنِي نَفَسِه.

[٢٦٠] لو ١٨: ١٣

[٢٦١] لو ١٨: ١١

[٢٦٢] لو ١٨: ١٢

[٢٦٣] المَقْصَوْدُ بَالكَنْزِ أَعْمَالُ التَقْوَى الظَاهِرِيَة للفِرِيسي، والمَقْصُوْدُ بَالفَقرِ هو فَقرٌ

وقَـدِ دَخَـلَ كِلاَهُمـا المِيْنَـاءَ، غَيْـرَ أنَّ العَشَـارَ قَـدْ رَسَـا آمِنًـا فِـي المِيْنِـاءِ، بيْنِمـا الفِرِيْسِـي فَقَـدْ عَـانَى مَـنِ الغَـرَقِ، كَيـفَ تَعْـرِفُ كَـمْ هَـوَ شَـرٌ الكِبْرِيَـاءِ. هِـلْ أنْـتَ بَـارٌ؟ فَـلا تَعْتَبِـرْ أَخَـاكَ أدْنَـى مَنْـكَ. هَـلْ عِنْـدَكَ وَفْـرَةٌ مَـنْ أَعْمَـالِ التَقْـوَى؟ فَـلا تَسَـخَرْ مِـنْ قَرِيْبِـكَ فَتُقَلِّـلَ مِـنْ ثِنِائِـكَ عَلَيـهُ، فَكُلَمـا كُنْـتَ عَظِيْمًـا فَلتَتَّضِـعْ، ولِتَحْتَـرِسْ جَيَـدًا عَنَـدَ حَـدِيْثِكَ، يـا حَبِيْبِـي، فَبِـالحَرِي يَخْشَـى الصِّـدِيْقُ مِـنَ الكِبْرِيـاءِ أكِثَـرَ مِـنَ الخَـاطِئ، وهَـذَا قَـدَ قُلْتُـهُ بِـالأَمِسِ وأُكَـرِرَهُ اليَـوْمَ لَمَـنْ كَـانَ غَائِبًـا، لأنَّ الخَـاطَئَ عِنْـدَهُ وَازِعٌ مَـنْ ضَـمِيْرِهِ يُدِيْنُـهُ ويَدْفَعـهُ للاتِضَـاعِ بَيْنَمـا البَـارُ يَفْتَخِرُ بَأَعَمَالَهُ.

الشَيَاطِيْنُ لا يَهَاجِمونَ الخُطَاةَ بل الأَبْرَار.

وكَمَـا يَحْـدُثُ فِـي السُـفْنِ، فَالـذِيْنَ عِنْـدَهُم سَـفِيْنَةٌ فَارِغَـةٌ، لاَ يَخْشُـوْنَ مَـنْ هُجُـوْمِ القَرَاصِـنَةِ، لأَنَهـم لَـنْ يَـأتُوا للسَـطْوِ عَلَـى سَـفِيْنَةٍ خَاوِيَـةٍ مِـنْ أي شِـيءٍ، بيْنِمـا الـذِين يِمْلِكُـونَ سَـفِيْنَةً مُمْتَلِئـةً مَـنِ البَضَـائِعِ، يَخْشُـوْنَ

العَشّارِ فِي تِلْكِ الأعْمَالِ.

القَرَاصِنَةَ، لأَنَّ القَرَاصَنَةَ يَسْتَهْدِفُونَها حَيْثُ يُوْجَدُ الذَهَبُ والفِضَةُ والحَجَارَةُ الكَرِيْمَةُ، وهَكَذَا أيْضًا الشِيْطَانُ لا يُهَاجِمُ بِبَسَاطَةٍ الخَاطئَ بَلِ البَارَ، حَيْثُ يُوْجَدُ الغِنَى العَظِيْمُ، لأَنَّهُ فِي كَثِيْرٍ مِنَ الأَحِيَانِ يَأْتِي الكِبْرُيَاءُ مِنْ عَدَاوةِ الشِيْطِانِ. ومِنَ الضِرُوْرِي أنْ نَكُوْنُ حَرِيْصِينَ، فَكُلَما كُنْتَ عَظِيْمًا كُلَما وَجَبَ عَلَيْكَ الاتِضَاعُ، فِعِنْدَما تَرْتَفِعُ عَالِيًا وَجَبَ عَلَيْكَ أنْ تُؤمِنَ نَفْسَكَ، كَيّ لا تَسْقُطَ. لَذلَكَ فَرَبُنَا يَقُوْلُ لَنَا: "مَتَى فَعَلْتُمْ كُلَّ مَا أُمِرْتُمْ بِهِ فَقُولُوا: إِنَّنَا عَبِيدٌ بَطَّالُونَ"[٢٦٤] فَلَمَاذَا تَتَكَبَرُ طَالَما أَنَّكَ (مُجَرَدَ) إنْسَانٍ يَنْتِمِي (لِتُرَابِ) الأَرْضِ، ومَنْ نَفِسِ جَوْهَرِ الرَمَادِ ولا تَعْمَلُ حِسَابَ التَغْيِرَاتِ الحَادِثَةِ[٢٦٥] فِي طَبْيِعَتِكَ وفِي فِكْرِكَ وفَي اِخْتِيَارَاتِكَ للأُمُوْرِ؟ فَاليَوْمَ أَنْتَ ثَرَيٌ وغَدًا فُقِيْرٌ، اليَوْمَ أَنْتَ فَي صِحَةٍ وغَدًا مَرِيْضٌ، اليَوْمَ سَعَيْدٌ وغَدًا حَزِيْنٌ، اليَوْمَ فِي مَجِدٍ

---

[٢٦٤] لو ١٧: ١٠

[٢٦٥] تَعْبِيْرٌ "لا تَعْمَلْ حِسَابَ التَغْيِرَاتَ" حَسَبَ النَصِ المَحَقَقِ SC ولا وُجُوْدَ لَها في النَصِ التَقْلِيْدِي PG

وغَـدًا فَـيَ عَـارٍ، اليَـوْمَ شَـابٌ وغَـدًا كَهْـلٌ، أوأتَظِـنُ أنَّـهُ يُوْجَـدُ شَـيءٌ ثَابَـتٌ فِيمَـا يَخُـصُ الطَبِيعَـةَ البِشَـرِيةَ؟ فَهَـيَ تُشَـبِهِ تَـدَفُقَ تَيَـارَاتِ الأَنْهَـارِ، بَمْجَـرَدِ أَنْ تَظْهَـرَ تَتَبَـدَدُ بَشَـكلٍ أَسَـرَعَ مَـنِ الظَـلِ، فَلِمَـاذا تَتَكَبَـرُ إِذَنْ أيُهـا الإِنْسِـانُ، فَأَنَـتَ كَمِثَـلِ الُـدْخَانِ سُـرُعْانَ مَـا تَضْـمَحِلُ؟[٢٦٦] لأنَّ الإِنْسِـانَ أَشْـبَهُ بَالعَـدَمِ، وأَيَامُـهُ مَثْـلُ العُشْبِ، ذَبُلَ العُشِبُ وسَقَطَ زَهْرُهُ.[٢٦٧]

كِبْرِياءُ عُزِّيَا قَادَهُ إِلَى اِغْتِصَابِ الكَهنُوْتِ.

هَـذَا قُوْلْتُـهُ لُكُـم، لِـيْسَ لَتَحِقِيْـرِ الطَبْيِعَـةِ البَشِـرِيَةِ، بَـلِ لِكَـبْحِ جِمِـاحِ الكِبْرِيِـاءِ، "لأنَّ الإِنْسِـانَ عَظِـيْمٌ والرَجُـلَ الـرَحِيْمَ مُكَّـرَمٌ"[٢٦٨] ولَكَـنَّ عُزِّيَـا هَـذَا كَمَلِـك كَـانَ مُرْتَـدِيًا تَـاَجَ المُلَـكِ، ولأنَـهُ كَـانَ بَـارًا، فَقَـدْ تَمَلَكَتْـهُ العَظَمَـةُ عَلَـىْ نَحْـوٍ مَـا، وشَـعَرَ بَـالغُرُوْرِ، فَـدَخَلَ

---

[٢٦٦] أنظر (مز ١٠٢: ٣): "لأن أيَّامِي قَدْ فَنِيَتْ فِي دُخَانٍ، وَعِظَامِي مِثْلُ وَقِيدٍ قَدْ يَبِسَتْ." وأيضًا (يع ٤: ١٤) " لأنَّهُ مَا هِيَ حَيَاتُكُمْ؟ إنَّهَا بُخَارٌ، يَظْهَرُ قَلِيلاً ثُمَّ يَضْمَحِلُّ."

[٢٦٧] أنظر (مز ١٠٣: ١٥): الإنْسَانُ مِثْلُ الْعُشْبِ أيَّامُهُ. كَزَهَرِ الْحَقْلِ كَذلِكَ يُزْهِرُ. كذلك (يع ١: ١٠) وَأَمَّا الْغَنِيُّ فَبِاتِّضَاعِهِ، لأنَّهُ كَزَهْرِ الْعُشْبِ يَزُولُ.

[٢٦٨] أم ٢٠: ٦ بحسب الترجمة السبعينية.

إلَــى الهَيكَــلِ، ومَــاذَا قِيْــلَ: "دَخَــلَ إلَــي قَــدْسِ الأَقْــدَاسِ وقَــالَ أرِيْــدُ أنْ أبَخَــرَ"[269] فَبَيْنَمــا كَــانَ مَلِكًــا أرَادَ أنْ يَغْتَصَــبَ سَــلَطَةَ الكَهَنُــوْتِ، فَقَــالَ: أرِيْــدُ أنْ أُبَخِــرَ، لأنَّنــيِّ بَــارٌ. لَكِــنْ يِجْــبُ أنْ تَلْــزَمَ حُــدُوْدَكَ، فَتُوْجَــدُ حُــدُوْدٌ لِلمُلْــكَ وحُــدُوْدٌ أُخْــرَى للكَهَنُــوْتِ، ولَكِــنَّ الكَهَنُــوْتَ أعَلَــى مِــنَ المُلْــكِ، لأنَّ المَلِــكَ لا يَظْهَــرُ مِــنْ مَظْهَــرِهِ (الخَــارِجِي)، ولا مِــنَ الحَجِــارَةِ الكَرِيمَــةِ المُرَصَّــعَةِ عَلِيْــهُ أو الــذَهَبِ الــذِيّ يَرْتَدِيْــهُ يُمْكِــنُ أنْ يُحْكَــمَ عَلَيْــهُ، لأنَّــه أُخْتِيْــرَ كَــيّ يَعْتَنِــي بِــالأَمُوْرِ الأَرْضَــيَةِ بَيِنَمــا مَكَانَــةُ الكَهَنُــوْتِ تَتَعَلَــقُ بِــالأمُوْرِ العُلْوِيْــةِ، "كُــلُّ مَــا تَرْبِطُــهُ عَلَــى الأَرْضِ يَكُــونُ مَرْبُوطًــا فِــي السَّــمَاوَاتِ."[270] المَلَــكُ لَــهُ مَسْــئُولِيةٌ هُنَــا (عَلَــى الأُمُــوْرِ الأَرْضِــيَةِ)، أمَّــا أنَــا فَمَسْــئُوْلٌ عَــنِ الأَمِــوْرِ السَــمَائِيَةِ، وعِنْــدَمَا أَقُــوْلَ "أنَــا" فَــإنَّني أتَحَــدَثُ عِــنِ الكَــاهِنِ. **فَــلا تُشَــوهْ إذَنْ سُــمْعَةَ الكَهَنَــوْتِ عَنْــدَما تَــرَى كَاهِنًــا غَيْــرَ مُسْــتَحِقٍ لأنَّــهُ يِجِــبُ**

[269] راجع ٢أخ ٢٦: ٦

[270] مت ١٦: ١٩

أَلا نُــدِينَ الوَظِيفَــةَ ذَاتَهــا بَــل مَــنْ يَسَــيُ اَسْــتِخْدَامَ الصَــلاَحِ الــذِي فَيِهــا. لأنَّ يَهُــوْذَا قَــدْ صَــارَ خَائِنًــا ولَكِــنَّ إِدَانَتَــهُ لا تَمُثِــلُ إِدَانَــةً للرَسَــوْلَيْةِ بِــلِ لأَفْكَــارِهِ الخَاصَــةِ، فالإِدَانَةَ لا تَسَيءُ للكَهَنُوتِ بَلْ لِلفِكْرِ الشَرِيْرِ.

لا يَنْبَغِي الإِسَاءَةُ لَلكَهَنُوْتَ بَسَبَبَ نَفَرٍ مَنِ الكَهَنَةِ.

٥- وأَنْــتَ أَيْضَــا لا تُشَــوْهْ سُــمْعَةَ الكَهَنُــوْتِ بِــلِ الكَــاهِنِ الــذِي يَسِــيءُ اِسْــتِخْدِامَ الصَــلاَحِ المَوْجُــوْدِ فِــيِّ هَــذَا الكَهَنُــوْتِ، لأَنَّــهُ عِنْــدَما يَتَحَــدَثُ مَعَــكَ وَاحَــدٌ ويَقُــوْلُ لَــكَ: هَــلْ تَــرِى ذَاكَ المَسِــيْحِي؟ فَقَــلْ لَــه: أنَــا لا أَتَحَــدَثُ مَعَــكَ عَــنْ أَشْــخَاصٍ بَــلْ عَــنْ أَشِــيَاءٍ، لأَنَّــهُ كَــمْ مِــنَ الأَطِبَــاءِ قَــدْ صَــارُوا كَالمُمَرِضِــيْن الشَــعْبِيِّيْن[٢٧١] وأَعَطُــوا سَــمُوْمَا بَــدَلاً مَــنِ الأَدْوِيَــةِ؟ غَيْــرَ أنَّنــي لا أُدِيــنَ مِهْنَــةَ الطِــبِ بــل مَــنْ يُمَارِسُــونَها بَطَرِيْقَــةٍ خَاطِئَــةٍ. كَــمْ

[٢٧١] الكَلمَةُ اليُوْنَانيَةُ δήμιος لها عِدَةُ مَعَانٍ مِنْها جَلاَدٌ العَامَةِ أو مُنَفِذُ حُكْمِ المَوْتِ، وأَحَدُ مَعَانِيْها أَيْضَا: طَبِيْبٌ شَعْبَيٌ، وفي التَرْجَمَةِ الفَرنَسِيةِ تُرجِمَتْ "جَلادَيْنَ" بَيْنَما فِي التَرْجَمَةِ الإِنْجِلِيزِيَةِ تُرْجِمَتْ "دَجَالِين"، وأصلُ الكَلِمَةِ يَعْنِي مَا يَخَصُ عَامَةَ النَاسِ، وفِي ظَنِّنَا أنَّ المَقْصُودَ هَنا أنَّ هَؤلاءَ الأَطِبَاءَ قَدْ صَارَ مِثْلَ العَوَامِ الجَهَلَةِ الذِينَ يُفْتَوْنَ في الطَبِ بلا مَعْرِفَةٍ.

مَـنِ البِحَـارَةِ قَـدْ أَغرَقُـوا سَـفُنًا؟ غَيْـرَ أنَّ مَهْنَـةَ البَحرِيَـةِ لِيسِـتْ هَـيَّ التِـي أَغْرِقَتْهـا بَـلِ إِرَادَتُهـم الشَـرِيْرَةُ، لِـذَلِكَ فَـإِنْ رَأَيْـتَ مَسَـيِحِيًا شَـرِيرًا فِـلا تُـدِنْ عَقِيْدِتَـهُ (المَسِـيْحِيَةَ) أو الكَهَنَـوتَ، بَـلْ لتَـدِنَ مَـنْ يَسَـيءُ اِسـتِخْدِامَ الصَـلاَحِ الـذِيِّ فِيْهُمَـا، فَالمَلَـكُ يَـؤْتَمَنُ عَلَـى الأَجِسَـادِ، بِينِمـا الكَـاهِنُ يَـؤْتَمَنُ عَلَـى النُفُـوْسَ، المَلَـكُ يَعَفَـيِ عِـنْ رِصِـيْدِ الـدَيْنِ المُتَبَقـي، بَيْنَمـا الكَـاهِنُ عَـنْ رَصِـيْدِ الخَطَايَـا، هَـذَا يُجْبِـرُ أمَّـا ذَاَكَ فِأنَّـهُ يِحُـثُ، فَهَـذَا بِـالقَهْرِ وأمَّـا ذَاَكَ فبِالنَصِـيْحَةِ، هَـذَا بَالأَسَـلِحَةِ المَادِيَـةِ وأمَّـا ذِاِكَ فَبالأسـلِحَةِ الرُوْحِيَـةِ، هّـذَا يُحَـارِبُ البَرْبَـرَ أمَّـا أنَـا فأُحَـارَبُ الشَـيَاطَينَ، وهَـذَا السُـلْطَانُ هُـوَ الأَعْلَـى، لِـذَلِكَ يَضَـعُ المَلَـكُ رَأَسَـهُ تَحَـتَ يَـدِ الكَـاهِنِ، وفِـيّ مَوْضِـعٍ مَـا فَـيِ العَهْـدِ القَـدِيْمِ نَجِـدُ الكَهَنَـةَ يَمْسَـحُوْنَ المُلُـوْكَ. ولَكَـنَّ ذَلَـكَ المَلَـكَ (عُزِّيَّـا) قَـدْ تَجَـاوَزَ حُـدُوْدَهُ وتَعَـدَى حَـدَ المُلَـكِ، وشَـرَعَ يُضِـيْفُ إِلَـى نَفْسِـهِ سَـلَطَانًا فَدَخَلَ الهَيْكَلَ بِالقُوةِ مُرِيْدًا أنْ يُبَخْرَ.

الكَهَنَةُ يُقَاوِمُوْنَ عُزِّيًا بِشَجَاعةٍ

فَمَـاذَا فَعَلَ الكَهَنَـةُ: "لا يَحِقُ لَكَ يَا عُزِّيَّا أَنْ تُبَخِّرَ" فَأَنْظَرْ الصَرَاحَةَ، وتَصَرُّفَ الأَحْرَارِ، واللَهجَةَ التِي تَصِلُ لَعَنَانِ السَمَاءِ، والحُرِيَّةَ التَيّ لا تُهْزَمُ، فَهُوَ بِجَسِدِهِ إِنَسانٌ أمَّا بِحُسَنِ تَصَرُفِهِ فَهُوَ مَلاَكٌ[٢٧٢] يِسْيِرُ عَلَى الأَرْضِ ولَكِنَّ مَعَيْشَتَهُ فِيّ السَمَاءِ، الَذَي رَأَىَ المَلَكَ ولَمِ يَرَ الأُرْجُوَانَ (الذَيّ يَرْتَدَيِهِ)، رَأَي المَلِكَ ولَمْ يَرَ التَاجَ، فَلا تُحَدِثْنِي عِنِ المُلِكِ طِالِما كِانِتْ هُنَاكَ مُخَالَفَةٌ للشَرِيْعَةِ. "لا يَحِقُ لَكَ أيُهَا المَلَكُ أنْ تُبَخِرَ فَيّ قُدْسِ الأَقَدَاسِ"[٢٧٣] فَقَدِ تَجَاوَزْتَ حُدُوْدَك، وَرَغَبِتَ فِيمَا لا يَحِقُ لَك، لِذَلِكَ فَسَوفَ يُنْزَعُ مَنِكَ مَا قَد اكْتَسَبْتَهُ. "لا يَحَقُ لَكَ أنْ تُبَخِرَ بَل لَلكَهَنَةِ" فَهَذَا لَيسَ عَمَلَكَ بَلْ هُوَ مَنِ اِختِصِاصِي. فِهَلْ يُمْكِنُنِي أنْ أَسلِبَكِ (ثِيَابَ مُلْكِكَ) الأُرْجُوَانِي؟ فَلاَ تَسْلِبَنِي الكَهَنُوْتَ، "لا يَحِقُ لَكَ أنْ

---

[٢٧٢] التعبير باليونانية:

ἀνθρώπου τὸ σῶμα καὶ ἀγγέλου τὸ φρόνημα.

[٢٧٣] راجع ٢مل ٢٦: ١٨

تُبَخِّــرَ بَــلْ فَقَــطْ يَحِــقُّ لِلكَهَنَــةِ مَــنْ أَبْنَــاءِ هَــارُوْنَ" فَبَعْــدَ زَمِـنٍ طَوِيـلٍ مَــنْ بَعـدِ مَـوْتِ هَـارُوَنَ قَـدْ صَـارَ مَثَـلَ هَـذَا الأَمِـرِ[٢٧٤]، ولِمَــاذا لِـمْ يَقِـلْ فَقِــطْ "لِلكَهِنَــةِ" بَــلْ يُشِــيرُ أَيضَــا لِــلأَبِ (هَــارُوْنَ)؟ لأَنَّ مَــا حَـدَثَ فِــيّ أَيَامِــهُ تِلَــكَ قَدْ صَارِ مِثِلَهُ الآنَ.

مُحَاوَلةُ دَاثَانَ وقُوْرَحَ وأَبِيْرَامَ إِغْتِصابَ الكَهَنُوْتِ.

لَقَــدْ تَمَــرَدَ كُــلُّ مِــنْ دَاثَــانَ وقُــوْرَحَ وأَبِيْــرَامَ، ضِــدَ هَــارُوْنَ، فَانْفَتَحَــتِ الأَرْضُ وإِبْتَلَعَــتْهم، وأَتَــتْ نَــارٌ مَــنِ السَــمَاءِ وأَحْــرَقَتْهُم[٢٧٥]، فَــأَرَادَ (الكَــاهِنُ) أنْ يُــذَكِّرَهُ بِهِـــذِهِ الحَادِثَـــةِ، فِعِنْـــدَما أَرَادُوا أنْ يُهَـــدِّدُوا الكَهَنُـــوتَ فَشَــلُوا، بَــلِ أَنَّ الجَمَــعَ تَطَــاوَلُ ولَكِــنَّ اللهَ تَصَــدَى لَهُــم. "لا يَحِـقُ لَـكَ أنْ تُبَخِـرَ بَـلْ فَقَـطَ يَحِـقُ لِلْكَهَنَـةِ مِـنْ أَبِنَــاءِ هَــارُوْنَ" فَلَــمْ يَقَــلْ لَــه: تَــذَكَرْ مَــاذَا قَــدِ حَــدَثَ لأُوْلَئِــكَ الــذينَ قَــدْ فَعَلُــوا نَفْــسَ الأَمْــرِ، تَــذَكَرْ أُوْلَئَــكَ الــذَيْنَ إِحْتَرِقُــوا لِمَّــا تَمَــرَدُوا، ولَكِنَّــهُ ذَكَــرَ هَــارُوْنَ الــذِي إِنْــتَقَمَ،

[٢٧٤] أي مُحَاوَلةُ إِغْتِصابِ الكِهنُوْتِ.

[٢٧٥] راجع عد ١٦: ١-٣٥، مز ١٠٦: ١٦-١٨

فَجَعَلَــه يَتَــذَكَرُ هَــذِهِ القِصْــةَ، ولَسِــانُ حَالِــهِ يَقُــوْلُ: لا تَتَجَاسَــرْ أَنْ تَرْتَكِــبَ فِعْلَــةَ دَاثَــانَ، لَــئْلاَ يُصِــيْبَكَ مَــا حَــدَثَ فِيّ أَيَامِ هَارُوْنَ.

اللهُ يَضْرِبُ عُزِّيًا بِالبَرَصِ.

غَيْــرَ أَنَّ عُزِّيَّــا المَلَــكَ لَــمْ يَنْضَــبِطْ، فَــدَخَلَ الهَيْكَــلَ وهَــوَ مُنْــتَفِخٌ مَــنِ الكِبْرِيــاءِ، وفَــتِحَ حِجَــابَ قُــدْسِ الأَقْــدَاسِ، رَاغِبًــا أَنْ يُبَخِــرَ، فَمَــاذَا فَعْــلَ اللهُ إِذْنٍ؟ بِسَــبِبِ أَنَّــه إِحْتَقَــرِ الكَــاهِنَ بَشَــكِلٍ سَــيئٍ وازْدَرَى بَكَــلامِ الكَهَنُــوْتِ، فَمَــا كَــانَ بِإِمْكَــانِ الكَــاهِنِ أَنْ يَفُعَــلَ شَــيْئًا آخَــرَ، لأَنَّ عَمَــلَ الكَــاهِنِ هُــوَ أَنْ يُبَكِــتَ ويُظْهَــرَ (الحَــق) جَهَــارًا، ولَــيْسَ أنَ يُشْــهِرَ السَــلاَحَ، أَو أَنْ يَحْمِــلَ الــدِرْعَ أو أنْ يَشِّــدَ قَوْسَــهُ، أو أنْ يَرْمِــي الــرُمْحَ، بَــلْ أَنْ يُــوَبِخَ ويَتَصَــرَفَ بَكُــلٍّ شَــجَاعَةٍ. ولأَنَّ الكَــاهِنَ قَــدَ وَبَّــخَ بَيْنَمــا المَلِــكُ لَــمْ يَتَرَاجَــعْ، بَــلْ أَشْــهَرَ السَــلاَحَ، ودِرُوُعَــه ورِمَاحُــهُ، واسْــتَخْدَمَ تَفَوْقَــهُ، فَقَــالَ الكَــاهِنُ: أَنَــا أَقُــوْمُ بَــوَاجَبَي، ولا اسْــتَطِيْعُ فِعْــلَ شَــيئٍ آخَــرَ أَزِيَــدَ مَــنْ ذَلِــكَ، فَأُنْقِــذُ الكَهَنُــوْتَ الــذَي يُنْتَهَــكُ، والشَــرَائِعَ التِــي يُعْتَــدَى

عَلِيْهــا، والــنُظُمَ التِــي تَــمَّ الانِقَــلابُ عَلَيْهــا. فَمَــاذَا فَعَــلَ إِذَنْ مُحِــبُ البَشَــرِ؟ لَقَــدْ عَاقَــبَ المُتَطَــاوِلَ. فَحَــالاً "خَــرَجَ بَــرَصٌ فِــي جَبْهَتِــهِ"[٢٧٦]، فَحَيْثُمَــا تُوْجَــدُ الوَقَاحَــةُ يُوْجَدُ العِقَابُ.

عِقَابُ اللهِ التَرْبَوِي

أَرَأَيْــتَ مَحَبَــةَ اللهَ للبَشَــرِ (حَتَّــى) فِــيّ عِقَابِــهِ؟ فَلَــمْ يُلَــقِ بَرْقًــا ولَــمِ يُزَلَــزَلِ الأَرِضَ، ولَــمْ يَهُــزِ السَــمَاءَ، بَــلْ أَصَــابَهُ بِــالبَرَصِ، ولَــيِسَ فِــيّ مَكَــانٍ أَخَــرَ سِــوَى جَبْهَتِــهِ، حَتَّــى يَحْمِــلُ كَــأسَ العِقَــابِ[٢٧٧]، حَتَّــى تَكُــوْنُ كِمِثْــلِ كِتَابَــةٍ أو نَقْــشٍ عَلِــى عَمُــوْدٍ، وهَــذَا لَــمْ يَحْــدُثْ لأَجْلِــهِ، بِــلْ لأجْــلِ مَــنْ سَــوْفْ يِــأتِوْن مِــنْ بَعِــدِهِ، لأَنَّــه إنْ كَــانَ يَسْــتَطِيْعُ أنْ يَفْــرِضَ عُقُوْبَــةً مُسْــتَحَقَةً، فَإِنَّــهُ لَــمْ يَفْرِضْــهَا بَــلْ كَــانَ الأَمْــرُ كَمِثْــلِ مَرْسُــوْمٍ وقَــدْ رُفِــعَ فِــيّ مَكَــانٍ مُمَيْــزٍ، وكَأَنَّــهُ يَقْــوْلُ : لا تَفْعَــلْ مِثْــلَ هَــذا الأَمْــرِ

[٢٧٦] ٢مل ٢٦: ١٩

[٢٧٧] حسب النص المحقق SC: ἵνα τῆς κολάσεως τὸ τρόπαιον φορῇ

حَتَّى لا تُعَانِي مِنْ ذَاتِ العُقُوبَةِ، معلنًا قانونًا حيًا، وجَبْهَةٌ قد أَخْرَجَتْ صَوْتًا أَكْثَرَ قَوَةً مَنِ البُوقِ. لَقِدْ كَانَتْ كِتَابَةً مَنْقُوشَةً عَلَى الجَبْهَةِ، نَقْشًا لا يُمْكِنُ مَحْوُهُ، لأنَّها لَيْسَتْ بَحِبْرٍ حَتَى يُمْحَى، بَلْ أنَّ البَرَصَ مَنْ طَبِيْعَتِهِ أنَّهُ يَجْعَلُ المَرْءَ للتو نَجِسًا، وبالتِالي فِالأخَرُون (غَيْرُ المُصَابِيْن بِهِ يُحْسَبُوْن) أَطْهَارًا، كِمْثْلِ المَحْكُوْمِ عَلِيْهم، عِنْدَما يَأَخَذُوْنَهم بالحِبَالِ يَقُوْدَونَهم وَهُمْ مُقَيَدُونَ بِها، هَكَذا ذَاكَ (عُزِّيًا) بَدلاً مِنَ الحِبَالِ أَصَابَهُ البَرَصُ فَيّ جَبْهِتِهِ، وهَكَذَا قُيِّدَ إلِي خَارَجِ (الهَيكَلِ). لأَنَهُ أَهَانَ الكَهَنُوتَ، وهَذَا أَقُوْلُهُ لا لِكَيّ أَدِيْنَ المُلُوكَ بَلْ أَوْلَئكَ السُكَارَىْ بِالغَطْرِسَةِ والحِنْقِ، حَتَّى تَعَلَمَ أنَّ الكَهَنُوْتَ أَعْظَمَ مِنِ المُلْكِ.

اللهُ يُعَاقِبُ الجَسَدَ عِنَدَما تُخْطِئ النَفُسُ.

٦- إنَّ اللهَ دَوْمَا مَا يُعَاقِبُ الجَسَدَ عِنْدَما تُخْطِئُ النَفْسُ، هَكَذَا فَعَلَ مَعَ قَايِينَ، فِعْنَدَمَا أَخْطَأَتِ النَفْسُ مُرْتَكِبَةً (جَرِيْمَةَ) القَتْلِ، فَقِدْ شُلَ جَسَدُهُ، كَيْفَ

هَـــذَا؟ فَاسْـــمَعْ، مَـــا يَقُوْلَـــهُ (الكِتَـــابُ) : "تـــئنُ وَترْتَعِـــدُ وأنـــت علـــى الأَرْضِ"[٢٧٨]، فَقَـــايِينُ كَـــانَ يَتَجَـــوَلُ مُحَّـــدِثًا الجَمَيْـــعَ مُصْـــدِرًا أَصَـــوَاتًا بِصَـــمْتِهُ. مُعْلِمًـــا بِصِـــوْتٍ لا يُنْطَـــقُ بِـــهَ، فَاللِسَـــانُ صَـــامِتٌ، والأَعْضَـــاءُ تَصْـــرُخُ، وكَـــانَ يُحَّـــدِثُ الجَمِيْـــعَ لَمَـــاذَا هَـــوَ فِـــيِّ أَنِـــيْنٍ ولِمَـــاذَا يِرْتَعِـــدُ: لَقَـــدْ قَتَلْـــتُ أَخِـــيِّ، ارْتِكِبْـــتُ (جَرِيْمَـــةَ) القَتْـــلِ. ومُوسَـــى فِيمَـــا بَعِـــدُ قَـــدْ قَـــالَ فَيْمَـــا كُتِـــبَ، أَنَّ ذَاكَ مَـــنْ خِـــلاَلِ أَفْعَالَـــهُ يَتَجَـــوَلُ ويَقَـــوْلُ للجَمِيْـــعِ "لا تَقْتِـــلْ"[٢٧٩] فَهَـــلْ رَأَيْـــتَ فَمًـــا صَـــامِتًا وَوَاقِعًـــا يِصْـــرُخُ؟ هَـــلْ رَأَيْـــتَ نَامُوْسًـــا حَيًّـــا يَتَـــدَاوَلُ؟ هَـــلْ رَأَيْـــتَ نَصْـــبًا يَتَجَـــوَلُ؟! أَرَأَيْـــتَ فُقْـــدَانَ السُـــمْعَةَ كَعُقُوْبَـــةٍ؟[٢٨٠] هَـــلَ رَأَيْـــتَ عِقَابًـــا قَـــدِ جُعِـــلَ بِهَـــدِفِ التَعْلِـــيمِ؟! هَـــلِ رَأَيْـــتَ الـــنَفْسَ تُخْطِـــيءُ والجَسَـــدُ هُـــوَ

---

[٢٧٨] تك ٤: ١٢ بَحَسِبِ التَرجَمَةِ السَبعِيْنِيْةِ.

[٢٧٩] راجع خر ٢٠: ١٣

[٢٨٠] العِبَارَةُ فَي اليُونَـانِيَةُ غَامَضَةُ: "أَرَأَيْتَ عُقُوْبَةَ رَفْعِ السُمْعَةِ (الكَرَامةِ، تَقْدِيْرِ)؟" !

εἶδες τιμωρίαν τιμήσεως ἀναίρεσιν

فِيِّ التَرْجَمِةِ الفَرَنْسِيَةِ يُحَاوِلُ المُتَرجِمُ تَكْمِلَةَ الجُمَلَةِ لإزَالِةِ الغُمُوْضِ فَيَقُوْلُ: " أَرَأَيْتَ عُقُوْبَةَ هَيَ تَشَوِيْهِ السَمْعَةِ؟" فَي التَرجَمَةِ الإنْجِلِيْزِيَةِ "أَرَأَيْتَ غَيَابَ العِقَابِ؟".

الـذِي يُعَاقَـبُ؟! وهَـذا بِكُـلِّ تَأكِيْـدٍ أَمْـرٌ طَبِيْعِـيٌّ. وهَكَـذَا كَانَـتِ الحَـالُ فِـيّ قِصَـةِ يُوْحَنَـا (المِعْمِـدَانِ)[٢٨١]، فَـالنَفْسُ أَخْطَـأَتْ غَيْـرَ أنَّ اللِسَـانَ هُـوَ الـذِي انْعَقَـدَ، لأنَّـهُ أَصْـبَحَ عُضْـوًا عَـدِيْمَ الفَائِـدَةِ فَزَكَرِيَـا ذَاكَ الشَـخْصُ الـذِي صَـدَرَعَنْهَ الصَـوْتُ قَـدْ عُوقِـبَ هَكَـذَا. وهَكَـذَا الحَـالُ عِنْـدِ عُزِّيَّـا، فَقِـدْ ضُـرِبَ بِـالبَرَصِ فِـيّ جَبْهَتِـهِ، عِنْـدَما أَخْطَـأ حَتَّـى يَـتَعِظَ ذَاكَ[٢٨٢]، وخَـرَجَ المَلِـكُ وقَـدْ صَـارَ عِبْـرَةً للجَمِيْـعِ، وقَـدْ طَهَّـرُوا الهَيْكَـلَ بِطَـرْدِهِ مِنْـهُ، دُوْنَ أنْ يَدْفَعَـهُ أَحَـدٌ، فَقَـدْ أَرَادَ اغْتِصَـابَ الكَهَنُـوْتَ فَخَسِـرَ مَـا كَـانَ فِيْـهُ، وقَـدِيْمَا كَـانَ هُنَـاكَ نَـامُوسٌ أنَّ أيَ أَبْـرِصٍ يَجِـبُ أنْ يُطْـرَدَ خَـارِجَ المَدِيْنَـةِ، غَيْـرَ أنَّ الآنَ لَـمْ يَعْـدِ الأَمْـرُ هَكَـذَا. لِمَـاذَا؟ لأنَّ اللهَ كَـانَ يُشَّـرِعُ لَهُـمْ كَالأَطْفَـالِ. آنـذِاكَ كَـانِ البَـرِصُ مَرِضًـا للجِسَـدِ، أمَّـا الآنَ فَالمَسْأَلَةُ مُتَعَلِقَةٌ بِبْرَصِ النَفْسِ.

---

[٢٨١] هَكَذا النَصُ المَحَقَقُ فَيَ SC ولكِنْ فِيَ النَصِ التَقْلِيدِي PG : زَكَرِيَا وَلَيَسَ يُوْحَنا، حَيْثُ أنَّ المَقْصَوْدَ هَوَ زَكَرِيا الكَاهِنُ كَمَا سَوْفَ يُذْكَرُ بَعْدُ ذَلَكَ.

[٢٨٢] المَقْصَوْدُ زَكَرِيَا أيْ أُصِيبَ عُزِّيَّا بِالبَرَصِ حَتَي يَتَعَظَ زَكَرَيَا فَيَما بَعْدُ.

امْتِنَاعُ النُبُوْءَةُ بِسِبِبِ تساهُلِ الشِعْبِ مَعِ عُزِّيًا.

خَـــرَجَ المَلَـــكُ إِذَنْ مِـــنَ الهَيكَـــلِ ولِـــمِ يُخْرِجُـــوهُ مَـــنِ المَدِيْنَـــةِ احْتِرامًـــا لِمِكَانَتِـــهِ ولمُلِكِـــهِ. غَيْـــرَ أَنَّـــهُ بَقَـــىْ عَلَى حَالَهُ كَمُخَالَفٍ للنَامُوْسِ.

فَمَـــاذَا فَعَـــلَ اللهُ حَيْنَئَـــذٍ؟ لَقَـــدْ كَـــانَ غَاضَـــبًا مَـــنِ اليَهُـــوْدِ فَـــأَوْقَفَ النُبُـــوْءَةَ. و(حَـــدِيْثِي) هَـــذَا كُلُّـــهُ بِسَـــبِبِ عِبِـــارَةِ النَبِـــي (عِنْـــدَ وَفَـــاةِ عُزِّيَّـــا ...)، حَتَّـــي أُوْفِـــي بَتَعَهَـــدِي لَكَـــمْ. ولَكَـــنَّ هَيَـــا بِنَـــا نَعُـــوْدُ إِلَـــى مَوْضَـــوْعِنَا. خَـــرَجَ المَلَـــكُ مَـــنْ الهَيكَـــلِ وكَـــانَ يَجْـــبُ أَنْ يُخْرِجُـــوْهُ مَـــنِ المَدِينَـــةِ حَسَـــبِ العَـــادَةِ، كَوَنَـــهُ نَجِسًـــا، فَالشَـــعَبُ احْتَمَـــلَ بَقَـــاءَهُ (فَـــي المَدِيْنَـــةِ)، ولَـــمْ يَفْعَـــلِ الشَـــعْبُ شَـــيئًا مِمَـــا يَجَـــبَ ســـواءً كَثِيـــرًا أو قَلِـــيلاً، فَلَـــمْ يُجَـــاهَرْ بِكَلِمَـــةٍ (بِـــالاعْتِراضِ عَلِـــى بَقَـــاءِ المَلِـــكِ فَـــي المَدِينَـــةِ). ولأَنَّ الشَـــعْبَ تَرَكَـــهُ فَقَـــدْ تَحَـــوَلَ عَـــنْهم اللهُ بَـــأَنْ أَوْقَـــفَ عَـــنْهُم هِبِـــةَ النَبُـــوْءَةِ، بِـــالطِبعِ لأَنَّ الشَـــعْبَ خَـــالَفَ النَـــامَوْسَ، وإِمْتِنَـــعِ عَـــنْ أنْ يُخْـــرِجَ شَخَصًـــــا نَجِسًـــــا (خَـــــارَجَ المَدِينَـــــةِ) فَتَوَقَفَـــــتْ هِبَـــــةُ

النُبِــوْءَةُ.[283] "وكَانَــتَ كَلِمَـــةُ الــرَبَ عَزِيْــزَةً"[284] ولَــمَ تَكَـنْ هَنَـــاكَ كَلَمَـــةُ نُبُـــوْءَةٍ"[285]. هَــذَا يَعْنِـــي أنَّ اللهَ مَـــا كَـــانَ يُحَــدِثُهُم مِــنْ خَــلاَلِ الأَنْبِيَــاءِ، لأنَّ الــرُوْحَ القُــدُسَ لَــمَ يَعُــدْ يُــوْحِي إِلَــيهِم بَمَــا كَــانَوا يَنْطَقُــوْنَ بِــهِ، طالَمَــا كَــانَ فَــي وَسَــطَهُم نَجَــسٌ. لأنَّ نَعْمَـــةَ الــرُوْحِ لا تَعْمَــلُ فِــيّ غَيْــرِ الأَطَهَــارِ. لَــذَلكَ مَــا كَــانَ (الــرَوْحُ القُــدُسُ) حَاضَــرًا ومَــا كَــانَ يَظْهَــرَ للأَنْبِيَــاءَ، بَــلْ كَــانَ صَــامَتًا ومُحْتَجِبًــا[286]. ولَكَـــيِّ يَكِـــوُنَ حَـــدِيثُنا وَاضِـــحًا فَسَـــوْفَ أُقَـــدَمُ مَـــثَلاً للإيْضَــاحِ. كَمَثَــلِ إنسَـــانٍ يَحْضِـــرُ قُـــدَّامَ شَـــخْصٍ مَـــا بَاشَـــتِيَاقٍ شَــدِيْدٍ، وعَنْــدَمَا يُحْزِنَـــهُ هَــذَا الشَــخَصُ بَحَمَاقَـــةٍ لأَمْـــرٍ مَـــا، فَإنَّـــهُ يَقُــوْلَ لَـــهُ لا أَرِيَــدُ أنَ أَرَاكَ ثَانَيَـــةً فَيْمَـــا

---

[283] التَعِبِيرُ بَاليَوَنَانيَةُ. τὸ προφητικὸν χάρισμα.

[284] هَكَذَا فَيّ النِصِ التَقْلِيْدِي PG أمّا في النَصِ المُحَقَقِ SC :"لَم تَكَنْ كَلَمَةُ الربِ مُكَرَمَةً، ولَمْ تَكَنْ هُنَاكَ نُبُوْءَةٌ".

[285] رَاجَعْ ٢صم ٣: ١

[286] التَعَبِيرُ بِاليونَانيَةِ : σιγᾷ καὶ κρύπτει ، واحِتِجَابُ الرُوْحِ هَوَ مَوْضُوْعُ كَثِيرًا مَا يَتَحَدَثُ عَنَهَ الآبَاءُ النُسَّاكُ بِمَعْنَي وُجُوْدِ الرُوْحِ ولَكِنَّ عَدَمَ تَدَخُلِهُ لِفَتْرَةٍ، حَتَّى يَسْتَطَيْعَ النَاسَكُ إَدْرَاكَ نَعَمَةِ الرَوْحِ عِنْدَما يَحْرَم مَنْها لَفَتْرَةٍ.

بَعــدُ، لا أُرِيــدُ أنْ أُحَــدِثَك "هَكَــذَا قَــدْ فَعَــلَ اللهُ، لأَنَّهــم أَغْضَــبُوهُ عِنْــدَمَا اِمْتَنَعُــوا عَــنْ إِخْــرَاجِ عُزِّيَّــا (مِــنَ المَدِيْنَــةِ)، (وكَــأنَّ اللهَ يَقُــوْلُ لَهَــم): "لَــنْ أُحَــدِثَكم بَعْــدُ مَــنْ خَــلالِ الأَنْبِيَــاءَ، ولَــنْ أَرسَــلَ بَعَــدُ نَعْمَــةَ الــرُوْحَ القُــدْسِ"، فَانْتَبِــهْ إِنَّهــا **عُقُوْبَــةٌ مُمْتَلِئَــةٌ دَمَاثَــةً ورِفُقًــا**[٢٨٧]، فَلَــمِ يَلْــقِ عَلَــيْهم بَرْقًــا ولَــمْ يُزَلِــزَلِ المَدِيْنَــةِ مِــنْ إِساسِــاتِهَا، فِيقُــوْلَ لا تُرِيْــدُون أنْ تَصْــنعُوا مَرْضَــاتَي، فَلَــنْ أُحَــدَثَكم، فَهَــلْ تظَنُّــوْنَ أَنَّنــي غَيْــرُ قَــادَرٍ أنْ أُخْرِجَــهُ، لَكَنَّنــي تَرَكْــتُ البَــاقَي لَكَــمْ، أَفِــلا تُرِيــدُون؟ وأنَــا أيْضَــا لَــنْ أُحِــدثَكم ولَــنِ أَحَرِكَ رَوْحَ الأنَبِيَاءَ.

عَوْدَةُ النَبَوْةِ بِوِفَاةِ عُزِّيَا.

نِعْمِــةُ الــرُوْحِ القُــدِسِ لِــمْ تَكَــنْ تَعْمِــلُ، فَقَــدَ كَــانَ هُنَــاكَ صَــمْتٌ، وعَــدَاوَةٌ بَــيْنَ البَشَــرِ واللهِ، ولَكِــنْ عِنْــدَما مَــاتَ ذَاكَ (أيْ عُزِّيَّــا) زَالَ سَــبَبُ النَجَاسَــةِ، لأنَّ النَبَــيَ كَــانَ لَــهَ زَمَــانٌ طَوِيْــلٌ لَــمَ يَكَــنْ يَتَنَبَــأ، وعَنِــدَما تَوِقَــفَ غَضَــبُ اللهِ عَــادَتْ هَبَــةُ النُبَــوْءَةِ ومِــنْ ثُــمَّ فَــإنَّ النَبَــيَ

---

[٢٨٧] التعبير باليونانية: κόλασιν ἡμερότητος γέμουσαν

بَالضَـــرَوْرَةَ قَـــدَ آرَخَ زَمَـــنَ (عَـــوْدَةِ النُبُـــوْءَةَ) قَـــائَلاً: «وحـــدث فِـــي سَـــنَةِ وَفَـــاةِ عُزِّيَّـــا الْمَلِـــكِ، رَأَيْـــتُ السَّـــيِّدَ جَالِسًـــا عَلَـــى كُرْسِـــيٍّ عَـــال وَمُرْتَفِـــعٍ»[288] فَعِنْـــدَمَا مَـــاتَ حِيْنِئِـــذٍ رَأَيْـــتُ الـــرَبَ، لأنَّـــهُ فِـــيِّ السَـــابِقِ لِـــمْ أَكِـــنْ أَرَى اللهُ، لأنَّـــهُ كَـــانَ غَاضِـــبًا، ولَكِـــنْ قَـــدْ مَـــاتَ الـــنِجِسُ وزِالِ غَضَـــبَ اللهِ عَلَيَنـــا، لِـــذَلَكَ، فَعَلَـــى الـــرَغْمِ مِـــنْ إِنَّـــهُ دَائمًـــا مَـــا يَـــذْكُرُ حَيَـــاةَ المُلَـــوَكِ، فَهُنَـــا يَـــذْكُرُ وَفَـــاةَ عُزِّيَّـــا، فَيَقُـــوْلُ: «وحـــدث فِـــي سَـــنَةِ وَفَـــاةِ عُزِّيَّـــا الْمَلِـــكِ، رَأَيْـــتُ السَّـــيِّدَ جَالِسًـــا عَلَـــى كُرْسِـــيٍّ عَـــال وَمُرْتَفِـــعٍ»[289] ولَكِـــنْ هُنَـــا يُمْكِنُنُـــا أنْ نَـــرَى أَيِضًـــا مَحَبَـــةَ اللهَ للبَشَـــرِ، مَـــاتَ الـــنَجِسُ وتَصَـــالَحَ اللهُ مَـــعَ البَشَـــرِ، فَلَمَـــاذَا حَـــدَثَتِ المُصَـــالَحَةُ ولَـــمْ تَكَـــنْ هُنَـــاكَ أَعَمَـــالُ تَقْـــوَى، فَقَـــطِ بِمَوْتِـــهِ (كَانَـــتِ المُصَـــالَحَةُ)؟ لأنَّـــهُ مُحِـــبُ البَشَـــرِ ويِتِسَـــامَحُ، شَـــيئًا وَاحَـــدًا قَـــدَ طَلَبَـــهُ اللهُ مَحَـــبُ البَشَـــرَ الصَـــالَحُ وهُـــوَ أنْ يَخْـــرُجَ النَجَسُ مِنَ المَدِيْنَةِ.

---

[288] أش ٦: ١

[289] أش ٦: ١.

فِلنَعِـــرْفْ هَـــذَا إِذَنْ، فَلِنَطْـــرَحْ عَنَـــا الكَبْرِيَـــاءَ، ولِنَعْتَنِـــقِ الاتْضِـــاعَ، ولَنَرْسَـــلِ لِلأَعَـــالَيِّ دِائِمـــا التَمْجِيْـــدَ المُعْتَـــادَ، لِـــلآبِ والابِـــنِ والـــرُوْحِ القُـــدُسِ، الآنَ وَكُـــلِّ آوانٍ وإلـيَ دَهْرِ الدُهُوْرِ. آمِينْ.

***